



دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

في ظلال آيات الثناء على الصّحابة النجباء

« دراسة تحليلية تُعنَى بدلالة الآيات على علوِّ مقام الصحابة رضي الله عنهم »

بقلم
محمد سعد خلف الله الشحي
إدارة البحوث



في ظلال آيات الثناء
على الصحابة النجباء

« دراسة تحليلية تُعنَى بدلالة الآيات
على علوِّ مقام الصحابة رضي الله عنهم »

التدقيق اللغوي

سيد المهدي أحمد

إخراج

محيي الدين حسين يوسف

الطَّبعَةُ الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

ISBN 978-9948-499-49-7



هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+

الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي

mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae


دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department



في ظلال آيات الثناء على الصحابة النجباء

« دراسة تحليلية تُعنَى بدلالة الآيات على علوِّ مقام الصحابة رضي اللّٰه عنهم »

بقلم
محمد سعد خلف الله الشحيمي
باحث بإدارة البحوث

بسم الله الرحمن الرحيم



افتتاحيـة

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّـلام على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وبعـــد:

فيسر « **دائرة الشـؤون الإسـلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارَها الجديد « **في ظلال آيات الثناء على الصحابة النجبـاء: دراسـة تحليلية تُعنَى بدلالة الآيات على علـوِّ مقام الصحابة رضي الله عنهم** » لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى العلم والمعرفـة.

وهذا الكتاب دراسةٌ متأنية مستفيضة تتناول بالشرح والتعليق معظم ما ورد في كتاب الله سـبحانه وتعالى من آيات الثناء والإشادة وعلامات الرضا والقبول، لصحابة رسول الله ﷺ الذين صحبوه بإحسان، وساروا

على نهجه بإتقان، وترسموا خطاه بعرفان، فكانوا هداة للأمّة، ومصابيح للأئمة من بعدهم، فأكرم بهم من قادة، وأعظم بجيلهم من جيل.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل سخاء، وفي مقدمتها **صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وينهض بطُلابه.

راجين من العلي القدير أن ينفع الأمة بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء من أجل خدمة الإسلام وأهله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى الله على النَّبيِّ الأميِّ الخاتم سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدكتور سيف بن راشد الجابري

مدير إدارة البحوث



بين يدي الكتاب

حمداً لله، وصلاةً وسلاماً على نبيِّه ومصطفاه من خلقه، وعلى آله وصحبه المترسمين هداه، والمقتفين آثاره رضي الله عنهم .

أمّا بعـــد:

عزيزي القارئ ... بين يديك كتاب لا ككل الكتب، ودراسة لا ككل الدراسات، إذ موضوعه من أشرف الموضوعات وأهمها، بل أخطرها، لا سيما في هذا الوقت بالذات، وهذا العصر بالتحديد، العصر الذي اختلطت فيه المفاهيم وتباينت أكثر من ذي قبل، لقلة أهل البصيرة الألباء، وندرة الحذاق الخبراء، ولفقدان ربان السفينة الماهر الخبير، وهي تبحر في موج متلاطم، وتخبط خبط عشواء.

لقد شرَّق النّاس وغربوا، وكتبوا وأطنبوا، ومدحوا وقدحوا، والجبالُ - كشأنها - رواسي ثابتات، ومَنْ رامها بسوء يصدق عليه قول الشاعر:

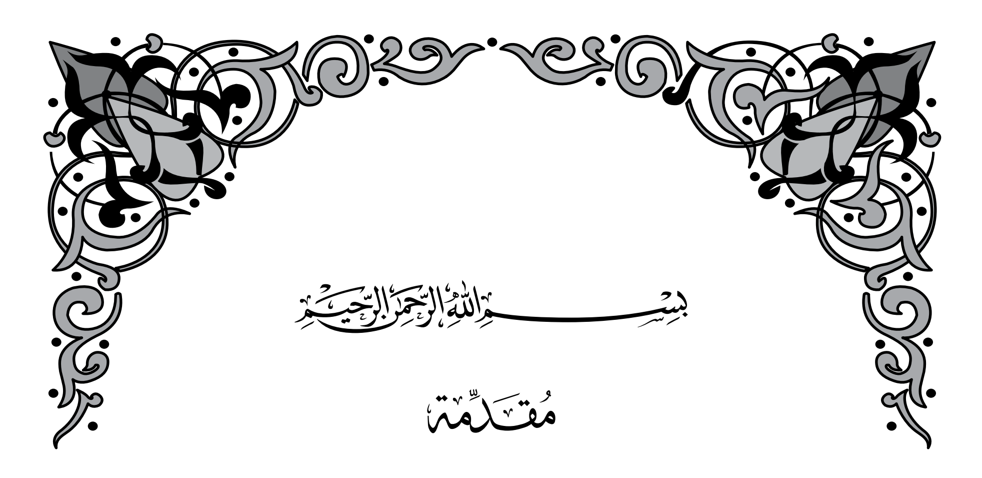
كناطح صخرةً يوماً ليوهِنَها فلم يَضِرْها وأوْهى قرنَهُ الوَعِلُ

فالصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – جبال الحق، كانوا وما زالوا شامة في جبين الزمان، تضيء للسائرين، وتهدي الحائرين، فهمُ القمة السامقة في ذرا المجد، التي لا تطالها قمة، مهما تطاولت، والقيمة الإنسانية المتفردة في سماء الخلد، التي لا تدانيها قيمة، مهما تجملت وتزينت، فقيمتها نابعة من ملاحظة عين راعيها ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه:٣٩]، وروضها النضير اليانع يشرق ويزهو من رعاية أنوار عيون حاديها، وقائد ركبها.. أعظم من وطئ الثرى، وهدى الورى، بنور بدا من أم القرى، فأضاء حالك الدُّجى.. إنّه رسولُ الله، منقذ البشرية وهاديها، بإذن ربه، إلى ما يسعدها ويحقق لها أمانيها.

يقدم لك هذا الكتاب صورة مفصلة للفضائل القرآنية الممتدة عبر الزمان، لذاك الجيل الربّاني الفريد المتفرد، نسيج وحده .. الذي نشأ وتربّى وترعرع ونهل وارتوى من سلسبيل عذب حديثه ﷺ، وذاق وتذوق وسَكِرَ من حلال شهد رحيقه، ولطيف شمائله وخُلقه .. فقد كان خلقه ﷺ – كما قالت زوجه – : القرآن ، والقرآن يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].. أعظم بها مِنْ شهادة له، ولمن تربى على يديه.

وكتبه: سيد المهدي أحمد

محقق كتب أول بالدائرة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمـد لله، أهـلِ الثناء والمجـد، وكلِّ عظمة وحَمـد، الكبيرِ المتعال، المتفـرد بالإفضـال، الذي يخلق ما يشـاء ويختـار، ويَقسِـم رحماته بالليل والنهـار، ويصطفـي مِـن عباده مَن سـبقت لهـم منه الحسـنى، وجرت بسـعادتهم الأقدار، فاصطفى برحمته أنبياء ومرسلين، وملائكةً مقربين، وأصحاباً لرسله هم صفوة السابقين، وأتباعاً لهم بإحسان إلى يوم الدين ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمـران: ٧٤]، والصّـلاة والسّـلام عـلى أشرف المرسـلين وخاتـم النبيـين ورحمـة الله للعالمـين، سـيِّدنا ومولانـا محمَّـــد وعـلى آلـه الطيبـين الطاهريـن، وأصحابـه أجمعين .

أمّا بعـــد: فإن الله تعالى قد أثنى في كتابه العزيز على أصحاب رسوله ﷺ ثناءً بالغاً، ووصفهم فيه بأكرم الصفات، وبيّن أنه تعالى تولّى إعدادهم ليكونوا أهلاً لما وصفهم به .

والمتتبـع لكتاب الله تعالى المتأمـلُ في آياته يجد عنايةً إلهية واضحةً بهذا

الجيـل الربـاني الفريد، جيل أصحاب رسـول الله ﷺ، الـذي نزل القرآن بين أظهرهم، وتشرفوا بصحبة وبتربية من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وهي عناية تتناسب مع شريف مقام نبيهم ﷺ، ومع عظيم ما أعدهم الله تعالى له: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الجمعة: ٢].

ويقـف المتأمـل على شـواهد عنايـة الله تعالى بهـم، من خـلال إنزاله القـرآن بالإجابة عن الكثير من أسـئلتهم، ومعالجـةِ الكثير من الأحداث التـي تقع لهم، والثناءِ على العديد من مواقفهم، وشـدِّ أَزْرِهم، وتذكيرهم بنعـم الله عليهـم بإنـزال السـكينة في قلوبهـم، ومدِّهـم بملائكتـه تقاتل معهـم، وتحذيرهم من عدوهـم، والتلطّف بهم، وتطييب قلوب بعضهم، والتخفيـف عنهم فيما يصيبهم في سـبيل الله، والدفاع عنهم، وكلها ألوان عديدة من العناية الإلهية.

ونجـد القـرآن الكريم ربـما عاتب بعضهـم عند الحاجـة، وربما أنذر واشـتد عـلى فريق منهم تحذيراً لهم أن يسـلكوا سـبلاً تُرْديهـم، أو لا تليق بهـم، وتنبيهـاً لما قد يغيب عنهم، وتذكيراً بنعمـة الله عليهم بالهداية، وبأن فيهم رسـولَه الـذي خصهم به وشرفهم بصحبته، فـإذا هم به متبصرون، ومستجيبون تائبون، وكلُّ ذلك من تربية القرآن لهم، حتى يؤهلهم لشرف عبوديـة الله تعـالى العبودية الخالصة، ويحقق فيهم إسـلام الوجه لله تعالى،

ويعدهـم لتحمل أعباء البلاغ مع رسـوله ﷺ، وخلافتـه من بعده، ونشر الهداية في العالمين.

ونجـد القـرآن الكريم يزخـر أيضاً بآيـات عظيمات في الثنـاء عليهم عامـة، والثنـاء على جماعـات منهم خاصـة، فأثنى عليهم بأنهـم خير أمة، وأن الله تعـالى أخرجهـم للنـاس، ووصف حالهـم وصفاً يقتـضي الرضا عنهم، بل يصرح به في آيات عدة كما حصل لأهل بيعة الرضوان وغيرهم، كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

ونجد القرآن ينبِّه إلى ذكر أوصاف أصحاب رسوله ﷺ وشمائلهم في الكتـب السـابقة تنويهـاً بشرفهـم، ويُثْنـي على صبرهـم وجهادهم، ويثنـي على شـهدائهم، ويبـشر فريقاً عظيـماً منهم بمغفـرة الله لذنوبهم وتوبتـه عليهم، ويشـهد لهم في مواطـن كثيرة بصدق الإيـمان، وصدق المتابعـة لرسـولهم ﷺ، ويعدهم جميعاً بالحسـنى- ووعْـدُ الله تعالى حقٌّ لا يتخلـف - كما جاء في قوله تعـالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديـد: ١٠]. وذلـك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا يتوقف ثناء القرآن عليهم عامة أو على جماعات منهم، بل يثني على أفراد منهم بأعيانهم .

وهكذا شرّف الله تعالى أصحاب رسوله ﷺ في كتابه بآيات وبدلائل واضحـات لـكل ذي عينـين، ونعمـوا بخصوصيـة واضحة مـن العناية

الإلهيـة، لم ينعم بها غيرهم جعلتهم خير أمة أخرجت للناس، وخير جيل عرفته البشرية.

ولـمّا كنا مأموريـن بتدبر آيات القرآن الكريم، وتدارس آياته، وقوفاً عـلى العِبر، ومعرفة لأحـوال أهل الفضل، ومسـيرة أهل الإيمان التماسـاً للقدوة الحسـنة فيهم، واسـتلهاماً للهداية من أحوالهم وسـيرهم، وتعرُّفاً على أقدارهم، أحببت أن أجمع -قدر طاقتي- الآيات التي وردت في فضل أصحاب رسـول الله ﷺ والثناء عليهم، سـواء كان ذلك عليهم جميعاً أو على جماعات أو أفراد منهم، غير قاصد الاسـتقصاء والاسـتيعاب، فذلك مالا طاقة لأحد به، لأن إشارات القرآن وإيماءاته لا تعد ولا تحصى، وربما يظهر لمتأمل فيها مالا يظهر لغيره.

وقـد تناولـت جملة مـن هـذه الآيات بالـشرح والبيـان، مركِّـزاً على مواطـن الإفـادة من أقـرب طريق، ومسـتحضراً - قدر الطاقـة- ما تيسر لي من جهود السـابقين مـن مفسرين، ومحدثين، ومتكلمـين، وأصوليين، وبيانيـين، ولغويـين وغيرهـم من خَدَمـة القـرآن الكريم، في تنـاول هذه الآيات، لأسـتخلص مما ذكر هؤلاء الكـرام الفوائدَ والقواطع واللطائف التي تدل على علو مقام الأصحاب، وتشرُّفِهم بمزيد عناية رب العالمين.

ويعلم الله كم تتبعت من مصادر لجمع هذه الآيات القرآنية محل هذا البحث، ككتـب فضائل الصحابة، وتراجمهم، وكتب أسـباب النزول،

متحرياً انتقاء أصح ما ورد فيها إذ ليس كل ما ورد فيها مُسَلَّماً، وكذلك ما اعتمده المحققون عند الاختلاف[١]، وتركت كثيراً من الآيات التي قيل إنها نزلت في حق بعض الأفراد لعدم استنادها إلى أحاديث أو آثار مقبولة بل هي شديدة الضعف أو موضوعة أو في متونها نكارة أو غرابة كما نبه المحققون .

وتتبعت كذلك في جمع هذه الآيات الكثير من كتب العقائد والملل والنحل، وكتب العقائد على طريقة المحدثين، المعروفة بـ«السنة»، ومباحث الجرح والتعديل في كتب مصطلح الحديث، وكتب أصول الفقه، وأهم الدراسات الحديثة المتعلقة بفضل الصحابة ومكانتهم، إذ لا تكفي مجرد قراءة القرآن الكريم لجمع ذلك، فضلاً عما استفدته من آيات خلال عملي في مشروع التفسير الميسر بدائرة الشؤون الإسلامية بدبي، وعملي في كتابي السابق: « من شواهد السنن والآثار على مودة الصحابة الأخيار ».

وغرضي من هذا البحث هو الوقوف على شواهد علو مقام الصحابة عند الله تعالى، من خلال كتابه الكريم الخالد، الذي لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا من خلفه، تعريفاً بعلو قدرهم، وطلباً للسير على منوالهم، والتماساً لرضوان الله في تعظيم مَن عظَّمه الله، وتوقير مَن أكرمه الله، ولعل الله أن يرزقني شفاعة أحدهم، وليكون زاداً وذكرى لمن أراد أن يتدبر شريف أحوالهم، وزاداً أيضاً في الدفاع عنهم - في وقت نحن أحوج

(١) سيأتي مزيد بيان لذلك في مقدمة الفصل الأول، ص ٣٧.

فيـه إلى ذلك- وفي الذَّب عن حِياض رسـول الله ﷺ من خلالهم، وتوفيةً لهؤلاء الآباء الكرام ببعض حقوقهم .

وهـذه الجولـة المباركة مع تدبـر الآيات قد اعتمـدت فيها على المنهج التحليلي لألفاظ وتراكيب وسياقات الآيات، وربطها عند الحاجة بأسباب نزولها، مسـتنبطاً من ذلك الدلالات واللطائف والفوائد، واعتمدت فيها كذلك المنهجَ التاريخي الذي يعتمد التوثيق في كل ما يحتاج إليه .

وقـد اقتضـت طبيعة البحث والغـرض منه أن أنبه عـلى الدلالة وإنْ وضحـت للكثيرين، وكذلـك أن أكثر النقول عـن المفسرين وغيرهم من العلماء في مواطن كثيرة تأكيداً على أن ذلك هو فهمهم، وأني في هذا العرض والاسـتنباط تابع لهم، فضلاً عمّا في عباراتهم من حبكة الصياغة، وضبط المعاني، وتعددها، وما فيها من شُفوف أنوار الصدق والإخلاص.

وقد سـبقني إلى دراسـة فضائل الصحابة في القرآن أفاضل، بعضهم اقتصد، وبعضهم توسع، ومن أهم هذه الدراسات الحديثة المنضبطة :

١- إتحاف ذوي النجابة بما في الكتاب والسُّـنة من فضائل الصحابة، للشيخ محمد العربي التباني رحمه الله تعالى.

٢- صحابة رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة للأستاذ الدكتور عيادة الكبيسي . (رسالة ماجستير).

٣- فضائل الصحابة في القرآن للأستاذ سيد أحمد الهاشمي. (رسالة ماجستير).

٤- عقيـدة أهل السـنة والجماعة في الصحابة الكـرام، لناصر بن علي عائض حسن الشيخ. (رسالة دكتوراه).

وقـد امتازت دراسـتي هذه - والحمد لله - عن الدراسـات السـابقة (على ما فيها من علم وفضل وسَبق) بالتَّوسُّع في جمع آيات الثناء والعناية، وفي عـرض المعاني والفوائد والدلالات، وامتازت عن بعضها بالاقتصار على ذِكر أولى الأقوال أو أصحها أو ما عليه أكثر المفسرين في معنى الآية، ومَنْ نزلت في حقه -وهـذا في الأعم الأغلب- وامتازت كذلك بالتركيز على مواطن الإفادة من أقرب طريق.

وأسـأل الله عـز وجل القبـول، وأن يتجـاوز عما وقع في هـذا العمل مـن خطأ أو تجـاوز أو زلـل، وأن ينفعني بـه والمسـلمين، وأن يجعله نوراً وشفاعة لي يوم ألقى رب العالمين، وأن يغفر لي ولوالدي وأهلي ومشايخي والمسلمين.

هـذا، وقـد قسـمت البحـث إلى: مقدمـة، وتمهيـد، وخمسـة فصول، وخاتمة.

أمّا المقدمة: ففي أهمية البحث وسبب اختياره، ومنهجي فيه.

والتمهيـد: في تعريـف الصحـابي، وطبقـات الصحابـة ومراتبهـم، وعددهم، وبعض الفضائل التي لا يشاركهم فيها غيرهم .

والفصل الأول: في ذكر جملة وافرة من فضائل الصحابة والثناء عليهم في القرآن الكريم إجمالاً [١].

وهـذا الفصل كافٍ إنْ شـاء الله لمن أراد أن يتعـرف على أكثر الآيات التي نزلت في فضائلهم.

والفصل الثاني: في ظلال آيات الثناء على الصحابة عامة .

والفصـل الثالث: في ظـلال آيات الثناء على أصحاب المشـاهد منهم مع رسول الله ﷺ .

والفصل الرابع: في ظلال آيات الثناء على جماعات من الصحابة.

والفصل الخامس: في ظلال آيات الثناء على أفراد من الصحابة .

الخاتمــة: واكتفيت فيها بالإشـارة إلى عظيم فضـل الله تعالى على هذا

---

(١) لمـا كنـت قد وقفت أثنـاء بحثي على آيات فيها ثناء على الصحابة، أو نزلت بسـببهم، أو نزلت موافقة لرأي أحدهم، أو استجابة لدعائهم، وكل ذلك مما يعد من مناقبهم، أو آيـات تـدل دلالة واضحة عـلى العناية بهـم رضي الله عنهم، وهي آيـات كثيرة لم آلُ جهـداً في جمعهـا، وكنت قـد تناولت في بحثي بعض هذه الآيـات أحببت أن أجمع هـذا ليحفظ، ولئلا يفوت ذلك على القـارئ . فجمعته في هذا الفصل الأول من هذا الكتاب موثقاً معزوّاً إلى مصادره، لعل الله أن ييسر لي أو لغيري من الباحثين استكمال جمع ذلك، والكلام على دلالاته على فضل الأصحاب رضي الله عنهم.

الجيـل الـذي اختـاره الله عـلى العالمـين لصحبة نبيـه ﷺ، وليكون أسـوة للأجيال اللاحقة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين .

وقد ألحقت بالكتاب الفهارس المعتادة، بالإضافة إلى:

- فهرس تفصيلي بالموضوعات وأبرز الفوائد والدلالات في الآيات.

- فهرس بالآيات القرآنية الواردة في الكتاب في فضائل الصحابة وما يجـري مجراهـا، فأذكر مواطنها في الكتاب كلـه، إلا في المبحث المخصص لشرحهـا وتفصليهـا فأذكرهـا في الموطـن الأول فيـه فقط، وذلـك لتعدد تكرارها فيه وتقسـيمها إلى جمل ومقاطـع عدة . وما عدا ذلك من الآيات فهي آيات مساعدة في البيان، و لم أجد كبير حاجة إلى فهرستها .

- وأضفـت أيضـاً فهرسـاً بأعلام الصحابـة المذكوريـن في الكتاب، الذيـن ورد أنـه نزلت فيهـم آيات ثناء، أو ما يجري مجـرى الفضيلة، وهذا الفهرس والذي سبقه يعدان من فوائد هذا البحث.

- وألحقـت بـه كذلـك فهرسـاً بالأئمة أصحـاب عيـون الأقوال في الصحابة الكرام الواردة في الكتاب ومواطن أقوالهم.

كلمة شكر واجبة:

وأخـيراً: فإني أتوجه بالشـكر إلى السّـادة العلـماء والزملاء الأفاضل بالدائرة وبقسم البحوث بها، الذين تدارست معهم مسائلَ في هذا الكتاب فتفضلوا عليّ بآرائهم وتوجيهاتهم السديدة.

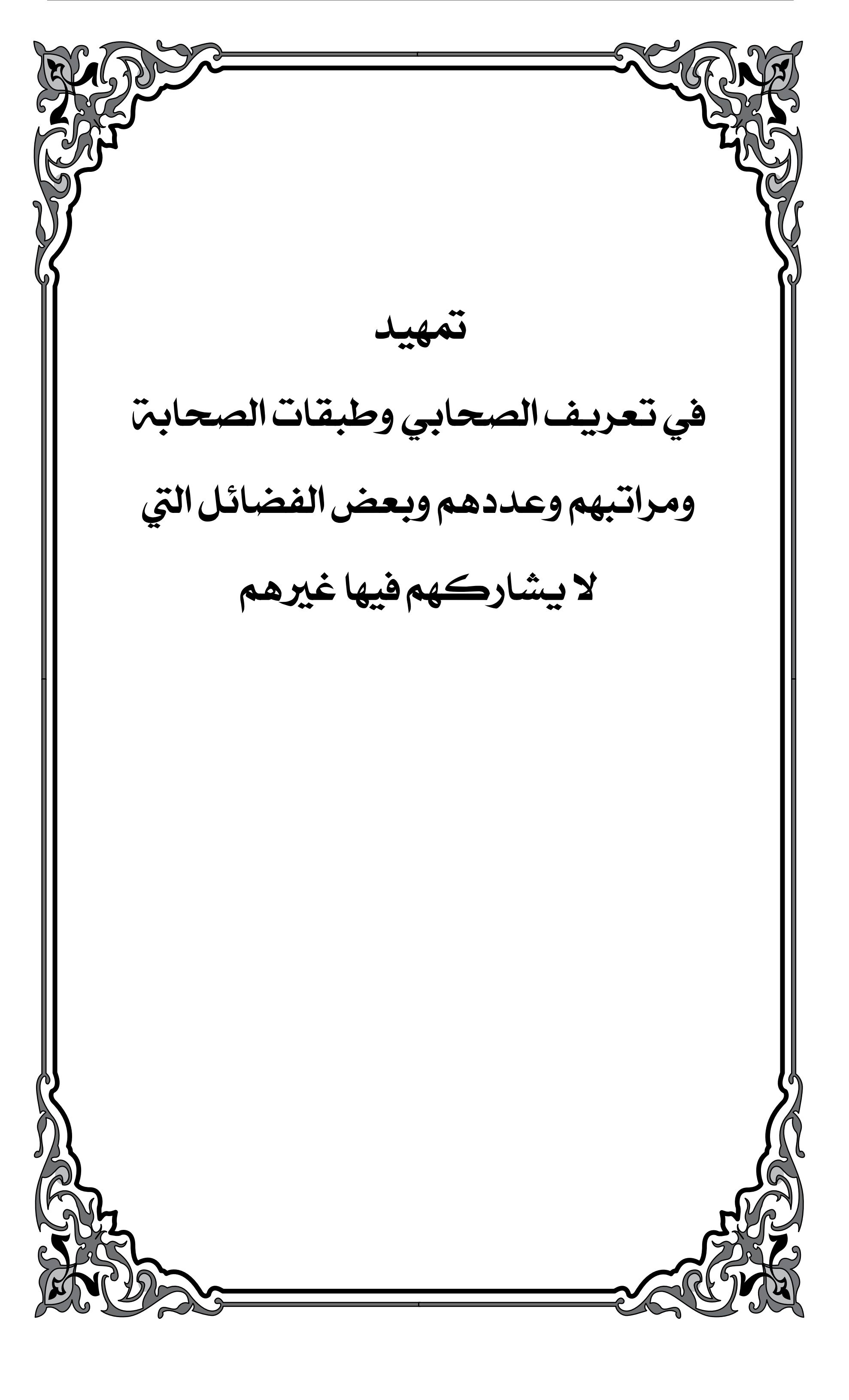
وأخصّ بالشكر والدعاء أستاذنا الكريم فضيلة الشيخ عبد العليم أبو ليلة كبير وعاظ بالدائرة، وأخي وزميلي الشـيخ البحاثة/ سـيد أحمد جمال نوارئي الحسـيني، ومـن خارج الدائرة أخـي الدكتور محمد كامل جـاد، عـلى تفضلهم بقراءة هـذا الكتـاب أو جلّه، وعلى مـا أفادوه من ملاحظات قيمة.

وأخـص بمزيـد الشـكر والدعـاء فضيلـة الشـيخ الدكتـور قطـب عبد الحميـد قطـب، مستشـار الوعظ والإرشـاد بالدائرة، الـذي قرأ هذا الكتاب تباعاً فما فتئ يشد عزمي ويفيدني بملاحظاته وتوجيهاته القيمة .

وأسـأل الله تعالى أن يجازي عني خير الجزاء والدي ومشـايخي الذين تعلمت على أيديهم الكثير من فضائل وحقوق أصحاب رسـول الله ﷺ، والذين كانوا يغرسون في تلامذتهم حبَّ آل بيت رسول الله ﷺ وأصحابه، ويوصـون بمزيـد الأدب معهـم، وكان لبعضهم الأثر البالـغ في توجهي للكتابة في كثير مما يخص الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

والحمد لله رب العالمين .





تمهيد

في تعريف الصحابي وطبقات الصحابة ومراتبهم وعددهم وبعض الفضائل التي لا يشاركهم فيها غيرهم





تمهيد

أولاً: تعريف الصحابي:

تعريف الصحابي لغة:

الصحابي مشتق من الصُّحْبة. والصحابة جمع صاحب، والصحابة بالفتح في الأصل مصدر الفعل صَحِبَ، يقال: صَحِبَه كَسَمِعَه يَصْحَبُه صَحَابَةً بالفَتْح، ويُكسَر، وصُحْبَةً بالضَّمِّ، أي عاشره[١]. وسمي به الشخص الذي صحب النبي ﷺ[٢].

« والصحبة في اللغة يتحقق مدلولها في شخصين بينهما ملابسة ما، كثيرة أو قليلة، حقيقة أو مجازاً، يقول الله تعالى: ﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾، و﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ وهو المرافق في السفر أو الزوجة »[٣].

---

(١) ينظر الصحاح للجوهري، ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس مادة (صحب).

(٢) ينظر شرح المحلي على جمع الجوامع ٢/ ١٩٦ .

(٣) د. فاروق حمادة، في مقدمة تحقيقه لكتاب فضائل الصحابة للنسائي ص ١٥ . والآيات على الترتيب: (سورة الكهف ٣٤، ٤٧، وسورة النساء ٣٦).

واللغـة لا تقيـد الصحبـة بقـدر مخصوص مـن الزمن، يقـول الإمام أبو بكر الباقلاني: « لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول (صحابي) مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشـتق من قـدر منها مخصوص، بل هو جار على كل مـن صحـب غيره قليـلاً كان أو كثيراً ... هذا هو الأصل في اشـتقاق الاسم » [١].

قال الإمام السخاوي في الصحابي: « وهو لغة يقع على من صحب أقلَّ ما يطلق عليه صحبة فضلاً عمن طالت صحبته وكثرت مجالسته » [٢].

تعريف الصحابي اصطلاحاً:

يقول الإمـام النووي رحمه الله: « اختلـف في الصحابي على مذهبين، **الصحيـح**: الذي قاله المحدثـون والمحققون من غيرهم: (أنه كلُّ مسـلم رأى رسـول الله ﷺ ولـو سـاعة). وبهـذا صرّح البخـاري في صحيحـه والباقون، وسواء جالسه أم لا.

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص ٦٩- ٧٠).

قـال الإمـام النووي في مقدمته لـشرح صحيح مسـلم (ص ١٦١) عقب ذكره كلام الباقـلاني: « هـذا كلام القاضي المجمـع على أمانتـه وجلالته، وفيه تقريـر للمذهبين ويُسـتدل بـه على ترجيـح مذهب المحدثـين، فإن هذا الإمـام قد نقل عـن أهل اللغة أن الاسـم يتنـاول صحبة سـاعة، وأكثر أهـل الحديث قد نقلوا الاسـتعمال في الشرع والعرف على وفق اللغة، فوجب المصير، والله أعلم ».

(٢) فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٨ .

والثاني: واختاره جماعة من أهل الأصول، وأكثرهم : (أنه مَن طالت صحبته له ﷺ ومجالسته على سبيل التّبَع)»[١].

وذكر الإمام السخاوي أن مذهب جمهور المحدثين وجمهور الأصوليين وغيرهم: أن الصحابي هو « من رأى النبي ﷺ حال كونه مسلماً عاقلاً ». وذلك لشرف منزلة النبي ﷺ[٢]. وهذا الذي اختاره الإمام الآمدي، وابن الحاجب[٣].

من تعريفات الأئمة للصحابي:

وقد عرّفه ابن حجر رحمه الله – وهو أشهر التعريفات وأصحها – بقوله: « مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وآله وسلَّم مؤمِناً بهِ وماتَ على الإسلام، ولو تَخَلَّلَتْ رِدَّةٌ؛ في الأصَحِّ »[٤].

قال ابن حجر منبهاً: « لا خفاء برجحان رتبة من لازمه صلى الله عليه وآله وسلم، وقاتل معه، أو قُتِل تحت رايته، على من لم يلازمه، أو لم يحضر معه مشهداً، وعلى مَن كلمه يسيراً، أو شاهده قليلاً، أو رآه على بُعْدٍ، أو في حال الطفولة، وإن كان شرف الصحبة حاصلاً للجميع »[٥].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٧٣. وينظر تفصيله في: تحقيق منيف الرتبة للعلائي (ص ٣٣ وما بعدها)، وفتح الباري ٧/ ٣، وما بعده .
(٢) ينظر فتح المغيث للسخاوي ٤/ ٨ .
(٣) ينظر الإحكام ٢/ ١٠٤، ومختصر المنتهى ١/ ٦٠١.
(٤) نزهة النظر شرح نخبة الفكر (ص ٥٥) .
(٥) السابق (ص ٥٦) .

وهذا التعريف – الذي ذكره ابن حجر – ونحوه هو الذي جرى عليه أئمة أهل الحديث من قبل.

قال الإمام أحمد بن حنبل: « كل من صَحِبه سنةً أو شهراً أو يوماً أو ساعة ورآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه » [١].

وقال الإمام علي ابن المديني: « مَن صَحِب النبيَّ ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي ﷺ » [٢].

وقال الإمام البخاري في صحيحه: « مَن صَحِب النبيَّ ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه» [٣].

وعرّفه ابن السبكي بأنه: « من اجتمع مؤمناً بمحمد ﷺ وإن لم يروِ، ولم يطل» [٤] . أي وإن لم يرو عن النبي ﷺ، وإن لم يَطُل اجتماعُه به .

فهذه هي تعريفات أئمة أهل الحديث للصحابي، وهو ما عليه جمهور المحدِّثين والأصوليين وغيرهم.

---

(١) أصول السنة لأحمد بن حنبل (ص ٤٠)، والكفاية (ص ٦٩) .

(٢) ذكره الحافظ في الفتح (٧/ ٥) . وعزاه إلى المستخرج لأبي القاسم ابن منده.

(٣) ٣/ ١٣٣٥، في كتاب فضائل الصحابة، ترجمة الباب الأول .

(٤) جمع الجوامع بشرح المحلي ٢/ ١٩٦ .

شرح تعريف الحافظ ابن حجر:

يقـول الحافظ ابـن حجر رحمـه الله: « والمـرادُ باللِّقاءِ ما هُـو أَعمُّ مِن المُجالَسَـةِ والمُماشاةِ ووصولِ أَحدِهما إِلى الآخَرِ وإِنْ لم يُكالِمْهُ، وتدخُلُ فيهِ رُؤيَةُ أَحدِهما الآخَرَ، سواءٌ كانَ ذلك بنفسِه أَو بغيْرِه .

والتَّعْبـيرُ بـ (اللُّقِيّ) أَولى مِن قولِ بعضِهم: الصَّحابيُّ مَن رأَى النبيَّ صـلى الله تعالى عليه وآله وسـلم؛ لأَنَّهُ يُخْرِجُ حينئـذٍ ابنَ أُمِّ مكتومٍ ونحوَه مِن العُميانِ، وهُم صحابةٌ بلا تردد، واللُّقي في هذا التَّعريف كالجِنْسِ .

وفي قَـوْلي: (مُؤمنـاً)؛ كالفَصْلِ، يُخْرِجُ مَن حَصَلَ لـهُ اللِّقاءُ المذكورُ، لكنْ في حالِ كونِه كافراً .

وقَـوْلي: (بـهِ) فصلٌ ثانٍ يُخْرِجُ مَن لَقِيَهُ مُؤمِنـاً لكنْ بغيرِه مِن الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام .

لكنْ: هل يُخْرِجُ مَن لَقِيَهُ مُؤمِناً بأنهُ سَيُبْعَثُ ولم يُدْرِكِ البِعْثَةَ كبحيرة؟ فيهِ نَظرٌ (١).

وقَوْلي: (وماتَ على الإِسـلامِ) ؛ فصلٌ ثالِـثٌ يُخْرِجُ مَنِ ارتَدَّ بعد أَنْ لَقِيَه مُؤمِناً به، وماتَ على الرِّدَّةِ؛ كعُبَيْدِ الله بنِ جَحْشٍ وابن خَطَلٍ .

وقَـوْلي: (ولو تَخَلَّلَـتْ رِدَّةٌ)؛ أي: بين لُقِيِّهِ له مؤمناً بهِ وبين موته على الإسـلام؛ فإِنَّ اسـمَ الصُّحبةِ باقٍ له، سـواءٌ أَرجَعَ إلى الإسـلام في حياتِهِ

---

(١) ينظر: الإصابة ١/ ١٥٨، وفتح المغيث للسخاوي ٤/ ١٥، وتدريب الراوي ٢/ ١٨٦ .

صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ أَو بعده، و سواءٌ أَلَقِيَهُ ثانياً أَمْ لا !. وقَوْلي: (في الأصحِّ)؛ إِشارةٌ إِلى الخلاف في المسألة . ويدلُّ على رُجْحان الأوَّل قصَّةُ الأشْعَثِ بنِ قيسٍ؛ فإِنَه كان ممَّن ارتَدَّ، وأُتِيَ به إلى أبي بكر الصدِّيقِ أَسيراً، فعادَ إلى الإسلام، فقَبِلَ منهُ ذلك، وزوَّجَهُ أُخْتَهُ، ولم يتخلَّفْ أَحدٌ عنْ ذِكْرِهِ في الصَّحابةِ ولا عنْ تخريجِ أحاديثِه في المَسانيدِ وغيرِها »[١].

ويشمل وصفُ الصحبة الأحرارَ والموالي، والذكور والإناث، والصغير الذي رأى النبيَّ ﷺ وعقل منه ﷺ شيئاً، وأما الصغير الذي رآه النبيُّ ﷺ ولم يعقل عنه شيئاً فصحابي من حيث رآه النبيُّ ﷺ، وبعض العلماء لم يعده في الصحابة.

ويدخل في الصحبة مَنْ رآه ﷺ من الجن حالة كونه مؤمناً به ﷺ ومات على ذلك، لأن النبيَّ ﷺ بُعث إليهم قطعاً، ولا يدخل فيه من رأى النبيَّ ﷺ ميتاً، ولا يدخل فيه من رآه مناماً[٢].

ثانياً: عدد الصحابة:

اختلف العلماء في تحديد عدد أصحاب رسول الله ﷺ، وكلُّ ما نُقل عنهم في ذلك هي أقوالٌ تقريبية، فقيل: كان عددهم زيادة عن مائة ألف صحابي، وقيل: مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً.

---

(١) نزهة النظر (ص ٥٥- ٥٦)، وينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٥٨-١٦٠.

(٢) ينظر ذلك في فتح المغيث ٤/ ١٠- ١٤ .

فقـد روى الخطيـب البغدادي بسـنده عن الإمـام أبي زُرعـة الرازي قال: « قبض رسـول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممـن روى عنه وسـمع منه، فقال له الرجل: يا أبـا زُرعة، هؤلاء أين كانوا وسـمعوا منه ؟ قال: أهـل المدينة وأهل مكة ومن بينهـما والأعراب ومَنْ شَهِد معه حجة الوداع، كُلٌّ رآه وسمع منه بعرفـة »(١).

وذكر ابن حجر عن أبي زُرعة الرازي قال: « توفي النبي ﷺ ومَن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان مِن رجلٍ أو امرأة »(٢).

وقـال ابن الأثير رحمـه الله: « وأمّا عدد أصحـاب النبيِّ ﷺ فمن رام حصر ذلك رام أمراً بعيداً، ولا يعلم ذلك حقيقة إلا الله عز وجل لكثرة من أسـلم من أول البعث إلى أن مات رسولُ الله ﷺ، وذلك ثلاث وعشرون سنة، أو خمس وعشرون، وأقلُّه عشرون.

وقـد ورد أنـه سـار عـام الفتح في عـشرة آلاف مـن المقاتلـة، وإلى حنـين في اثني عشر ألفاً، وإلى حجّة الوداع في أربعين ألفاً، وإلى تبوك في سبعين ألفاً (٣).

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي آداب السامع للخطيب البغدادي ٢/ ٢٩٣ .
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٥٤ .
(٣) كـذا روي هـذا العـدد في حجة الوداع وغزوة تبـوك عن أبي زرعة الـرازي، رواه عنه الخطيب بسنده في الجامع ٢/ ٢٩٣.

وقد روي أنه قبض رسولُ الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً، والله أعلم بحقيقة ذلك[١].

والذي جرت به عادة أهل العلم فيما صنَّفوه من كتب أسماء الصحابة أنهم يذكرون إما من اشتهر بالصُّحبة، أو من روى منهم عنه، أو من له ذِكر في حديث، أو بعض من رآه ممن هو مشهور معروف، ونحو ذلك من الرجال، والنساء، والصّبيان » [٢].

ثالثاً: طبقات الصحابة ومراتبهم:

الصحابة رضوان الله عليهم ليسوا مرتبة واحدة في الفضل، بل هم مراتب عِدّة، فالله عزّ وجلّ فاضَلَ بينهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

يقول أبو السعادات ابن الأثير رحمه الله: « وأمّا مراتب الصَّحابة، فعلى الإجمال: أن المهاجرين أفضل من الأنصار، وأمّا التفصيل: فإن جماعة من سُبَّاق الأنصار أفضل من جماعة من متأخري المهاجرين، وإنَّما

---

(١) يقول العلامة الشيخ محمد أبو شهبة: « والحق أن ضبط العدد على التحديد الدقيق متعذر، وأن كلّا قال ما قال على اجتهاده، وما وصل إليه علمه، ولعل ما ذكره أبو زرعة هو الأقرب إلى الحق والصواب». (الوسيط ٥١٩)

(٢) جامع الأصول ١٢/ ١٢٠- ١٢١ .

سُـبَّاق المهاجرين أفضل من سُـبَّاق الأنصار، ثم هم بعد ذلك متفاوتون، فَرُبَّ متأخر في الإسـلام أفضـل من متقدم عليه، مثـل عمر بن الخطاب، وبلال بن رباح »[١].

وقـد قال الإمـام أحمد بعد أن ذكر أهل بدر وتقديمهم في الفضل على غيرهـم: « ثـم أفضـل الناس بعد هـؤلاء أصحاب رسـول الله ﷺ القرن الذي بُعث فيهم، كلُّ مَن صحبه سـنة أو شـهراً أو يوماً أو ساعة ورآه فهو مـن أصحابـه، له مـن الصحبة على قدر مـا صحبه، وكانت سـابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه »[٢].

ترتيب العلماء لطبقات الصحابة:

قَسّم العلماء حسب اجتهادهم الصحابــة رضي الله عنهم إلى طبقات بحسـب السـبق إلى الإســلام والفضـل، واختلفـوا فيها، يقول الشـــيخ أحمـــد محمـد شـاكر رحمـــه الله تعالى: « واختلفـوا في طبقـات الصحابـة، فجعلهـا بعضهـم خمس طبقـات، وعليه عمل ابن سـعد في كتابـه[٣] ...،

(١) جامع الأصول ١٢/ ١١٨ .

(٢) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، ص ٦٩ .

(٣) أي الطبقات الكبرى. وهذه الطبقات هي:

الأولى: من شهد بدراً من المهاجرين والأنصار.

الثانية: من لهم إسلام قديم ولم يشهدوا بدراً ومن شهد أحداً.

الثالثة: من أسلم بعد أحد وقبل فتح مكة. =

وجعلـها الحـاكم اثنتي عشرة طبقـة، وزاد بعضهم أكثر من ذلك »[(١)].

وذكـر الإمام أبو السـعادات هـذه الطبقات الاثنتي عـشرة، مختصراً ومهذباً وموضحاً ما نقل عن الحاكم النيسـابوري في ذلك[(٢)] فقال: « ذكر العلماء للصحابة ترتيباً على طبقات:

الطبقة الأولى: قوم أسـلموا بمكَّة أول البَعْثِ، وهم سُبَّاق المسلمين، مثل خديجة بنت خويلد، وعلي بن أبي طالب، وأبي بكر الصِّدِّيق، وزيد بن حارثة، وبقية العشرة، ومن أسلم أولاً.

قـال الحاكـم أبو عبد الله النيسـابوري رحمـه الله: لا أعلـم خلافاً بين أصحاب التَّواريخ أن عليَّ بن أبي طالب أولهم إسـلاماً[(٣)]، إنَّما اختلفوا في بلوغه، وهل كان لما أسـلم بالغاً أو صبياً، والذي أجمع عليه المسـلمون أن أوّل الناس إسـلاما خديجة زوج النبيِّ ﷺ، ثم قيل: إن أول من أسـلم من الرِّجال أبو بكر الصِّدِّيق، ومن الصبيان عليّ، ومن العبيد زَيْد.

الطبقة الثانية: أصحاب دار النَّدوة بعد إسلام عمر بن الخطَّاب.

= **الرابعـة:** مسلمة الفتح ومن أسلم بعد الفتح.

الخامسة: من توفي رسول الله ﷺ وهم أحداث الأسنان مثل الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وابن عباس ... (علم الرجال نشأته وتطوره لمحمد بن مطر الزهراني، ص٧١).

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للشيخ أحمد محمد شاكر (٢/ ٥٠٤) .

(٢) ينظر معرفة علوم الحديث للحاكم، النوع السابع، (ص ١٥٨- ١٦٤) .

(٣) قـال ابـن الصـلاح في مقدمتـه (ص ٤٩٧): « واسـتُنكِر هـذا من الحاكـم » . ثم قال: « والأورع أن يقـال: أول مـن أسـلم من الرجـال الأحرار أبو بكر، ومـن الصبيان أو الأحداث: عليٌّ، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد، ومن العبيد بلال. والله أعلم».

الطبقة الثالثة: الذين هاجروا إلى الحبشة فِراراً بدينهم من أذى المشركين أهل مكّة، منهم جعفر بن أبي طالب، وأبو سَلَمة بن عبد الأسد.

الطبقة الرابعة: أصحاب العقبة الأولى، وهم سُبَّاق الأنصار إلى الإسلام، وكانوا ستة: أسعد بن زُرَارة، وعوف بن مالك، ورافع بن مالك بن العجلان، وقُطبة بن عامر، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن رِئاب، وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام.

وأصحاب العقبة الثانية من العام المقبل، وكانوا اثني عشر، وهم: أسعد بن زُرارَة، وعوف ومعوّذ ابنا الحارث، ورافع بن مالك بن العجلان، وذكوان بن عبد القيس، وعُبادة بن الصَّامت، ويزيد بن ثعلبة، والعبَّاس بن عُبادة بن نضلة، وعقبة بن عامر، وقطبة بن عامر، وشهدها من الأوس حليفان لهم، أبو الهيثم بن التَّيِّهان، وعويم بن ساعدة، وبعض هؤلاء الاثني عشر كانوا من النُّقباء.

الطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثالثة، وكانوا سبعين من الأنصار، منهم البراء بن مَعْرُور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن عُبَادة، وسعد بن الرَّبيع، وعبد الله بن رواحة.

الطبقة السادسة: المهاجرون الذين وصلوا إلى النبيِّ ﷺ بعد هجرته وهو بقبَاء قبل أن يبني المسجد وينتقل إلى المدينة.

الطبقة السابعة: أهل بدر الكبرى.

الطبقة الثامنة: الذين هاجروا بين بدر والحُدَيبية.

الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرُّضوان الذين بايعوا بالحُدَيبية تحت الشَّجرة.

الطبقة العاشرة: الّذين هاجروا بعد الحُدَيبية وقبل الفتح.

الطبقة الحادية عشرة: الذين أسلموا يوم الفتح، وهم خلق كثير، منهم من أسلم طائعاً ومنهم من أسلم كارهاً ثم حَسُنَ إسلام بعضهم دون بعض، والله أعلم بهم.

الطبقة الثانية عشرة: صبيان أدركوا النبيَّ ﷺ، ورأوه يوم الفتح وبعده، وفي حجَّة الوداع »[1].

قال الإمام ابن الصلاح: « أفضلهم على الإطلاق أبو بكر، ثم عمر، ثم إن جمهور السلف على تقديم عثمان على عليٍّ، وقدَّم أهل الكوفة من أهل السنة عليّاً على عثمان، وبه قال منهم سفيان الثوري أولاً، ثم رجع إلى تقديم عثمان، روى ذلك عنه وعنهم الخطابي. وممن نقل عنه من أهل الحديث تقديم عليٍّ على عثمانَ محمدُ بن إسحاق بن خزيمة، وتقديم عثمان هو الذي استقرت عليه مذاهب أصحاب الحديث وأهل السنة .

وأمّا أفضل أصنافهم صنفاً: فقد قال أبو منصور البغدادي التميمي[2]: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم

---

(١) جامع الأصول ١٢/ ١١٩- ١٢٠ .

(٢) أصول الدين لأبي منصور البغدادي (ص ٣٠٤) .

الســتة الباقون إلى تمام العشرة، ثم البدريون، ثـم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية»[١].

رابعاً: فضائل للصحابة لا يشاركهم فيها أحد:

وأمـا فضائـل الصحابـة التي لم يشـاركهم فيهـا غيرهم، فقـد ذكرها أبو العبـاس القرطبـي في «المفهـم»، والحافـظ العلائـي في « تحقيق منيف الرتبة »، وهي ثمان كالآتي[٢]:

«**أولها**: مزية الصحبة ومشاهدة رسول الله ﷺ .

وثانيها: فضيلة السبق للإسلام .

وثالثها: خصوصية الذبِّ عن حضرة رسول الله ﷺ .

ورابعها: فضيلة الهجرة والنصرة .

وخامسها: ضبطهم للشريعة وحفظها عن رسول الله ﷺ [٣].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ٤٩٥- ٤٩٦) .

(٢) هذا نص القرطبي، وذكر العلائي نحوه (تحقق منيف الرتبة ص ٨٦- ٨٧).

(٣) **يقول الإمام الشـافعي رحمه الله**: « وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسـول الله ﷺ في التوراة والإنجيل، وسـبق لهم على لسـان رسـول الله ﷺ مـن الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك من بلوغ أعلى مراتب الصديقين والشهداء والصالحين، هم أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوا الوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسـول الله ﷺ عامّاً وخاصاً، وعزماً وإرشـاداً، وعرفوا من سـنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمرٍ اسـتدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا، والله أعلم». (مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٤٢).

وسادسها: تبليغها لمن بعدهم .

وسابعها: السبق في النفقة في أول الإسلام .

وثامنها: أن كل خير وفضل وعلم وجهاد ومعروف فُعِل في الشريعة إلى يوم القيامة، فحظهم منه أكمل حظ، وثوابهم فيه أجزل ثواب؛ لأنهم سنوا سنن الخير، وافتتحوا أبوابه، وقد قال ﷺ: « مَن سَنَّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة »، ولاشك في أنهم الذين سنوا جميع السنن، وسابقوا إلى المكارم . ولو عددت مكارمهم، وفسرت خواصهم، وحصرت لملأت أسفاراً، ولظلت الأعين بمطالعتها حيارى »[(١)] .

وزاد العلائي: « فهم مساهمون لجميع الأمة في كل أجر يحصل لها إلى يوم القيامة، مع ما اختصوا به مما تقدّم ذكره »[(٢)] .

فهذه بعض فضائلهم التي لا يشاركهم فيها غيرهم .

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/ ٥٠٢، وقد ذكرها القرطبي والعلائي بعد أن ذكرا رأي الحافظ ابن عبد البر: وهو أنه يمكن أن يأتي من بعد الصحابة من هو أفضل ممن كان في جملة الصحابة. وذكرا أن معظم العلماء قد ذهب إلى خلاف هذا، وهو أن من صحب النبي ﷺ ورآه ولو مرة من عمره، أفضل من كل من يأتي بعده، وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل. وذكرا أنه الحق الذي لا ينبغي أن يصار إلى غيره، ثم انتصرا لرأيهما بهذه المزايا للصحابة التي لا يشاركهم فيها غيرهم، وبعدة أحاديث.

(٢) تحقيق منيف الرتبة (ص ٨٧) .

الفصل الأول
في ذكر جملة وافرة من فضائل الصحابة والثناء عليهم في القرآن الكريم إجمالاً

ويشتمل على :

أولاً: ما ورد في فضلهم جميعاً .

ثانياً: ما ورد في أهل بدرٍ .

ثالثاً: ما ورد في فضل أهل أحد .

رابعاً: ما ورد في فضل أهل الخندق .

خامساً: ما ورد في فضل أهل بيعة الرضوان بالحديبية .

سادساً: ما ورد في فضل أهل غزوة العسرة .

سابعاً: ما ورد في سرية عبد الله بن جحش .

ثامناً: ما ورد في فضل فقراء الصحابة وضعفائهم رضي الله عنهم .

تاسعاً: ما ورد في عذر المستضعفين بمكة وفضلهم .

عاشراً: ما ورد في فضل المهاجرين .

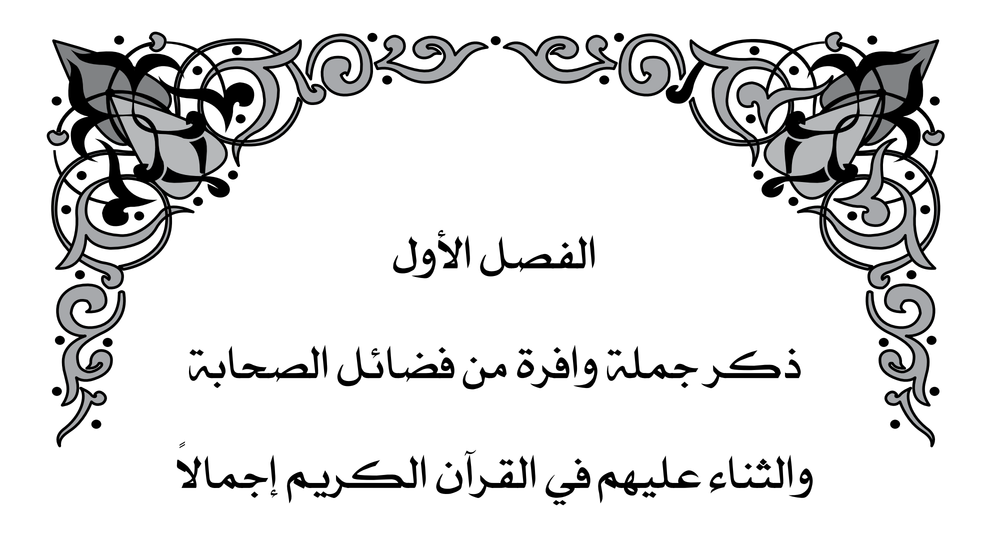
حادي عشر: ما ورد في فضل المهاجرين والأنصار .

ثاني عشر: ما ورد في فضل آل البيت (الزوجات والقرابة) .

ثالث عشر: ما ورد في فضل من آمن منهم من أهل الكتاب .

رابع عشر: ما ورد في حق أفراد منهم رضي الله عنهم .





الفصل الأول

ذكر جملة وافرة من فضائل الصحابة
والثناء عليهم في القرآن الكريم إجمالاً

نذكر في هذا الفصل جملة من آيات القرآن التي دلت نصاً، أو إشارة على فضائل الصحابة، جميعهم أو بعضهم، جماعات أو أفراد، سواء اتفقت الروايات المعتبرة على تعيينهم أو اختلفت، أو نصَّ أئمة أهل التفسير أو أهل العلم على الاتفاق على نزولها في حق أحدهم أو بعضهم، أو أن هذا قول الجمهور أو الأكثر، أو نُصَّ على أنه هو الراجح أو الصواب، أو كان اختيار أحد الأئمة المحققين من غير معارض قوي .

وكذلك نذكر بعض الآيات التي دلت بسياقها أو بدلالة توجيه الخطاب إليهم على فضلهم، أو دلت على ذلك بسبب نزولها الوارد فيها، سواء كان بفعل منهم أو سؤال، أو استجابة لدعائهم، أو جبراً لخاطرهم، أو كانت قبولاً لعذرهم أو عفواً عنهم لعلم الله بما في قلوبهم ونحو ذلك، فهذه كلها فضائل ودلالات واضحة على عناية رب العالمين بهم،

وهذه العناية وحدها تُعد مِن مناقب مَن نزلت الآيات في حقه أو بسببه، ونذكر أيضاً جملة من آيات نزلت موافقة لرأي بعضهم، فهذا مما يعد في باب المناقب، ثم أُقدم للآية أو أُعلق بما يوضح المراد أو أُحيل إلى موطن البيان.

وأذكِّر القارئ الكريم أيضاً بما سبق ذكره في مقدمة هذا الكتاب أني لم أقصد استيعاب الآيات، وأن ذلك مما يصعب القيام به .

ولعلي بذكر هذه الجملة الوافرة من الآيات القرآنية في هذا الفصل أُسْعِف من أراد أن يتعرف على علو منزلة الصحابة في القرآن الكريم، وأوقفه على ألوان عدة من ألوان عناية القرآن بأصحاب خيرة خلقه وسيد رسله سيدنا محمد ﷺ، تجعله يتأمل ويستخرج مزيداً من الدلالات.

وسوف نذكر إن شاء الله تعالى، أولاً ما ورد في فضلهم جميعاً، ثم ما ورد في فضل جماعات منهم، ثم ما ورد في فضل الأفراد .

أولاً: ما ورد في فضلهم جميعاً، ومن ذلك:

١ - بيّن الله تعالى أنهم خير جماعة أخرجت للناس، قائمة بالحق، وقائمة على الحق، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[1] [آل عمران: ١١٠].

(١) سيأتي الكلام عليها تفصيلًا في الفصل الثاني .

٢- واصطفاهم الله تعالى، فاختارهم لدينه ولرسوله دون غيرهم من المشركين، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩]. يقول الطبري: « اجتباهم لنبيه محمد ﷺ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوة نبيه » (١).

٣- وبيَّن تعالى حالهم وطيب مآلهم، بما وصفهم به من أشرف الصفات، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(٢) [الفتح: ٢٩].

٤- ووصفهم الله تعالى بأنهم الساجدون الخاشعون له المقبلون عليه تعالى في صلاتهم، في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء ٢١٧- ٢٢٠]، يعني:

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٩٨ .وذكر الطبري أقوال أئمة التفسير. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وينظر تفسير البغوي ٦/ ١٧١، وزاد المسير: ٦/ ١٨٥ . ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾. [فاطر: ٣٢].

(٢) سيأتي الكلام عليها تفصيلًا في الفصل الثاني .

وتوكل أيها النبي الكريم على ربك العزيز الرحيم، المطلع عليك، الذي يراك حين تقوم إلى الصلاة منفرداً، ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد. وهذا قول أكثر المفسرين[(١)].

٥- وأشار الله تعالى إلى أنهم أهل الرشاد والهدى، المبتعدون عن الفسق والفحش والأذى والإفساد، وذلك في مقام تنزيه النبي ﷺ عن أن يكون شاعراً، ببيان حال الشعراء المنافية لحاله ﷺ، وحال أتباعهم المنافية لحال أتباع محمد ﷺ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، يعني: وأما أتباع محمد فهم خيرة قومهم، ليس فيهم أحد من الغاوين[(٢)].

٦- ووعدهم الله تعالى بالاستخلاف في الأرض وبالتمكين فيها بنشر الدين، وأن يبدل خوفهم أمناً[(٣)] بشرطه الذي شرطه، وذلك في

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٦٦٩، وزاد المسير ٦/ ١٤٨، وفتح القدير ٤/ ١٢٠.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٦٧٣، وأبي السعود ٦/ ٢٦٩-٢٧٠، والتحرير والتنوير ١٩/ ٢٠٨.

(٣) روى الضياء المقدسي بسنده - في سبب نزول هذه الآية - عن أبي العالية عن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآواهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا في كذا (فقالوا) أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ يعني بالنعمة ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾». الأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٣/ ٣٥٣، رقم ١١٤٥، وبنحوه رقم ١٤٤٦. =

قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1] [النور: ٥٥]. فلمّا تحقق استخلاف الله لهم في الأرض- فكان منهم الخلفاء الراشدون بعد نبيهم ﷺ، وتحقق تمكين الله تعالى لهم فيها وعبادتهم لله تعالى غير خائفين، كما كانوا في أول الدعوة[2]- علم أنهم حققوا الشرط، وهو الإيمان، وعمل الصالحات، والطاعة المطلقة له تعالى ولرسوله، والعبادة الخالصة له سبحانه، فكانوا أهلاً للاستخلاف.

= وقد روى البخاري في صحيحه، ٣/ ١٣٢٢، رقم ٣٤١٦، في علامات النبوة قول النبي ﷺ لأصحابه بمكة: « **والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللهَ أو الذئبَ على غنمه ولكنكم تستعجلون** » .

(١) ينظر ما ورد في تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٢٩، حديث رقم ١٤٧٧٢، والمستدرك للحاكم ٢/ ٤٠١، وزاد المسير ٦/ ٥٧ . وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على ترتيب الخلفاء الراشدين في الخلافة على هذا النحو من الترتيب، وصحة خلافتهم. ينظر الإنصاف للباقلاني (ص ١١١) .

(٢) **يقول الإمام الآجري**: « فقد والله أنجز الله عز وجل الكريم للمهاجرين والأنصار ما وعدهم به، جعلهم الخلفاء من بعد الرسول، ومكنهم في البلاد، ففتحوا الفتوح، وغنموا الأموال، وسبوا ذراري الكفار، وأسلم على أيديهم من الكفار خلق كثير، وأعزوا دين الله عز وجل، وأذلوا أعداء الله عز وجل، وظهر أمر الله ولو كره المشركون، وسنوا للمسلمين السنن الشريفة، وكانوا بركة على جميع الأمة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢]». (الشريعة ٤/ ١٦٣٧ طبعة دار الوطن).

٧- ووصفهم الله بأنهم أهل الجهاد في سبيله، بياناً لمنزلتهم وبشرى لهم بقبوله، وبأنهم هم المفلحون، وأنهم أهل الخيرات الموعودون بالجنات في قوله تعالى: ﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] [التوبة: ٨٨ - ٨٩].

٨- ووصفهم الله تعالى بالصدق الشامل لصدق الإيمان، وصدق الفعل والقول، وذلك بعد أن تاب الله على الثلاثة الذين خُلِّفوا عن الخروج لغزوة تبوك، وأمر المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين لا مع المنافقين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[2] [التوبة: ١١٩].

---

(١) سيأتي الكلام عليها تفصيلًا في الفصل الثاني .

(٢) وقد قيل في تفسيرها: مع محمد وأصحابه، وقيل مع المهاجرين، وقيل مع أبي بكر وعمر، وقيل مع أبي بكر وعمر وأصحابهما . ينظر تفسير الطبري ١٢/ ٦٧، ٦٨ .

وينظر حديث الثلاثة الذين تاب الله عليهم -وهم كعب بن مالك، وهلال بن أميّة، ومرارة بن الربيع - في صحيح البخاري، ٤/ ١٦٠٣، رقم ٤١٥٦، ورواه أيضاً في صحيحه (٤/ ١٧١٩، برقم ٤٤٠١): عن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب بن مالك- قال: « سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلّف عن قصة تبوك: فوالله ما أعلم أحداً أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني، ما تعمّدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾».

٩- وبيّن الله تعالى أن أصحاب رسوله ﷺ في الفضل درجات، فقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

١٠- وأمر الله رسوله بالعفو عنهم والاستغفار لهم ومشاورتهم ثقة بهم، فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

١١- وبيّن الله أنه حبّب إليهم الإيمان، وما يقتضيه من الطاعة، ففضل الله عليهم كبير وعنايته بهم واضحة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧].

١٢- وامتدح الله امتثالهم، باتقاء ما نهاهم عنه وما حذرهم منه، ووعدهم بذلك مغفرة وأجراً عظيماً، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ

أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] [الحجرات: ٢ - ٣].

١٣ - وبشَّرهم الله بقبول بيعتهم، ووصفهم بأشرف الصفات، ليسرَّهُم ويبين عِظَم ما هم عليه، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «لما نزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله، لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل». وقال الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ونحوه في المصنف لابن أبي شيبة حديث رقم ٣٥٥٧٦، عن محمد بن إبراهيم مرسلاً .

وفي صحيح البخاري (٤/ ١٨٣٣، رقم ٤٥٦٤): «فما كان عمر يُسمع رسولَ الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه».

وأخرج الطبري في المعجم الكبير (٢/ ٦٨، برقم ١٣١٦) عن ثابت بن قيس بن شَمّاس، عن أبيه [كذا] قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢]، قعد ثابت في الطريق يبكي، فمر به عاصم بن عدي، قال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: أنا رفيع الصوت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيَّ، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا بني أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟**»، فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، لا أرفع صوتي أبداً على رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ ﴾ [الحجرات: ٣] الآية. وينظر صحيح البخاري ٤/ ١٨٣٣، حديث رقم ٤٥٦٥، حيث أرسل الرسول ﷺ إليه بالبشرى لما تخوف من هذه الآية، فقال لرجل من أصحابه: «**اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة**».

وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(1) [التوبة: ١١١- ١١٢].

١٤- وبشَّرهم الله تعالى جميعاً بالفضل الكبير، في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٧] فالمبشرون بها ابتداءً هم أصحاب رسول الله ﷺ، ونحن لهم تبع، والفضل الكبير هو الجنة (2).

١٥- وخاطبهم الله عز وجل خطاب تشريف بأنه سماهم عنده المسلمين، فهم أهل إسلام لله تعالى ظاهراً وباطناً، وذلك في قوله تعالى: **﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ**

---

(١) جاء في سبب نزول هذه الآية أنها في بيعة الأنصار ليلة العقبة، ينظر لباب النقول (ص ١١٨)، وتفسير البغوي ٤/ ٩٨.

(٢) قال ابن عطية رحمه الله: « قال لنا أبي رضي الله عنه: هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى؛ لأن الله تعالى أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بِأَنَّ لَهُمْ عنده فَضْلًا كَبِيراً، وقد بين تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾». (المحرر الوجيز ١٢/ ٨١- ٨٢).

وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨]. فهم أول المخاطبين بهذه الآية، ونحن تبع لهم.

١٦- وشهد لهم بما في قلوبهم من الإيمان وأنهم استكملوا أركانه فقال: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] [البقرة: ٢٨٥].

١٧- وحذَّرنا الله أن ننهج غير سبيلهم، لأنه السبيل الممدوح الذي من أعرض عنه هلك، فنؤمن كما آمنوا ونطيع كما أطاعوا، ونقتدي بهديهم، ونستمسك بإجماعهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[2] [النساء: ١١٥].

١٨- وأمرنا الله أن نواليه سبحانه ونوالي رسوله ﷺ ونوالي المؤمنين، نصرةً وانتماءً ومحبةً، والصحابةُ هم أول المؤمنين، فأَمرنا بأن نواليهم

---

(١) ينظر حديث أبي هريرة في ذلك: « فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾». (صحيح مسلم ١/ ١١٥، رقم ١٢٥) وفي هذا الحديث فضيلة أخرى، وهي موافقة الوحي لما قال الصحابة، وهو قولهم: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ونزول الوحي بها.

(٢) ينظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٧ .

كما أَمَرهم أن يوالي بعضُهم بعضاً دون غيرهم من غير أهل الإيمان، ومدحهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والخشوع له تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥].

١٩- وجعل اللهُ وجودَهم بين المشركين سبباً في أن يدفع الله العذاب عنهم- وهم مشركو مكة- وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾. [الفتح: ٢٥] فأكرم الله لأجلهم غيرهم .

٢٠- وبين الله حرمة إيذاء الله ورسوله، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [الأحزاب: ٥٧]. ومن إيذائه ﷺ إيذاء أصحابه .

٢١- وأمرنا الله تعالى بالاستغفار لهم، وإحسان الظن بهم، واستشعار أخوتهم، وفضل سبقهم إلى الإيمان فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[1] [الحشر: ١٠].

(١) ينظر حديث السيدة عائشة في صحيح مسلم (٤/ ٢٣١٧، رقم ٣٠٢٢): « يا ابن أختي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم ».

ثانياً: ما ورد في أهل بدرٍ ؛ ومن ذلك:

١- بيّن عز وجل أن أهل بدرٍ ممن كفى الله تعالى بهم رسوله ﷺ نصرة وتأييداً، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] [الأنفال: ٦٤]، وهي منقبة لهم أيضاً على قول آخر قوي في تفسير هذه الآية، وهو أن الله يكفي رسوله ويكفي أصحابه شر عدوهم، ويؤيدهم بنصره،[2] ويدخل معهم في هذا الفضل مَنْ بعدَهم من الصحابة .

٢- وأثبت لهم العون والنُّصرة في قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

٣- وأثبت لهم الإيمان في قوله: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال: ٥].

٤- واستجاب دعاء نبيه ﷺ ودعاءهم، وحقق رجاءهم، وثبتهم وأمدهم بالملائكة تقتل عدوهم، وذلك في قوله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ

---

(١) قال ابن عطية رحمه الله: « قال النقاش: نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال ...» (المحرر الوجيز ٦/ ٣٦٧) . ويقول الطاهر بن عاشور بعد أن ذكر هذا القول: « والتناسب بينها وبين الآية التي بعدها ظاهر مع اتفاقهم على أن الآية التي بعدها نزلت مع تمام السورة، فهي تمهيدٌ لأمر المؤمنين بالقتال ليحققوا كفايتَهم الرسولَ». (التحرير والتنوير١٠/ ٦٦) وينظر هذا المعنى في تفسير القرطبي : ٨/ ٤٣.

(٢) ينظر الوجهان في تفسير الآية في تفسير البغوي ٣/ ٣٧٤ .

فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٩-١٨] ألوان من نُصرة الله لهم، والعناية بهم، وذلك لا يكون إلا لأوليائه تعالى.

٥- ورفع الله عنهم المؤاخذة حين أخذوا الفدية من أسرى بدرٍ، بما سبق لهم عند الله من السعادة والرحمة، فقال: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [الأنفال:٦٨]، فعن سعيد بن جبير: « في قوله عز وجل: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ قال: لأهل بدرٍ من السعادة: ﴿ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾». ونحوه عن الحسن البصري ومجاهد وقتادة. وقال ابن زيد: « سبق من الله العفو عنهم،

والرحمة لهم، سبق أن لا يعذب المؤمنين؛ لأنه لا يعذب رسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره »[١].

ثالثاً: ما ورد في فضل أهل أحد، ومن ذلك:

١- **سماهم الله تعالى المؤمنين**، وذلك في أول ما نزل من الآيات في هذه الغزوة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وهذا مدح عظيم لهم؛ لأنه إثبات لما حلّ في قلوبهم من حقيقة الإيمان.

٢- **وأخبر تعالى أن شهداء « أحد » أحياء عند ربهم حياة لا يعلم حقيقتها وما فيها من النعيم إلا الله**، فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٢] [آل عمران: ١٦٩].

٣- **ومدح الله أقواماً منهم بأعيانهم، فوصفهم بأنهم (رجال) بكل ما تحمله هذه اللفظة من معاني المدح في هذا المقام، وبأنهم وفوا بما عاهدوا الله عليه**، فقال تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[٣] [الأحزاب: ٢٣].

---

(١) تفسير الطبري ١١/ ٢٨٠، ٢٨١ .

(٢) سيأتي الكلام عليه تفصيلًا في الفصل الثالث .

(٣) سيأتي الكلام عليه تفصيلًا في الفصل الثالث .

٤- وحَلُمَ الله عليهم فعفا عمن تولى منهم يوم (أحد) لما دارت الدائرة على المسلمين فيه، وكان قد تولى بعضهم، فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٥] فليس لأحد أن ينتقصهم في ذلك ويشنع عليهم بعد أن عفا الله عنهم، وقد كان منهم بعد ذلك من الثبات والجهاد ما كان .

٥- وطيّب الله خاطرهم بعد أن عاتب بعضاً منهم، وعزّاهم في مصابهم، وكلُّ ذلك لعلمه بصدق ما في قلوبهم، وبيّن حكمته فيما جرى لهم في هذا اليوم، فقال: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٦: ١٦٧].

٦- وثبّتهم الله وعزّاهم وحذّرهم من أسباب الفشل، وأمرهم بالصبر والصمود، وبشّرهم بأنهم هم الأعلون، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩: ١٤٠]. وكل هذا من العناية بهم رضي الله عنهم.

٧- وأعاد الله التخفيف عنهم، والتقوية لعزمهم، والتسلية فيما أصابهم، فكان تخفيفاً بعد تخفيف، وتقوية بعد تقوية، وتسلية بعد تسلية، ألوانٌ من المعالجات والتربية والعناية الربانية بهم، وذلك بضرب المثل بما أصاب المؤمنين مع الأنبياء عليهم السلام من قبل، وإرشادهم وتذكيرهم بما يجب أن يكونوا عليه من التسليم لربهم وطلب المعونة منه والاستغفار من الذنوب، ووعدهم إن فعلوا ذلك الأجر العظيم، فقال عز وجل: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦: ١٤٨].

٨- وامتدح استجابة أهل (أُحد) لله ولرسوله ﷺ وعدم وهنهم رغم ما أصابهم، وذلك عندما ندبهم رسول الله ﷺ لتعقب جيش الشرك بقيادة أبي سفيان بعد انتهاء معركة أحد، وسجل ذلك مدحاً لهم، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[1] [آل عمران: ١٧٢-١٧٤].

(١) سيأتي الكلام على أهل غزوة حمراء الأسد تفصيلًا في الفصل الثالث .

رابعاً: ما ورد في فضل أهل الخندق، ومنه:

أثبت الله تعالى لهم الإيمان، وتصديق الله ورسوله، ونوّه بصبرهم أمام كثرة عدوهم. وسجّل لهم ما حصل لهم من زيادة اليقين بتحقق وعد الله لهم بالجنة، وبالنصرة لما جاءتهم الشدة والزلزلة(١)، فقال تعالى: **﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾** [الأحزاب: ٢٢].

فهذه مواقف بعد مواقف، وفضائل بعد فضائل، وشهادات بعد شهادات، يثبتها لهم رب العالمين، لأنه اختارهم لصحبة خير المرسلين ﷺ.

---

(١) يقول الإمام أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٢٢): « وصف الله حال المنافقين في حرب الكافرين، وحال المؤمنين في حرب الكافرين. فوصف المنافقين بالفشل والجبن والروَغان والمسارعة إلى الفتنة والزيادة في الكفر، ووصف المؤمنين بالثبوت عند الخوف في الإيمان، فقال: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾.

والوعد أن الله قال لهم: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤]. فكذلك لما ابتُلي أصحابُ النبي ﷺ وزلزلوا زلزالاً شديداً علموا أن الجنة والنصر قد وجبا لهم ».

خامساً: ما ورد في فضل أهل بيعة الرضوان بالحديبية:

١ – رضِي الله عنهم، وأثنى على ما في قلوبهم، وبشَّرهم بفتح قريب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[1] [الفتح: ١٨].

٢ – وأخبرنا تبارك وتعالى بأنه أنزل السكينة والطمأنينة والثبات في قلوب أهل الحديبية ليزدادوا يقيناً إلى يقينهم السابق بالنصر وعز الإسلام وانتشاره، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

٣– وأخبرنا تبارك وتعالى أنه ألزم أهل الحديبية كلمة التقوى– وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ لأنها سبب التقوى وأساسها– وأنزل السكينة على قلوبهم ، وبيَّن أنهم أهلٌ لكلِّ ذلك، فقال عز وجل: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ . [الفتح: ٢٦].

٤ – وبشرهم الله تعالى بإسلام هؤلاء الذين صدوهم عن البيت من

---

(١) سيأتي الكلام على أهل بيعة الرضوان تفصيلًا في الفصل الثالث .

مشركي قريش، بعد صلح الحديبية، وأن رحمة الله ستشملهم، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ . [الفتح: ٢٥]. فأسلم بعضهم فيما بين الحديبية إلى فتح مكة، كعمرو بن العاص وخالد ابن الوليد، فكان ذلك من أولى البشريات، وأسلم بقيتهم في فتح مكة، فدخل كل هؤلاء في رحمة الله .

سادساً: ما ورد في فضل أهل غزوة العُسرة:

بشّرَ اللهُ أهل غزوة العسرة بالتوبة عليهم، وسجّل لهم في كتابه ما قدموه من براهين الصدق مع الله تعالى ورسوله ﷺ بتحملهم المشاق، وعدم التخلف عن رسوله ﷺ في أصعب الأوقات وأشدِّها، وهي هذه الغزوة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧]. فثبّتهم ورجعوا وقد غفرت لهم ذنوبهم(١).

(١) سيأتي الكلام علي غزوة العسرة وفضل أهلها تفصيلًا في الفصل الثالث .

سابعاً: ما ورد في سرية عبد الله بن جحش:

١- ولما ظنت جماعة سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنهم أنهم عصوا وهلكوا؛ لأنهم قاتلوا في أول يومٍ من شهرٍ حرامٍ، وهو شهر رجب، وهم يظنون أنه آخر يوم من جمادى الآخر، أبان الله عذرَهم وفرّج عنهم ورضّي رسوله ﷺ عنهم بعد أن لامهم على فعلهم، وردَّ على المشركين لمّا عيّروا مَن كان من المسلمين بمكة بذلك، وشنَّعوا على رسول الله ﷺ والمسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[1] [البقرة: ٢١٧].

٢- ولما قال بعض المسلمين: إن أصحاب سرية عبد الله بن جحش، وإن كانوا أصابوا مغنماً فلم يصيبوا أجراً في سفرهم هذا، أنزل الله مثنياً عليهم بإيمانهم وهجرتهم وجهادهم، وأنهم على رجاء رحمة الله سبحانه وتعالى، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] [البقرة: ٢١٨]. فالوحي إذن يتابعهم، ويبشرهم، ويثبتهم، وكل هذا من العناية بهم.

---

(١) ينظر لباب النقول (ص ٢٩)، والسنن الكبرى للبيهقي (٩/ ١١، ٨٥)، وتفسير البغوي ١/ ٢٤٦- ٢٤٨.

(٢) ينظر السابق.

ثامناً: ما ورد في فضل فقراء الصحابة وضعفائهم رضي الله عنهم:

١- نزلت الآيات تثني على هؤلاء الفقراء والضعفاء، وتمدحهم بما فازوا به من الإيمان، وصدق حالهم مع الله عز وجل وإقبالهم عليه تعالى على الدوام، وتطلبُ من النبي ﷺ ألا ينحيهم عنه ولو قليلاً مهما كان، وأن يجعلهم جلساءه وأخِصّاءه، وتصفهم بأنهم هم الشاكرون، وذلك حين طلب بعض سادة المشركين بمكة أن ينحي النبي ﷺ فقراء المسلمين وضعفاءهم عن مجلسه - حين يجالسونه ليسمعوه - لعلهم يسلمون، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢ - ٥٣].

٢- ومن عناية الله تعالى بهم، وبيانه لعلو مقامهم عنده تعالى أمرُه تعالى نبيه ﷺ أن يلين جانبه لهم، وأن يترفق بهم، ويصرف إليهم وقته وجميع حفاوته، في قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وذلك بعد أن نهاه تعالى عن الالتفات إلى ما في أيدي المشركين من متاع الدنيا، وعن الحزن على عدم إيمانهم، رجاء نجاتهم وأن يتقوى الإسلام والمسلمون بهم وبأموالهم في قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا

بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾، فقـد جـاء بعدها مباشرة قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي ترفـق وألِـن جانبـك لهـؤلاء الضعفـاء والفقـراء من المؤمنين، وطِب نفساً بإيمانهم عن إيمان هؤلاء الأغنياء من كفار أهل مكة، فإن الله مظهر بهم دينه(١).

٣- وأنزل الله تعالى في فقراء وضعفاء المؤمنين بمكة - الذين سبقوا إلى الإسلام وصبروا على الأذى المتواصل من المشركين - وما أعده الله تعالى لهم من عظيم الجزاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾(٢) [المطففين: ٢٩- ٣٦].

---

(١) ينظر الكشاف للزمخشري ٢/ ٥٨٩، والمحرر الوجيز ٨/ ٣٥٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٧، والتحرير والتنوير ١٠/ ٨٢ .

(٢) يقول البغوي في تفسيره (٨/ ٣٦٩): « قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ﴾ أشركوا، يعني كفار قريش: أبا جهل، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأصحابهم من مترفي مكة ﴿ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ عمار، وخباب، وصهيب، وبلال، وأصحابهم من فقراء المؤمنين. ﴿ يَضْحَكُونَ ﴾ وبهم يستهزؤون ». وكذا قال ابن الجوزي (زاد المسير ٩/ ٦٠) وقال القرطبي (١٩/ ٢٦٧): « روى ناس عن ابن عباس قال: هو الوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والعاص ابن هشام، وأبو جهل، والنضر بن الحارث، وأولئك ﴿ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ من أصحاب محمد ﷺ مثل عمار، وخباب وصهيب وبلال ﴿ يَضْحَكُونَ ﴾ على وجه السخرية. ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ ﴾ عند إتيانهم رسول الله ﷺ يتغامزون ».

٤- وامتدح الله تعالى فقراء المهاجرين بالتّعفُّف وبعدم الإلحاح في المسألة رغم شدة حاجتهم- وهم أهل الصُّفة الذين انقطعوا إلى الله وإلى رسوله، وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم- وسجل ذلك لهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

٥- وقال تعالى في فقراء المهاجرين أيضاً، وهم أهل الصُّفة: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]. فهذه أحوال أهل الصفة، يتقلبون في عبادة ربهم، ولا يطلبون بذلك إلا رضاه، فما أعظمها من شهادة لهم .

٦- وأبان الله تعالى عن صدق فقراء الصحابة من المهاجرين والأنصار، ومحبتهم للجهاد مع رسوله ﷺ، وهو يصف تحسرهم وأسفهم على قعودهم عن الجهاد في غزوة العسرة بسبب قلة ذات أيديهم، وذلك في الآيات التي نزلت في رفع الحرج عنهم وعن غيرهم، وهي قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة:٩١- ٩٢]. فهذه بعض أوصاف وفضائل فقرائهم رضي الله تعالى عنهم .

تاسعاً: ما ورد في عذر المستضعفين بمكة وفضلهم:

١- جاء في عذر المستضعفين بمكة وصبرهم على الأذى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾(١) [النساء: ٩٧- ٩٩].

٢- وقال الله تعالى في فضل المستضعفين بمكة: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾(٢) [النساء: ٧٥].

---

(١) ينظر لباب النقول في أسباب النزول ص (٦٨) .

(٢) وقد ودعا النبي ﷺ للمستضعفين بمكة الصابرين على أذى أهلها، وذلك كما رواه البخاري (٣/ ١٠٧٢، برقم ٢٧٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدعو في القنوت: « **اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسِنِيّ يوسف** » .

عاشراً: ما ورد في فضل المهاجرين[1]:

١- سجَّل الله لهم أن هجرتهم كانت له سبحانه وتعالى، في مرضاته وطلب ثوابه، وأنهم ظُلموا، ووعدهم بأنه سيعوضهم بحسن المنزل في الدنيا، وتهيئة إخوان لهم وأنصار، وتبديل خوفهم أمناً، وأن ما يدخره لهم في الآخرة أكبر، وذلك في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤١]. وهذا الوعد يشمل من هاجر من مكة إلى المدينة، ومن هاجر منهم إلى الحبشة[2].

٢- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٣٩- ٤٠].

٣- ومدحهم الله تعالى ووعدهم بالرزق الحسن في الدنيا والآخرة،

---

(١) يدخل في فضائلهم أيضاً بعض ما سبق في فضل فقراء الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) ينظر تفسير ابن كثير ٤/ ٥٧٢. وقيل نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب رسول الله ﷺ: بلالٍ، وعمار، وصهيب، وخبَّاب بن الأرتِّ، وعايش وجبر مولَيين لقريش أخذهم أهل مكة فجعلوا يُعذِّبونهم، ليردُّوهم عن الإسلام. وقيل نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو. (ينظر زاد المسير ٤/ ٤٤٧- ٤٤٨).

ووعدهم سبحانه أنه سيرضيهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٨- ٥٩]. ووعده تعالى مضمون ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١].

٤- وعدّدَ فضائل لهم ووعدهم عليها تكفير السيئات وإدخال الجنات في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

٥- وأشار الله سبحانه إلى فضيلة أخرى للمهاجرين، وهي أنهم موعودون بالاستخلاف في الأرض، وأنهم أهلٌ لتحمل هذه الأمانة، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١] . فقد جاء قبلها مباشرة قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ

وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٣٩- ٤٠].

٦- وأشار عز وجل إلى علو درجة الهجرة والجهاد، وإلى ما ينتظر المهاجرين من عظيم الثواب، وذلك في قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٩ - ٢٢].

٧- وقَبِل الله هجرة من تأخرت هجرته من المستضعفين بمكة، ونوَّه الله بصبرهم، ووعدهم المغفرة على تأخر هجرتهم، بجهادهم مع المؤمنين، وصبرهم، ووعدهم أنه تعالى سيرحمهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] [النحل: ١١٠].

٨- وأشار تعالى إلى فضل مَن آمن وهاجر بعد صلح الحديبية، بأنهم من المؤمنين، ملحقون بالسابقين في الفضل، وإن كانوا أقل رتبة منهم، في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧٥] ، فيدخل فيهم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وأمثالهما.

(١) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٨١، ١٤/ ٣٧٩، وكشف الأستار ٣/ ٤٦، حديث رقم ٢٢٠٤.

حادي عشر: ما ورد في فضل المهاجرين والأنصار:

١ - شهد الله للمهاجرين والأنصار أنهم المؤمنون حق الإيمان، ووعدهم بالمغفرة والرزق الكريم، وهو الجنة، ووعد الله لا يتخلف، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

٢ - وأثبت الله للسابقين من المهاجرين والأنصار، أو المهاجرين والأنصار عامة - لسبقهم - أنه رضي عنهم، وأنهم مسلِّمون له في جميع أحوالهم، راضون بكل ما يأمرهم به وبكل ما يفعل بهم، وأخبر بأن الجنة في انتظارهم، وأنهم خالدون فيها أبداً، فقال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

٣ - وقال عز وجل في فضل المهاجرين والأنصار، أو الأنصار فقط: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) [الأنفال: ٦٢].

---

(١) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ٤/ ٨٤: « ذكر نعمته عليه بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار؛ فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ ﴾ أي: جمعها على الإيمان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك» . ويجوز أن تكون الآية في حق الأنصار، بقرينة قوله: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ ﴾ الآية، وهذه إشارة =

٤- ووصـف الله المهاجرين بثلاثة أوصاف والأنصار بأربعة، وهي شهادات وأوسمة لهم إلى يوم القيامة، تدل على تمام صدقهم، وتبشرهم بما لهم عند ربهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨- ٩].

٥- وتاب الله عليهم وعفا عنهم، في قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾[1] [التوبة: ١١٦]، فهذه فضائل بعد فضائل للمهاجرين والأنصار.

٦- وتـولّى اللهُ حفـظ الأنصار، فهو وليهم، وهـم أولياؤه، وذلك في قولـه تعـالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]. وقد نزلت في بني سَلِمة وبني حارثـة [2] .

= إلى العـداوة التـي كانت بين الأوس والخزرج في حروب بُعـاث، فألف الله تعالى قلوبهم على الإسلام، وردهم متحابين في الله. ويجوز أيضاً أن يكون المراد بالتأليف هنا التأليف بين المهاجرين والأنصار». وينظر تفسير البغوي ٣/ ٣٧٤، والمحرر الوجيز ٦/ ٣٦٦، ٣٦٧.

(١) سيأتي الكلام عليها تفصيلا في الفصل الثالث في غزوة العسرة.

(٢) سيأتي الكلام عليها تفصيلًا في الفصل الثالث .

ثاني عشر: ما ورد في فضل آل البيت رضي الله عنهم:

١- وفي فضل الإمام عليٍّ وفاطمة الزهراء والحسنين رضي الله عنهم أجمعين نزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[١] [آل عمران: ٦١].

٢- وفي حق الإمام عليٍّ وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، نزل قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[٢] [الحج: ١٩-٢٢].

٣- واختص الله تعالى قرابة النبي ﷺ، وهم بنو هاشم[٣] أو بنو هاشم وبنو المطلب، فقيرَهم وغنيَّهم[٤]، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم،

---

(١) سيأتي الكلام عليها تفصيلًا في الفصل الرابع .

(٢) سيأتي الكلام عليها تفصيلًا في فضل الفصل الثالث في أهل بدر، وفي الفصل الرابع .

(٣) كذا عند أبي حنيفة ومالك، وأدخل الشافعي وأحمد معهم بني المطلب. ينظر (زاد المسير ٣/ ٣٦٠، وتفسير القرطبي ٨/ ١٢ . وينظر كلام الإمام الشافعي في أحكام القرآن له ١/ ٧٦).

(٤) ما عليه الجمهور أنه يعطى غنيهم وفقيرهم لأن ظاهر الآية أن وصف قربى النبي ﷺ هو سبب ثبوت الحق لهم في خمس المغنم دون تقييد بوصف فقرهم . (ينظر التحرير والتنوير ١٠/ ١١) .

بخُمس الخُمس من الغنيمة، وبالخمس مِن الفيء[١]**، حين حرَّم عليهم الزكاة والصدقة، لأنها أوساخ الناس، تنزيهاً لهم رضي الله عنهم ورفعاً لأقدارهم، إكراماً لرسوله ﷺ**[٢]**، وتلك فضيلة اختصوا بها رضي الله عنهم**، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

٤- وجاء - على قولٍ - أنهم المقصودون بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٣] [الشورى: ٢٣].

٥- وجاء في فضل أهل البيت وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم جميعاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

---

(١) والفيء: هو ما دخل على المسلمين من أموال الكفار من غير قتال أو إيجاف خيل، كخراج الأرض، والجزية، وأموال المهادنة والصلح. (ينظر زاد المسير ٣/ ٣٥٨، وتفسير القرطبي ٨/ ٢).

(٢) قال ﷺ فيما رواه مسلم: «**إنَّ هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد**». (صحيح مسلم ٢/ ٧٥٤، برقم ١٠٧٢). ويقول النووي رحمه الله: «هي حرام عندنا على بني هاشم وبني المطلب، وقال مالك: بنو هاشم فقط». (شرح مسلم ١٥/ ١٧٥).

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٠/ ٤٩٤- ٥٠٢، والبغوي ٧/ ١٩٠- ١٩٣، وزاد المسير ٧/ ٢٨٤، وابن كثير ٧/ ٢٠١، وفتح القدير ٤/ ٥٣٤، ٥٣٦- ٥٣٧، وينظر: تعليق الشوكاني في آخر تفسيره للآية، وغيره من هؤلاء الأئمة.

٦- وجاء في فضل زوجات النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ **يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا** ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٧- وبيّن الله أن زوجات النبي ﷺ كلهن أمهات للمؤمنين إلى يوم القيامة، لهن حرمة الأمومة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾ [الأحزاب: ٦] .

٨- وقال تعالى في أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا** ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]. فاخترن كلهن الله ورسوله والدار الآخرة .

٩- ونزل في فضل السيدة عائشة أم المؤمنين خاصة، ست عشرة آية تبرّئ ساحتها من الإفك، وختمت بوصفها بالطاهرة والطَّيِّبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾[1] [النور: ٢٦].

---

(١) سيأتي الكلام عليها تفصيلًا في الفصل الخامس.

١٠- ونزلت ببركة عائشة أم المؤمنين تخفيفات من الله ورخص لعباده، ولذلك كانت تلقب بـ(المباركة)، وذلك كتشريع التيمم بدل الوضوء والغسل، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] [المائدة: ٦].

١١- وأَنزل اللهُ تعالى استجابةً لسؤال لأم المؤمنين -المهاجرةِ المجاهدة التي أوذيت في سبيل الله- أمِّ سلمة رضي الله عنها عدّةَ آياتٍ، منها قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. فعن سلمة بن أبي سلمة، رجلٍ من ولد أُمِّ سلمةَ، عن أُمِّ سلمةَ رضي الله عنها، أنها قالت: « يا رسول الله، لا أسمعُ اللهَ ذَكَرَ

(١) سيأتي الكلام عليها تفصيلًا في الفصل الخامس.

النساءَ في الهجرة بشيءٍ. فأنزل اللهُ عزّ وجل: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾ »[1].

١٢- **ونزلت بسبب سؤال من السيدة أم سلمة أيضاً آية عظيمة أخرى في شأن النساء والتسوية بينهن وبين الرجال في الثواب، وفيها أشرف الأوصاف التي يتصف بها الجنسان على السواء**، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. فعن عبد الرحمن بن شيبة، قال: سمعت أُمَّ سلمةَ، زوجَ النبيِّ ﷺ، تقول: قلتُ للنبيِّ ﷺ: ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكر الرجال؟ قالت: فلم يَرُعْني منه يومئذ إلا ونداؤه على المنبر، قالت: وأنا أُسَرِّح شعري، فلففت شعري، ثم خرجتُ إلى حُجرة من حُجَر بيتي، فجَعَلتُ سمعي عند الجَريدِ، فإذا هو يقول عند المنبر: « **يا أيها النّاس، إن الله يقول في كتابه**: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ **إلى آخر الآية**: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٢٣٧، برقم ٣٠٢٣، وأبو يعلى ١٢/ ٣٩١، برقم ٦٩٥٨، (وقال الترمذي وأبو يعلى: عن رجل من ولد أم سلمة)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٠٠، والطبراني في الكبير: ٢٣/ ٢٩٤ - برقم ٦٥١. وهذا لفظ الحاكم، وقال: « هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

عَظِيمًا ﴾»[1] . وآيات أخرى نزلت بسببها [2]، ونزول هذه الآيات بسببها رضي الله عنها وعلى هذا الوجه من السرعة كلاهما يُعَدُّ في فضائلها رضي الله تعالى عنها، فضلاً عما نزل في بيتها من الآيات، فقد نزلت في بيتها آية التطهير [الأحزاب: ٣٣]، وآية التوبة على أبي لُبابة [التوبة: ١٠٢]، وآية التوبة على الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك[3] [التوبة: ١١٨].

١٣ - وخصَّ الله تعالى أم المؤمنين زينب بنت جحش بفضيلة لم تكن لغيرها من أمهات المؤمنين بأنه تعالى هو الذي زوجها منه ﷺ دون ولي وشهود من البشر[4]، وأنزل في ذلك قرآناً يتلى، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٣٠١، ٣٠٥، والطبراني في الكبير ٢٣/ ٢٩٣، برقم ٦٥٠، وذكر محققه حمدي السلفي في الحاشية تحسين الحافظ ابن حجر له .

(٢) ينظر سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٢] في سنن الترمذي ٥/ ٢٣٧، حديث رقم ٣٠٢٢، ومسند أحمد ٦/ ٣٢٢، ومسند أبي يعلى ١٢/ ٣٩٣، رقم ٦٩٥٩، والطبراني في الكبير ٢٣/ ٢٨٠، برقم ٦٠٩، والمستدرك ٢/ ٣٠٥. والحديث مختلف فيه بين التصحيح والتضعيف بالانقطاع بين مجاهد وأم سلمة.

(٣) ينظر على الترتيب آية التطهير في سنن الترمذي ٥/ ٣٥١، حديث رقم ٣٢٠٥، والتوبة على أبي لبابة في السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٢٥- ٢٢٦، وتاريخ الطبري ٢/ ٥٨٥، والتوبة على الثلاثة في صحيح البخاري ٦/ ٧٠، برقم ٤٦٧٧ .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير ٦/ ٤٢٥ .

١٤- وبسبب السيدة زينب بنت جحش وببركاتها أنزل الله تعالى آية الحجاب، وفيها ما فيها من تعظيم حرمة نساء النبي ﷺ، وذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ثالث عشر: ما ورد في فضل من كان منهم من أهل الكتاب:

١- نزل في مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[1] الآية [البقرة: ١٤٦].

(١) ذكره الحافظ ابن حجر قال: « قال الواحدي: نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه كانوا يعرفون رسول الله ﷺ بنعته وصفته وبعثه في كتابهم كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه مع الغلمان؛ قال عبد الله بن سلام: لأنا أشدّ معرفة برسول الله ﷺ مني بابني، فقال له عمر بن الخطاب: وكيف ذاك يا ابن سلام؟ قال: لأني أشهد أن محمدًا رسول الله حقًّا يقينًا، وأنا لا أشهد بذلك على ابني، لأني لا أدري ما أحدث النساء، فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام». (العجاب في بيان الأسباب ١/ ٣٩٨، وطبعة دار ابن حزم ص ٢١٥). وينظر تفسير القرطبي ٢/ ١١٠.

٢- وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١] سواء كان المراد بهم من آمن من اليهود أو الأربعين الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من أرض الحبشة [١].

٣- وقال عز وجل فيمن آمن من أهل الكتاب من الصحابة: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٢] [عمران: ١١٣- ١١٥].

٤- وأنزل الله تعالى في حقهم أيضاً: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٣] [القصص: ٥٢- ٥٤].

---

(١) ينظر العجاب (١/ ٣٧٣- ٣٧٤ ، وطبعة دار ابن حزم ١٨٩- ١٩٠) .

(٢) سيأتي الكلام على ذلك مفصلًا في الفصل الرابع .

(٣) يقول الحافظ في الفتح (١/ ١٩١): « قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ نزلت في طائفة آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وغيره، ففي الطبراني من حديث رفاعة القرظي قال: نزلت هذه الآيات فيَّ وفيمن آمن معي. وروى الطبراني بإسناد صحيح عن علي بن رفاعة القرظي قال: خرج عشرة من أهل الكتاب - منهم أبي (رفاعةُ) - إلى النبي ﷺ فآمنوا به فأوذوا، فنزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ الآيات » .

٥- ومدح الله تعالى الراسخين في العلم منهم، الذين آمنوا بمحمد ﷺ - حين استثناهم من أهل الكتاب بأنهم ليسوا كغيرهم من أهل الكتاب الذين سألوا النبي ﷺ جهلاً منهم أو تعجيزاً له ﷺ أن ينزل عليهم آية من السماء - ووعدهم والصحابة عامة بأنه تعالى سيؤتيهم أجراً عظيماً، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾(١) [النساء: ١٦٢].

٦- ونزل في حق النجاشي، ويدخل فيه أيضاً من آمن من أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾(٢) [آل عمران:

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١١١٦) عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: « قوله تعالى ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ ﴾ : نزلت في عبد الله بن سلام، وأُسيد بن سعية، وثعلبة بن سعية حين فارقوا وشهدوا أن الذي جاء به رسول الله ﷺ حق من الله وأنهم يجدونه عندهم في التوراة ».

وقال أبو سليمان: « هم عبد الله بن سلام، ومن آمن معه من أهل الإنجيل ممن قدم مع جعفر من الحبشة، والمؤمنون: يعني أصحاب رسول الله ﷺ » . (زاد المسير: ٢/ ٢٥١) . وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٢٩٠): « وهم عبد الله بن سلام ومُخيريق، ومن جرى مجراهما » . وينظر تفسير البغوي ٢/ ٣٠٩، والقرطبي ٦/ ١٣ .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣/ ١٢٠، برقم ٢٦٦٧، والبزار (كشف الأستار ١/ ٣٩٢، رقم ٨٣٢)، والضياء المقدسي في المختارة (٥/ ٤٠، برقم ١٦٤٩) عن ثابت عن أنس بن مالك قال: « لما مات النجاشي قال النبي ﷺ: « **استغفروا لأخيكم** »=

١٩٩]. فهـذا بعض ما مدح الله به أصحـاب نبيه ﷺ من أهل الكتاب .

رابع عشر: ما ورد في حق أفراد منهم رضي الله عنهم[1]:

١- فمـا ورد في حـق أبي بكـر الصديـق رضي الله عنـه قولـه تعـالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾، يقول الباقلاني: « ولا أفضل من اثنين ثالثهما الله »[2]، وذلـك في قولـه تعـالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

٢- وأشـار الله تعـالى إلى فضـل أبي بكـر الصديـق في قولـه تعـالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

٣- وأشـار إلى الذين سـيقاتلون المرتدين مـن العرب والأعراب بعد

= فقال بعض الناس: تأمرنا أن نستغفر له وقد مات بأرض الحبشة، فنزلت: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ ». وقال الهيثمي: « رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجال الطبراني ثقات » . (مجمع الزوائد ٣/ ٣٨).

(١) خصصت للكلام على ذلك تفصيلًا الفصل الخامس من هذا الكتاب .

(٢) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني (ص ١٠٠) .

وفاة النبي ﷺ، وهم أبو بكر الصديق ومن معه من الصحابة، قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]. وهذا على قول بعض أهل العلم بالتفسير[١].

٤- وجاء في رسول الله ﷺ، وفي أبي بكر الصديق - على قول كثير من أهل العلم بالتفسير - قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]. قال الباقلاني: «قيل في أصح التفاسير: الذي جاء بالصدق: محمد ﷺ، وصَدَّقَ: أبو بكر الصديق»[٢].

٥- ونزل في مدح أبي بكر الصديق قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل: ١٦ - ٢١]. فقد كان يشتري بماله العبيد من المسلمين ويعتقهم في سبيل الله[٣].

٦- ونزل في صهيب بن سنان رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[٤] [البقرة:٢٠٧].

---

(١) روي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه و الحسن البصري، ينظر تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٥، وزاد المسير ٢/ ٥٤. وقال الباقلاني: «وهو الصديق وأصحابه، لما قاتل أهل الردة». (الإنصاف ص ١٠٠).

(٢) الإنصاف (ص ١٠٠). سيأتي مزيد في بيان ذلك في الفصل الخامس.

(٣) سيأتي بيان ذلك وتفصيله في الفصل الخامس.

(٤) سيأتي بيان تفصيل ذلك في الفصل الخامس.

٧- وسمَّى اللهُ أحدَهم في كتابه، ولم يسم أحداً غيره، فكانت من أعظم مناقبه، وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه حِبُّ رسول الله ﷺ الذي تربَّى في بيته، وذلك في قوله تعالى في بيان تزويج الله تعالى النبيَّ ﷺ للسيدة زينب بنت جحش: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٨- ونزل في حقِّ عمار بن ياسر رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] [النحل: ١٠٦].

٩- وفي عبد الله بن سلام رضي الله عنه - الذي كان يهودياً فأسلم - نزل قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾[2] [الأحقاف: ١٠].

١٠- ونزل في بعض الصحابة قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ

---

(١) سيأتي بيان تفصيل ذلك في الفصل الخامس.

(٢) تنظر الرواية في صحيح البخاري ٣/ ١٣٧٨، رقم ٣٦٠١، عن سعد بن أبي وقاص. وينظر الكلام في توجيه نزول هذه الآية في حق عبد الله بن سلام مع كون السورة مكية في فتح الباري (٧/ ١٣٠).

وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [1] [الأنعام: ١٢٢].

١١ - وأنـزل الله في حـق بعضهم ممن سـبقوا إلى الإسـلام قوله تعالى مخاطبـاً نبيـه ﷺ: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] [الأنعام: ٥٤].

١٢ - وأنـزل الله في فضل من مات منهـم في الطريق مهاجراً: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[3] [النساء: ١٠٠].

---

(١) ذكـر السـيوطي في لبـاب النقـول (٩٥) أنها نزلـت في عمر بن الخطـاب وأبي جهل، فقـال: « أخرج أبو الشـيخ عن ابن عباس في قولـه ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ ﴾ قال: نزلـت في عمـر وأبي جهل. وأخرج ابن جرير عن الضحـاك مثله». وروى الواحدي في أسباب النزول (١٥١) بسنده عن زيد بن أسلم مثله، وذكر أيضاً دون إسناد أنها نزلـت في حمـزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأبي جهل . وينظر تفسـير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٨١).

(٢) ذكـر البغوي في تفسـيره (٣/ ١٤٨) قـال: « قال عكرمة: نزلـت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسـلام. وقال عطاء: نزلت في أبي بكـر وعمـر وعثمان وعلي وبلال وسـالم وأبي عبيدة ومصعـب بن عمير وحمزة وجعفـر وعثـمان بن مظعون وعـمار بن ياسر والأرقـم بن أبي الأرقم وأبي سـلمة بن عبد الأسد رضي الله عنهم أجمعين» .

(٣) سيأتي في الفصل الخامس . وينظر لباب النقول (ص ٦٨).

١٣- وأنزل الله عز وجل في بعضهم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [الزمر: ١٧]، وإن كان اللفظ عاماً يشملهم ويشمل غيرهم[١].

١٤- وعاتب الله تعالى نبيه ﷺ - وهو سيد العالمين - عتاب الكريم عليه في أحدهم، وهو عبد الله ابن أم مكتوم -وكان رجلاً أعمي - تعليماً للنبي ﷺ، وجبراً لخاطر هذا الرجل[٢]، ونزلت بذلك الآيات: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ [عبس: ١- ١٠].

١٥- ويقترح عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ أشياء، ويغار على رسول الله ﷺ في أشياء، ويتمنى أشياء فينزل الوحي موافقاً لما أشار به عمر وتمناه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال عمر: « وافقت ربي في ثلاث[٣]، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٠/ ١٨٥، والمحرر الوجيز، وزاد المسير ٧/ ١٧٠، وتفسير ابن كثير (٧/ ٩٠) . وقال ابن كثير: « والصحيح أنها شاملةٌ لهم ولغيرهم».

(٢) سيأتي في الفصل الخامس . وينظر لباب النقول (ص ٢٤٢) .

(٣) يقول الحافظ ابن حجر: « وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه، من مشهورها قصةُ أسارى بدر وقصةُ الصلاة على المنافقين وهما في الصحيح، وصحَّحَ الترمذيُ من حديث ابن عمر أنه قال: « ما نزل بالناس أمر قطُّ فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر». وهذا دال على كثرة موافقته، وأكثرُ ما وقفنا منها بالتعيين على خمسةَ =

إبراهيم مصلى، فأنزلت: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وآية الحجاب [الأحزاب: ٥٣]، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهنَّ البرُّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ فأنزلت هذه الآية »[1] [التحريم: ٥]. وفي صحيح مسلم عن ابن عمر قال: قال عمر: « وافقتُ ربي في ثلاث؛ في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أُسارى بدرٍ »[2].

١٦- ومن استجابة الله تعالى لعمر وموافقات الوحي له ما نزل في تحريم الخمر، فعن عمرو بن شرحبيل عن عمر بن الخطاب قال: « لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ الآية [البقرة: ٢١٩] قال: فدُعِيَ عمرُ فقُرئت عليه، قال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣] فكان منادي رسول الله ﷺ

= عشرَ، لكن ذلك بحسب المنقول، وقد تقدم الكلام على مقام إبراهيم، وسيأتي الكلام على مسألة الحجاب في تفسير سورة الأحزاب وعلى مسألة التخيير في تفسير سورة التحريم ». (فتح الباري ١/ ٥٠٥) . وتنظر ثلاث رسائل في موافقات عمر بن الخطاب، تحقيق ودراسة عبد الجواد حمام .

(١) صحيح البخاري ١/ ١٥٧، برقم ٣٩٣.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٨٦٥، برقم ٢٣٩٩ .

إذا أقيمت الصّلاة ينادي: ألا لا يقربنَّ الصلاةَ سكرانُ، فدُعِيَ عمرُ فقُرئت عليـه، فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شـفاءً، فنزلت هذه الآية: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠: ٩١]، قال عمر: انتهينا »[١]. فهذه بعض موافقات عمر، وموافقاته رضي الله عنه كثيرة، وقد قال النبي ﷺ في حقِّه: « **قد كان يكـون في الأمـم قبلكم محدَّثون فإن يكن في أمتي منهـم أحدٌ، فإن عمر بن الخطاب منهم** ». قال ابن وهب: « تفسير مُحدَّثون: مُلْهَمون »[٢].

١٧- وجـاء أنـه نـزل في حق عثمان بن عفـان رضي الله عنـه قوله عز وجـل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣] [النحل: ٧٦].

١٨- ونـزل في عثـمان أيضـاً قولـه تعـالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٤] [الزمر: ٩].

---

(١) أخرجه أبـو داود ٣/ ٣٢٥، برقـم ٣٦٧٠، وهـذا لفظه، والترمـذي ٥/ ٢٥٣، برقم ٣٠٤٩. وأحمد ١/ ٥٣.

(٢) صحيح مسـلم ٤/ ١٨٦٤، برقم ٢٣٩٨. وينظر تعليق ابن حجر على آيات الظهار في فتح الباري ٩/ ٤٣٢-٤٣٣، ١٣/ ٤٧٣ .

(٣) سيأتي في الفصل الخامس .

(٤)سيأتي في الفصل الخامس .

١٩- وفي عبد الرحمن بن عوف ورجلٍ من الأنصار نزل قول الله تعالى يثني على صدقاتهما وأمثالهما - كثيرةً كانت أو قليلةً - وماهم فيها من النية الحسنة، وينعي على المنافقين لمزهم لهم، وأنه لا يَسْلَمُ منهم أحد من المؤمنين، وذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] [التوبة: ٧٩].

---

(١) أخرج البزار في مسنده عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال: « قال رسول الله ﷺ: « **تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثاً** »، قال فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله عندي أربعة آلاف، ألفان أقرضهما ربي وألفان لعيالي، فقال رسول الله ﷺ : « **بارك الله لك فيما أعطيت، وبارك لك فيما أمسكت** »، وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر فقال: يا رسول الله، أصبت صاعين من تمر، صاع أقرضه ربي، وصاع لعيالي، قال: فلمزه المنافقون، وقالوا: ما أعطى الذي أعطى ابن عوف إلا رياءً، وقالوا: ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ إلى آخر الآية». (البحر الزخار ١٥/ ٢٣٤، رقم ٨٦٧٢). وقال الهيثمي: «رواه البزار من طريقين: إحداهما متصلة عن أبي هريرة، والأخرى عن أبي سلمة مرسلة، قال: ولم نسمع أحداً أسنده من حديث عمر بن أبي سلمة إلا طالوت بن عباد، وفيه عمر بن أبي سلمة، وثقه العجلي وأبو خيثمة وابن حبان، وضعفه شعبة وغيره، وبقية رجالهما ثقات» . اهـ (مجمع الزوائد ٧/ ٣٢) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٥١) عنه، وأخرجه عن أنس أو غيره مختصراً (٦/ ١٨٥٠) وأخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٨٩) عن ابن عباس مختصراً وسمى عبد الرحمن بن عوف. وأصله في الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري (البخاري ٤/ ١٧١٤، برقم ٤٣٩١) و(مسلم ٢/ ٧٠٦، برقم ١٠١٨) وسمى الأنصاري فقط .

٢٠- وبسبب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه تنزل آيات عِدَّةٌ تبين أحكاماً مهمة، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: «نزلت فيَّ أربع آيات...»[١] الحديث. فالآيتان الأولتان: قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤- ١٥]. والآية الثالثة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ١]. والآية الرابعة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢] [المائدة: ٩٠].

٢١- ونزل موافقاً لقول أحدِ الأنصار- رُوي أنه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه[٣]- قوله تعالى في حادثة الإفك: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦]، فقد روى البخاري عن عروة قال: «لما أُخبِرت عائشةُ بالأمر، قالت: يا رسول الله، أتأذنُ لي أن أنطلقَ إلى أهلي؟ فأذنَ لها، وأرسلَ معها الغلام، وقال

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٣٦٧، رقم ١٧٤٨.

(٢) ينظر تحديد هذه الأربع في صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٧، رقم ١٧٤٨. وهو يلي رقم ٢٤١١ تبعاً لطريقة ترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، فليتنبه.

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول بسند ضعيف، وتنظر الروايات في تعيين الرجل في فتح الباري ٨/ ٤٧٠، ١٣/ ٣٤٤.

رجـل من الأنصار: سـبحانك ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سـبحانك هذا بهتان عظيم »[١] .

٢٢- وبسـبب ما حدث لصِرمة بـن قيس الأنصاري[٢] رضي الله عنه أنـزل الله التخفيـف عن عبـاده، فأحلَّ لهم ليلة الصيـام أن يأكلوا ويشربوا ويأتوا أهلهم إلى طلوع الفجر، سواء ناموا بعد غروب الشمس أم لم يناموا، بعد أن كانت إباحة ذلك مقيدة بعدم النوم بعد غروب الشمس، فهذا من بركاتـه رضي الله عنه، فقـد أخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: « كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار، فنـام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صِرمة الأنصـاري كان صائـماً، فلما حـضر الإفطارُ أتى امرأته، فقـال لها: أعندك طعـام؟ قالـت: لا، ولكن أنطلـقُ فأطلبُ لك، وكان يومـه يعمل، فغلبته عينـاه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خَيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقـرة: ١٨٧] ففرحـوا بهـا فرحـاً شـديداً، ونزلـت: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ [البقـرة: ١٨٧]» [٣] . فكانت رخصة للمسلمين إلى يوم القيامة.

---

(١) صحيح البخاري ٩/ ١١٣، برقم ٧٣٧٠.

(٢) كذا صوب اسمه الحافظ ابن حجر في الفتح ٤/ ١٣٠ .

(٣) صحيـح البخـاري ٢/ ٦٧٦، برقـم ١٨١٦. ومعنـى (فغلبته عيناه) أي نـام. و(خيبة لـك) يعنـي: حرماناً لـك، يقال خاب الرجـل إذا لم ينل ما طلبه. وفي رواية النسـائي (٤/ ١٧٤) أن زوجته « أيقظته فلم يطعم شيئاً وبات وأصبح صائماً ».

٢٣- وجَبَر اللهُ خاطرَ زيد بن أرقَم وفرّج عنه وأنزل تصديقه مبرئاً له من الكذب في قوله: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] [المنافقون: ٧- ٨].

٢٤- وسمع الله قول خَولَة بنت ثعلبة الأنصارية رضي الله عنها وهي تحاور النبي ﷺ في شأن زوجها الذي حرَّمها على نفسه بالظِّهار، فقال لها: «أنت عليّ كظهر أمي» - وقد كان ذلك طلاقاً في الجاهلية، وهو أول ظهار في الإسلام - وسمع الله شكواها إليه مصابها بفراق زوجها بعد أن كَبِرَ سنها، فأنزل الله - في هذه الجلسة وهي تشتكي إلى الله - حكمه في ذلك، وهو إبطال حكم الظهار[2]، بياناً للناس، واستجابة لشكواها رضي الله عنها، وهو قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن

---

(١) ينظر ذلك في صحيح البخاري ٤/ ١٨٦٠، حديث رقم ٤٦١٩، ومسند أحمد ٤/ ٣٦٨. وسيأتي الكلام عليها في الفصل الخامس.

(٢) ينظر الحديث في سنن أبي داود ٢/ ٢٦٦، رقم ٢٢١٤، وصحيح ابن حبان ١٠/ ١٠٧، رقم ٤٢٧٩. وينظر المسند (٦/ ٤٦) حديث السيدة عائشة: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادِلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾» إلى آخر الآية.

نِسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ١- ٤].

٢٥- ولمّـا خرج سـلمان الفـارسي رضي الله عنه من عند رسـول الله ﷺ مثقـلاً مغموماً لما سـأله عن النصارى فقال: « لا خـير فيهم ولا فيمن أحبهـم »[1] - وكان سـلمان قـد صاحـب جماعة من رهبـان النصارى ممن أكثرهـم على الحقِّ- أنزل الله بيان ذلك باسـتثناء أهل الحق منهم، فأفرحه وفـرّج عنه، وهـو قولـه تعـالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) روى الطـبراني في الكبـير (٦/ ٢٤٩، برقـم ٦١٢١): عـن سـلمان رضي الله عنـه في إسـلامه قـال: لما قدم النبـي ﷺ المدينة صنعت طعاما فجئت بـه النبي ﷺ فقال: « **ما هـذا يا سـلمان ؟** » قلتُ: صدقة، فقـال لأصحابه: « **كلوا** » ولم يـأكل، ثُمَّ إني رجعت حتـى جمعـت طعاماً فأتيته به فقال: « **ما هذا يا سـلمان ؟** » قلـتُ: هدية، فضرب بيده فـأكل وقـال لأصحابه: « **كلوا** »، قلتُ: يا رسـول الله، أخبرني عـن النصارى ؟ قال: « **لا خـير فيهم ولا فيمن أحبهـم** ». فقمتُ وأنا مُثْقَلٌ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ ﴾ حتـى بلـغ ﴿ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ فأرسـل إليّ رسـول الله ﷺ فقال لي: « **يا سـلمان، إن أصحابك هؤلاء الذين ذكـر الله** » .اهـ . قـال الهيثمي: « رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير سـلامة العجلي، وقد وثقه ابن حبّان ». (مجمع الزوائد: ٩/ ٤٣٤).

ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة:٨٢].

وروي أن الذي نزل هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] [البقرة : ٦٢].

ونزول ذلك بسببه رضي الله عنه منقبة عظيمة له.

وبعـــد:

فهـذه جملـة وافرة مفَصّلـة من فضائـل الصحابة في الكتـاب العزيز، فـرضي الله عنهم وصلى وسـلم وبارك على من ربّاهم، وكان سـبب الخير في إسعادهم سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

---

(١) فقـد روى الواحـدي بسـنده عن ابن جريـج عن عبد الله بن كثير، عـن مجاهد قال: « لمّا قَصَّ سلمان على النبي ﷺ قصة أصحاب الدير قال: « **هم في النّار** » قال سلمان: فأظلمـتْ علـيَّ الأرض، فنزلـت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ إلى قولـه: ﴿يَحْزَنُونَ ﴾ قـال: فكأنما كشـف عني جبـل ». وصحح الحافظ ابن حجر إسـناده إلى ابـن جريج. (ينظر العجـاب في بيان الأسـباب ١/ ٣٩٨ ، وطبعة دار ابن حزم ص٩٠) . وروي نحـوه عـن مجاهـد من غير طريـق عبد الله بن كثـير، أخرجه ابن أبي حاتـم في تفسـيره (١/ ١٢٦)، والطبري (٢/ ٤٥) بسـياق آخـر، وصحح ابن حجـر إسـناد ابن أبي حاتـم في العجـاب (١/ ٣٥٥، والأخـرى ص ٩١) . وينظر لباب النقول (ص٧).



الفصل الثاني

في ظلال آيات الثناء على الصحابة عامة

ويشتمل على:

- تزكية الله تعالى لهم والتبشير بهم والتنويه بأوصافهم في الكتب السماوية السابقة .

- نَفَى الله عنهم الخزي في الآخرة وأثبت لهم العز والكرامة.

- جَعَلهم الله عدولاً وسطاً خياراً .

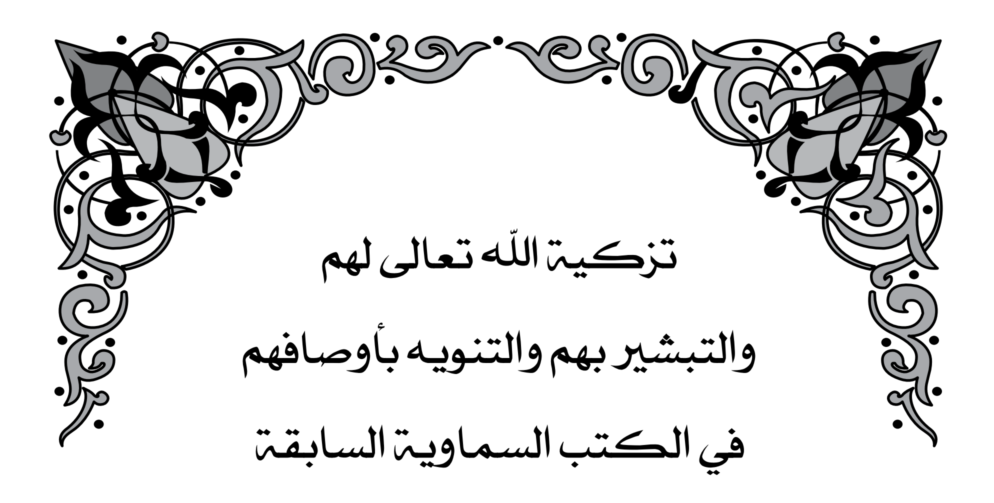
- هم خير أمة والخيار من خير أمة .

- هم أهل الطاعة الذين حبب الله إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم.

- وعَدَهم الله جميعاً بالجنة على اختلاف مراتبهم في الفضل.

- موالاة أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم.





تزكية الله تعالى لهم والتبشير بهم والتنويه بأوصافهم في الكتب السماوية السابقة

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم واصفاً أصحاب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومبيناً ما أعده لهم: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح، الآية ٢٩].

هذه الآية الكريمة تحتاج إلى وقفة طويلة للتأمل، ففيها الكثير من الأوصاف والفوائد المتعلقة بالصحاب، وفيها ارتباط النصر بقانون الأسباب، ولو توقف القارئ متأملاً هذه الآية لكفته في معرفة علو مقام أصحاب رسول الله ﷺ وجميل صفاتهم، ولكن شاء الله عز وجل فضلاً منه أن تتعدد في ذكرهم الآيات.

نزلت هذه الآية في أعقاب صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين مشركي قريش في العام السادس من الهجرة، وبعد أن بايع الصحابة النبي ﷺ تحت الشجرة بيعة الرضوان[١] .

يقول الإمام البغوي في بيان معنى الآية: « قوله: ﴿ شَطْـَٔهُۥ ﴾، أي فراخه، يقال: أشطأ الزرع إذا نبت في أصوله ما هو أصغر منه ، ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾، أي قواه . وأراد أن الحبة الواحدة تنبت سبعاً وثمانياً وعشراً، فيَقْوَى بعضُه ببعض، ولو كانت واحدةً لم تقم على ساق. مَثَلٌ ضربه الله لرسوله ﷺ إذ خرج وحده، ثم قوّاه الله بأصحابه، كما قوَّى الحبة بما ينبت منها »[٢].

ويقول الآلوسي رحمه الله: « هو مثلٌ ضربه سبحانه وتعالى للصحابة رضي اللهُ عنهم، قلُّوا في بدء الإسلام، ثم كثروا واستحكموا، فترقى أمرهم يوماً فيوماً بحيث أعجب الناس »[٣].

والمراد بـ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ في الآية: جميع الأصحاب عند الجمهور.

قال ابن الجوزي: « وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور »[٤].

---

(١) يقول القرطبي: «مدنية بالإجماع ... ونزلت ليلًا بين مكة والمدينة في شأن الحديبية». (الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٥٩). وينظر: جامع البيان ٢١/ ٢٣٨، وروح المعاني ٢٦/ ٨٣ ، والتحرير والتنوير ٢٦/ ١٤١.

(٢) شرح السنة: ١٤/ ٦٨ .

(٣) روح المعاني ٢٦/ ١٢٧ .

(٤) زاد المسير ٧/ ٤٤٦ .

والمراد به عند ابن عباس رضي الله عنهما من شهد الحديبية[١]، يقول الشوكاني: « والأَولى الحَمْلُ على العموم »[٢]، ويقول الطاهر بن عاشور: « والمراد أصحابه كلهم لا خصوص أهل الحديبية، وإن كانوا هم المقصود ابتداء »[٣].

ويقول الحافظ العلائي في استدلاله بهذه الآية على عدالة جميع الصحابة رضي الله عنهم: إنها « شاملة لجميع الصحابة رضي الله عنهم، لأن كل من أقام معه ﷺ ساعة ثبت اتصافه بأنه ممن (معه)، فكان المدح في الآية شاملاً للكل رضي الله عنهم »[٤].

بيان بعض ما في هذه الآية من المعاني واللطائف والفضائل:

أ) هذه الآية تفسير للمشهود به في الآية السابقة عليها، وهي قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ فكانت شهادته سبحانه بأن محمداً ﷺ هو رسول الله [٥]، وعطف عليها أن أصحابه على الصفات المذكورة في الآية، فما أعظمها من صفات، وما أعظمها من شهادة تبين حقيقة ما كانوا عليه من التواد والتراحم، وتقف في وجه المنتقصين لهم .

---

(١) ينظر روح المعاني ٢٦/ ١٢٣ .

(٢) فتح القدير ٥/ ٥٥ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٠٣ .

(٤) تحقيق منيف الرتبة لمن ثبتت له شريف الصحبة، ص ٧٦- ٧٧ .

(٥) ينظر الصواعق المحرقة ص ٢١٠، وقال الآلوسي في روح المعاني ٢٦/ ١٢٣: « قال أبو حيان: الظاهر أن (محمد رسول الله) مبتدأ وخبر، والجملة عليه مبينة للمشهود به ».

ب) وإذا كان من بلاغة القرآن اتفاق المطالع وهي بدايات السور مع المقاطع، وهي نهايتها، وبداية السورة هي قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، فكأن الله في خاتمتها يقول: فتحنا لك فتحا مبيناً لأنك رسولنا، وبهؤلاء الأصحاب بعلمنا بما في قلوبهم[١].

ج) وفي الآية تزكية الصحابة ظاهراً بشهادة الرائين لهم، وظاهراً وباطناً بشهادة رب العالمين[٢].

د) واشتملت الآية على بيان صفة الأصحاب التي استحقوا بها الفتح واستحقوا بها النصر والتمكين فيما بعد: فقد تحققوا بالأخوة في الله، والوحدة والتراحم فيما بينهم، وأما شدتهم فقد كانت على الكافرين، فولاؤهم لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين[٣].

هـ) ومن صفاتهم أنهم قد شَفَّت أنوارُ بواطنهم على ظواهرهم، فظهرت عليهم وضاءة في الوجه، وسكينة في السمت من أثر السجود، وأنك ما شئت أن تراهم راكعين تراهم راكعين، وما شئت أن تراهم

---

(١) من دروس العلامة الشيخ مصطفى أحمد البحياوي الحسني المغربي لنا في تفسير سورة الفتح بمسجد المغفرة بإمارة الشارقة، عام ٢٠٠٧م.

(٢) تنظر شهادة الرائين في روح المعاني ٢٦/ ١٢٧، وهذه الآية من الآيات التي استدل بها الكثير من أهل العلم على تزكية الصحابة وعدالتهم الظاهرة والباطنة، بل هي عندهم تثبت ما هو أعلى من عدالة الرواية، وهو الصلاح الظاهر والباطن، فلتنظر في مباحث العدالة في كتب مصطلح الحديث والأصول.

(٣) ينظر الأساس في التفسير ٩/ ٥٣٨٧.

ساجدين تراهم ساجدين، فهم في أحوال الطاعات وشدة الإقبال على الله يتقلبون، ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ .

و) ومن صفاتهم الباطنة، التي أعلمنا الله بها أنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، فكان مقصودهم هو الله، ومطلوبهم هو رضاه، وذاك هو سر النصر الدائم، وهذا من مواطن الاقتداء بهم رضي الله عنهم، نسأل الله عز وجل أن يرزقنا محبتهم وأن يحشرنا في زمرتهم .

ز) أشارت الآية إلى توازنهم واعتدالهم في السلوك وإلى سبب ذلك: فهم أشداء على الكفار فلا خَوَر، ورغم ذلك فلم تنعكس شدتهم وغلظتهم على المؤمنين، بل تخللت بينهم خلائل المودة والرحمة، ولانت قلوبهم لإخوانهم، وعليه فهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد، فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى[1]، ويعرفون أين يضعون أقدامهم. هذا الاعتدال وهذا التوازن منشؤه مدرسة العبادة التي نشأوا فيها، وتربوا عليها، وأنوار المعية النبوية التي نعموا بها.

ح) وفي إتباع الله تعالى وصفهم بالرحمة فيما بينهم، لوصفهم بالشدة احتراسٌ عن توهم استيلاء الشدة والغلظة عليهم رضي الله عنهم، وتكميلٌ للوصف الحسن، كما في قوله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. يقول الزركشي: « فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة وهي

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٠٥ .

السهولة، لتوهم أن ذلك لضعفهم، فلما قيل: ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ عُلِم أنها منهم تواضع، ولهذا عُدِّي الذل بعلى لتضمنه معنى العطف »[1].

ط) واشتملت هذه الآية على الإشارة إلى حيازتهم لمقام الإمامة والاقتداء بهم حتى قبل وجودهم: وهذا واضح بأدنى تأمل في الآية، حيث ضربهم الله مثلاً لليهود في التوراة، وللنصارى في الإنجيل، وبايَنَ بَين المَثَلين، وقد كانت اليهود والنصارى في أشد الحاجة لهذا المَثل ليصلحوا به عِوَجهم، فجانب الشدة في قتال الكافرين وعدم الجبن فيه واضح فيهم، فلا يقولون كما قالت اليهود: ﴿ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]. وكذلك التراحم فيما بينهم، فلا سفك لدم ولا مراباة، ولا أكل لمال بغير حق، ولا غفلة عن العبادة فيطبع على القلوب، فهذا المثل كانت اليهود في حاجة إليه، وأما حاجة النصارى فهو حاجتهم إلى حثهم على مناصرة الدين، وإظهاره وعدم الانزواء به، وذاك كان حال أكثر النصارى، فضرب الله لهم مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مساعدتهم لرسولهم ومؤازرتهم له، حتى ظهر الدين واستوى بهم على سوقه، فسبحان من جعل أصحاب حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم في مقام الإمامة لمن سبقهم، فما أحرانا أن نأتم بهم، وأن نعرف فضلهم .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٤٢، وينظر هذا المعنى في روح المعاني ٢٦/ ١٢٣ .

ي) وهذا النور وهذه السِّيما التي ظهرت على وجوههم - والتي هي أثر صفاء نفوسهم من الإخلاص والعبادة - كانت مظهراً واضحاً جلياً يظهر للعيان، حتى أشاد الله سبحانه وتعالى بها، وهي سيما لهم ولمن كان على أثرهم في الدنيا وفي الآخرة، يقول ابن كثير رحمه الله: « فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم، وقال مالك رحمه الله: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: (والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا). وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظَّمةٌ في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ »[1].

ك) وفي ضَرْب الله تعالى مثلهم بالزرع تشبيه ينِمُّ على حيويتهم ونشاطهم رضي الله عنهم: وهذا كان حالهم. والفاء في ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ تفيد سرعة في النماء[2]، وهكذا نموا وكثروا في سنوات قليلة في عمر تكوين الأمم. وإخباره تعالى بإعجاب الزُّراع - الذين هم أهل الخبرة بالزراعة وبعيوب الزرع - بهذا الزرع: يفيد كون الصحابة في الغاية من الصلاح والاستقامة، إذ جُعِلوا محلاً لإعجاب هؤلاء الخبراء[3]، وفي تشبيههم بـ (الشطء)، وهو النبت الخارج من أصل الزرع (الفسيل)، إشارة إلى شدة المشابهة بين الأصل والفرع، وترسمهم خطاه ﷺ، بحيث

(١) تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٣٤٣.

(٢) ينظر جماليات المفردة القرآنية ص ١٣٨.

(٣) ينظر روح المعاني ٢٦/ ١٢٧.

يكونـون فيمـا بعد قدوة لغيرهم، فسـبحان الذي ضُمِّنَتْ كلماتُه اليسـيرة المعاني الكثيرة !!

ل) وفي قولـه تعـالى: ﴿ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ **أيضـاً بيـان أن الصحابـة هـم نَبْتُ رسـول الله ﷺ:** فرعايتهم من رعايتـه، وحرمتهم من حرمتـه، فإذا كان آل بيته رضوان الله عليهم فازوا منه بالنسـب فأصحابه لهم منه بهذه الآية سبب، فتأمّل !

م) وفي قولـه تعـالى: ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ **بيـان لتقوية الله تعالى رسـوله بهم:** وذاك مصـداق قولـه تعـالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢]، وقولـه تعـالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

ن) وفي وصـف الصحابـة بالمعية للرسـول صلى الله عليه وآله وسـلم إشارة إلى عِظَم شرفها: فهم لا يشقون بصحبته أبداً، فكما لا يشقى جليس القوم الصالحين بهم فهذه المعية النبوية أولى وأولى، وفي المعية أيضاً إشـارة إلى شـدة الارتبـاط وكـمال الصحبة وكمال الاتبـاع له صـلى الله عليه وآله وسلم، فهم كظله لا يتركونه ولا يسلمونه، وإشارة إلى أن تلك المعية هي السبب في تزكيتهم وترقيتهم وتميزهم على من سواهم.

وفي ذلك يقول الإمام النووي رحمه الله: « وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيهـا عمـل، ولا تنال درجتها بـشيء، والفضائـل لا تؤخذ بقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٦/ ٩٣ .

س) وفي قوله تعالى: ﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا ﴾ إشـارة إلى هضمهم لأنفسهم، وأدبهم مع ربهم، وتعظيمهم حقه تعالى: فهم مع ما هم عليه من الاجتهاد في الطاعـات والمسـارعة إلى الخـيرات، لا يغترون بها، وإنـما يعولون على فضـل الله تعـالى ورحمته، لما وقر في صدورهم من أن العبد لا يسـتطيع أن يـوفي حق نعمه تعالى عليـه، وأن العبادة هي حقه تعـالى الواجب عليهم، وأن العمـل إنما هو سـبب لتفضل الله تعالى، وهـذا من تمام فهمهم لحقيقة العبودية، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: « **لن يُدخل أحداً عملُه الجنة** ». قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: « **لا ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمـة** »[(١)]. فجاء هذا الوصف الذي يعبر عن حقيقة ما في نفوسـهم على وفق هذه الحقيقة الكبرى[(٢)]، فما أعظم فهمهم، وما أعظم وصفهم.

ع) وفي هـذه الآيـة وعـد مـن الله تعـالى خاص بهـم بالمغفـرة والأجر العظيـم: وذلـك في قولـه تعـالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾، فـإن (مـن) في قولـه تعـالى ﴿مِنۡهُم﴾ لبيـان الجنس لا للتبعيض[(٣)]؛ لأن لفظةَ (بعضٍ) لا تَصلُحُ مكانَها.

ومعنـى بيانهـا للجنس: أن الموعود بهذا الوعـد من المؤمنين في هذه الآيـة هـم جنـس أصحاب محمـد لا عمـوم المؤمنين، وحملهـا على بيان الجنس هو المتوافق مع المدح العظيم السـابق لهم جميعاً، والذي أشاد الله

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ٢١٤٧، برقم ٥٣٤٩، ومسلم ٤/ ٢١٧٠، برقم ٢٨١٦.
(٢) ينظر قريب من هذا المعنى في التفسير الكبير للفخر الرازي ١٤/ ١٠٨- ١٠٩ .
(٣) قال الفخر الرازي، هي: « لبيان الجنس لا للتبعيض» . التفسير الكبير ١٤/ ١١٠ .

تعـالى به في كتبه من قبل في التوراة والإنجيل[١]. فكيف يوصفون جميعاً بالإيـمان والعمل الصالـح، ثم نفهم أن الوعد بالمغفـرة والأجر العظيم يُقَـصر على بعضهم، فهذا فهم بعيد لا يتناسـب مع ما سـيقت له الآية، فهي إذن عامة فيهم.

يقول الإمام القرطبي في ذلك: « قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: وعـد الله هؤلاء الذين مع محمد، وهم المؤمنون الذين أعمالهم صالحة ﴿ مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ أي: ثواباً لا ينقطع وهو الجنة. وليست (من) في قوله ﴿ مِنۡهُم ﴾ مبَعِّضة لقوم من الصحابة دون قوم، ولكنها عامة، مجنسة، مثـل قولـه تعـالى: ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ ﴾ [الحج:٣٠] لا يقصد للتبعيض لكنه يذهب إلى الجنس، أي: فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثـان، إذ كان الرجس يقع من أجناس شـتى، منها الزنا والربا وشرب الخمـر والكـذب، فأدخل(من) يفيد بها الجنس وكـذا (مِنْهُمْ)، أي: من هـذا الجنس، يعني جنس الصحابة. ويقال: أنفق نفقتك من الدراهم، أي اجعل نفقتك هذا الجنس »[٢].

ف) في الآيـة مـا يدل على اسـتمرار حـال الأصحاب عـلى الصلاح: وذلـك الظاهـر مـن تعبيراتهـا في الفعـل المضـارع: ﴿ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا ﴾ و﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا ﴾، وكذا في الجمل الاسمية الدالة على الثبوت والدوام في

---

(١) ينظر روح المعاني ٢٦/ ١٢٨ .

(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٩٥ .

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ و﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾، والأظهر في الدلالة على ذلك كونُ الله عز وجل ضَرَبهم مثلاً للسابقين في التوراة والإنجيل[1]، ولا يُضرب المثل بأقوام تتغير أحوالهم إلى الفساد والعياذ بالله - كما يزعمه من زاغوا أو ضلوا الطريق من الروافض وغيرهم- فضلاً عن وعد الله إياهم بالمغفرة والأجر العظيم، ووعده تعالى مستمر لا يتخلف، ولا يطعن في ذلك اقتراف أحد منهم لمعصية، فالله أعلم حيث وعد، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[2] .

ص) وفي الآية تخويف شديد لكل من تناول أصحاب النبي ﷺ بسوء، وأن كل من كان في قلبه شيء على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: « ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ قالت: أصحاب رسول الله ﷺ، أُمِرُوا بالاستغفار لهم فَسَبُّوهم »[3] . أي أُمر النّاسُ بالاستغفار لهم فسبهم بعضُهم .

وذكر القرطبي قال: « روى أبو عروة الزبيري - من ولد الزبير-: كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ ، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ حتى بلغ ﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ

---

(١) يقول الآلوسي رحمه الله في روح المعاني ٢٦/ ١٢٨: « ولا يكاد عاقل يقبل أنه تعالى أطلق المدح وكتبه لأناس لم يثبت على تلك الصفة إلا قليل منهم ....».

(٢) ينظر روح المعاني: ٢٦/ ١٢٨ .

(٣) المستدرك للحاكم ٢/ ٤٦٢ .

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فقال مالك: مَنْ أصبح من الناس في قلبه غيظٌ على أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية »[١].

وعن أبي يعقوب بن العباس قال: « كنا عند أبي عبد الله – أي الإمام أحمد بن حنبل– سنة سبع وعشرين أنا وأبو جعفر بن إبراهيم، فقال له أبو جعفر: أليس نترحم على أصحاب رسول الله كلهم، معاوية وعمرو بن العاص وعلى أبي موسى الأشعري والمغيرة ؟ قال: نعم، كلهم وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ »[٢].

وعن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما أرى أحداً يشبههم، والله إنْ كانوا ليصبحون شُعْثاً غُبراً صُفراً، بين أعينهم مثل رُكَبِ الْمِعْزَى، قد باتوا يتلون كتاب الله يُرَاوِحون بين أقدامهم وجباههم[٣]، إذا ذُكر الله مادوا كما تميد الشجرةُ في يومِ ريحٍ، فانهملت أعينهم حتى تبُلّ والله ثيابَهم، والله لكأنَّ القوم باتوا غافلين»[٤].

فرضي الله تعالى عنهم أجمعين.

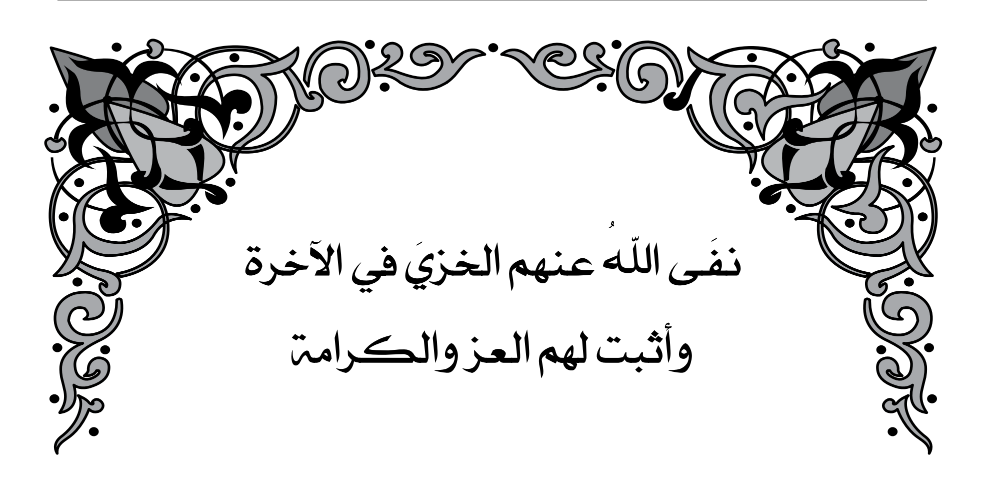
---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٦٩ - ٢٧٠، والأثر رواه الخلال في السنة ص ٤٧٨، برقم ٧٦٠، والحافظ أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٧، والضياء المقدسي في النهي عن سب الأصحاب ص ٧٨ .

(٢) السنة للخلال ص ٤٧٦– ٤٧٧، برقم ٧٥٥ .

(٣) يعني يطيلون القيام والسجود في الصلاة .

(٤) حلية الأولياء ١/ ٧٦ .



نفى الله عنهم الخزي في الآخرة وأثبت لهم العز والكرامة

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

الخزي يأتي بمعنى الهلاك، والفضيحة، والذل، والمكروه[١]، يقول ابن عطية رحمه الله: « الخزي المكروه الذي يترك الإنسان فيه حيران خجلاً مهموماً بأن يرى نقصه أو سوء منزلته »[٢]. والمراد بنفي الإخزاء عنهم إثبات أنواع الكرامة والعز لهم[٣]. وهذه الآية الكريمة آية مدنية من سورة مدنية[٤].

(١) ينظر لسان العرب، والقاموس المحيط، والمفردات للراغب الأصفهاني (مادة خزي).
(٢) المحرر الوجيز ١٤/ ٥٢٦.
(٣) روح المعاني ٢٧/ ١٦١.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ١٤/ ٥٠٩، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ١٧٧، وفتح القدير ٥/ ٢٤٩، والتحرير والتنوير ٢٨/ ٣٤٣.

بيان بعض ما في هـــذه الآية من الفضـــائل في حق رسول الله ﷺ وأصحابه:

أ) في هـذه الآيـة بيان علـو مقام النبـي ﷺ عند ربه: فقـد بشره بعدم الإخـزاء يـوم القيامـة من غير طلـب، بينما سـأل ذلك غيره مـن الأنبياء، فقـد نقـل العيني عـن ابن فـورك في بيان الفرق بـين المحبـة والخُلّة، قال: « ... والخليل – أي إبراهيم عليه السلام – قال: ﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٨] والحبيب قيل له: ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ﴾ فابتدأ بالبشارة قبل السؤال »[١]. بل زاده تعالى فأعطاه ألا يخزي من آمن معه .

ب) في هذه الآية بُشرى للصحابة ووعْدٌ من الله تعالى لهم بأنه لا يخزيهم يوم القيامة فلا يُلَقَّوْن إلا أماناً ولا يَلْقَوْنَ إلا خيراً .

فالآية إن حُملت على الخصوص الظاهر من لفظ المعية في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ فهـي في حق الصحابـة رضوان الله عليهم، وإنْ حُملـت على عموم المؤمنين من هذه الأمـة فدخول الصحابة فيها ظاهر، بـل يدخلون دخولاً أوليـاً ؛ لأنهم أفضل المؤمنين مـن الأمة المحمدية، وقـد حملهـا كثير مـن العلماء على كونهـا واردة في حـق الصحابة، وأنهم مخصوصـون بنفـي جميع أنواع الخـزي عنهم، بينما غيرهـم من المؤمنين، غير مخصوصين بذلك.

---

(١) عمدة القاري ١٦/ ١٧٦ .

من أقوال العلماء في ذلك:

١ - **يقـول البقاعـي رحمه الله:** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ وهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم إن كان المراد المعية في مطلق الزمان، وسابقوهم إن كان المـراد في الوصف، أو زمان مخصوص كبدر وبيعة الرضوان، لأن النبي ﷺ قال: « **لا يدخل النّار أحد بايع تحت الشـجرة** » كما رواه مسلم عن أم مُبَشّر رضي الله عنهـا وأبـو داود والترمـذي عن جابر رضي الله عنـه: « **ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » [١].

٢- **ويقـول الشريف الجرجاني:** « عدم الإخزاء لا يعم المؤمنين جميعاً بـل هو مخصوص بالصحابـة كما يدل عليه لفظ معـه »[٢]. وذلك لأن مِن المؤمنـين مَن يعـذَّب في النار بذنبه، ومنهـم مَن يهمل يـوم القيامة فيطول عليه الوقوف، ومنهم مَن يُفضح بذنبه أو بغدر على رؤوس الأشهاد.

٣- **ويقول الآمدي:** « وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ لا يتنـاول كل مؤمن، بل من آمن مع النبي عليه السـلام، وهـو صريـح في ذلك، ... ولا يلزم من نفي الخـزي عمن آمن مع النبي نفيه عن غيره » [٣].

---

(١) نظم الدرر ٢٠/ ٢٠٢ .

(٢) شرح المواقف للجرجاني ٨/ ٣٢٧ .

(٣) الإحكام في أصول الأحكام ١/ ٧١ .

٤- **وقال الآجري** رحمه الله بعد كلامه على فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، قال: « وكذلك جميع صحابته، ضَمن الله عز وجل للنبي ﷺ أن لا يخزيه فيهم، وأنه يتم لهم يوم القيامة نورهم ويغفر لهم ويرحمهم ؛ قال الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ »[1] .

فهذه بعض نصوص العلماء في ذلك .

ج) في هـذه الآية كما يقول الطاهر بن عاشـور: « دليل على مغفرة الله تعالى لجميع أصحاب النبي ﷺ»[2]. والمعروف أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

د) وفي الآيـة بيـان سـبب عـدم الإخـزاء، وهـو صدقهـم المعـبر عنه بالإيمان[3]، وبركة المعية النبوية.

هـ) وفي الآيـة تنبيه لهم للمحافظة على سـبب الكرامـة وهو الإيمان،

(١) الشريعة للآجري (٥/ ٢٣٤١ طبعة دار الوطن)، وينظر: (٥/ ٢٤٣١ من هذه الطبعة، كتاب فضائل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه).

(٢) التحرير والتنوير ٢٨/ ٣٧١ .

(٣) السابق ٢٨/ ٣٧٠ .

وليكونوا على حذر من قطع هذا السبب، ولا شك أن فيها تعريضاً لمن لا تشملهم هذه الكرامة من الذين تخلفوا عن ركب الإيمان بالله ورسوله[١].

و) وفي الآية بشرى لهم بموتهم على الإيمان، وتحصيل رضوان الله تعالى، يقول ابن حجر الهيتمي المكي: « فآمنهم الله من خزيه، ولا يأمن من خزيه في ذلك اليوم إلا الذين ماتوا والله سبحانه ورسوله عنهم راض، فأَمْنُهم من الخزي صريحٌ في موتهم على كمال الإيمان وحقائق الإحسان وفي أن الله لم يزل راضياً عنهم وكذلك رسوله » [٢].

ز) وقد استشهد بعض العلماء بهذه الآية على عدالة الصحابة، ووجوب مزيد الأدب معهم، قال ابن حبان: « قال أبو حاتم – أي الرازي– ... والله جل وعلا نزَّه أقدار أصحاب رسول الله ﷺ عن إلزاق القدح بهم حيث قال: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ فمن أخبر الله جل وعز أنه لا يخزيه في القيامة فبالحري أن لا يجرح »[٣].

---

(١) ينظر روح المعاني ٢٨/ ١٦١ .

(٢) الصواعق المحرقة: ٢٠٩ .

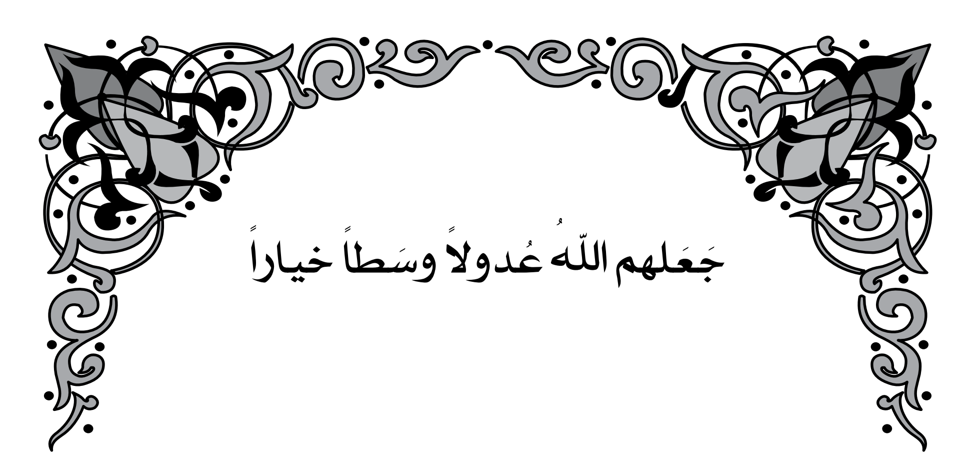
(٣) صحيح ابن حبان ٥/ ٢٣، وينظر شرح المواقف للشريف الجرجاني ٨/ ٣٧٣: المقصد السابع: في أنه يجب تعظيم الصحابة كلهم والكف عن القدح فيهم .

وآخـراً:

فالآيـة بـشرى لجميـع أصحاب رسـول الله ﷺ على قـول كثير من العلـماء تصريحـاً، وإن أريـد بهـا مطلـق المطيعين مـن أهل الإيـمان فهم داخلون فيها بطريق الأولى، فهم الذين كانوا معه ﷺ، وهم خيار الأمة وسـادتها، كما قال رسـول الله ﷺ: « **خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** »[1].



(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢/ ٩٣٨، برقم ٢٥٠٩، ومسلم ٤/ ١٩٦٢، برقم ٢٥٣٣.



جَعَلهم اللّهُ عُدولاً وسَطاً خياراً

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة من الآية ١٤٣].

في هذه الآية الكريمة بيان لفضل الأمة الإسلامية عموماً، والصحابة خصوصاً، ففيها تزكية الله تعالى لهذه الأمة بأنها أوسط الأمم وأعدلها، وأول من شُوفِهَ بذلك وبُشّر بهذه الآية أصحاب رسول الله ﷺ، فهم أولى الناس بهذا الوصف، فضلاً عن كون حالهم يشهد بكمال اتصافهم بهذه الأوصاف الكريمة، فلذلك كانوا أسعد الناس حظاً بهذه الآية .

ويرى جمع من العلماء أن الصحابة هم المقصودون بالخطاب في هذه الآية، وغيرهم ملحق بهم، يقول الحافظ السخاوي رحمه الله في هذه الآية: « هي خطاب مع الموجودين منهم حينئذٍ، ولكن لا يمتنع إلحاق غيرهم بهم ممن شاركهم في الوصف »[١].

---

(١) فتح المغيث ٥/ ٣٣. ويقول الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية ص ٦٤. بعد استدلاله بهذه الآية على عدالة الصحابة: « وهذا اللفظ - [أي: وكذلك جعلناكم] - وإن كان عاماً فالمراد به الخاص، وقيل: هو وارد في الصحابة دون غيرهم ». وينظر كونهم الأصل في الخطاب في روح المعاني ٢/ ٤ .

وقـد جـاءت هذه الآية بعد تشـويش أهل الكتاب عـلى المؤمنين عند تحويـل القبلة، بـأن المؤمنين متخبطون في قبلتهم، فرد الله عليهم بأن الأمر كله له سـبحانه، وأن المؤمنين مؤتمرون بأمـره، على هدى منه، والله يخص بالهدى من يشاء، فقال تعالى في الآية السابقة: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:١٤٢].

يقـول الطـبري رحمـه الله في معنـى الآيـة: « يعنـي جل ثنـاؤه بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: كـما هديناكـم أيّهـا المؤمنون بمحمد عليـه الصلاة والسـلام وبما جاءكم به من عنـد الله فخصصناكم بالتوفيق لقِبلـة إبراهيـم وملته، وفضلناكم بذلك على من سـواكم مـن أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطًا »[١] .

معنى الوسط، وشرف الوصف بالوسطية:

الوسـط مـن أجمع الأوصـاف في الاعتدال والاسـتقامة، وقد جاء في الحديـث عـن النبـي ﷺ في تفسـير ذلـك قـال: « ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، قال: عـدلاً »[٢]، وجـاء عن جمـع من المفسريـن: أي خياراً وعـدولًا [٣]، كما في

(١) جامع البيان ٢/ ٦٢٦ .
(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٦٧٥، رقم ٦٩١٧ .
(٣) ينظـر تفسـير القـرآن العظيـم ١/ ٢٧٥ ، ٢٧٦، وفتـح القديـر ١/ ٥٠ ، وروح المعاني ٢/ ٤٤، والتحرير والتنوير ٢/ ١٨ .

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾، أي: خيرهم وأعدلهم، ولا شك أن الوصف بالعدالة راجع إلى كونهم أخياراً[١]، والوسط من كل شيء خياره.

والوسط في الأصل: اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كالمركز، ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكونها أوساطاً بين طرفي الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير[٢]، فهذه الأمة - كما يقول الطبري والقرطبي وغيرهما - لم تغْلُ غلو النصارى في أنبيائهم، ولم يغلوا بالترهب في دينهم، ولا قصّروا تقصير اليهود في أنبيائهم.

وفي الوسط معنى الصيانة والعزة، إذ لا يوصل إلى الوسط إلا بعد اجتياز ما حوله[٣].

يقول ابن كثير: «ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً، خصها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب»[٤].

(١) ينظر جامع البيان ٢/ ٦٢٧.

(٢) ينظر روح المعاني ٢/ ٤.

(٣) ينظر جامع البيان ٢/ ٦٢٦-٦٢٧، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٢/ ١٠٨- ١٠٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٥٣-١٥٤، وفتح القدير ١/ ١٥٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٥٤.

دلالة الآية على فضل الصحابة رضوان الله عليهم وعدالتهم:

هذه الآية لها دلالتان:

الأولى: دلالة عامة.

والثانية: دلالة خاصة [١] رشحتها أدلة أخرى، وكلتاهما يدلّ على فضل الصحابة .

الدلالة الأولى: وهي الدلالة العامة للآية، ودخول الصحابة فيها دخولاً أولياً :

هذه الدلالة هي الدلالة على خيرية الأمة المحمدية وأفضليتها على سائر الأمم، وذلك بأن جعلها أهلاً للشهادة على هذه الأمم، فيشهدون للأنبياء يوم القيامة بأنهم بلغوا أقوامهم، ولا شك في أولوية دخول الصحابة في هذه الخيرية، يقول الإمام الشاطبي: « إنهم أولى بالدخول من غيرهم، إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم »[٢] .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **يدعى نوح فيقال: هل بلغت ؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟**

(١) وهي تزكية الصحابة رضوان الله عليهم ، وهذه الآية مما استدل بها على حجية الإجماع، وفصَّل مسألة الإجماع الرازي في تفسيره ٢/ ١١٠- ١١٤، والسمعاني في قواطع الأدلة ١/ ٤٦٢: ٤٦٦، وغيرهما، ودلالات القرآن متسعة لكل ذلك، والحمد لله .

(٢) الموافقات ٤/ ٤٥١ .

فيقولـون: مـا أتانـا من نذيـر، وما أتانـا من أحـد. فيقول: مَنْ شـهودُك؟ فيقول: محمد وأمته، قال: فيؤتى بكم تشهدون أنه قد بلغ، فذلك قول الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، والوسط: العدل » [١].

ولا شك أن عدالة ووسطية هذه الأمة ممتدة في الدنيا وليست محصورة في الشهادة على الأمم يوم القيامة[٢]، وإنما خصت هذه الشهادة بالذكر هنا لأنها أعظم مظاهرها، والمنة فيها عظيمة، منّةُ توليةِ الله سبحانه وتعالى لنا هـذا المقام الخطير في يـوم القيامة، فهي أمة مرضية عنـد الله تعالى، خاصة جيلها الأول الذي نعم بصحبة رسول الله ﷺ.

فعـن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مُرّ بجنازة فأُثني عليها خيراً، فقـال نبي الله ﷺ: « **وَجَبَـتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ** ». ومُر بجنازة فأُثني عليها شرّاً، فقال نبي الله ﷺ: « **وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ** ». قال عمر: فدىً لك أبي وأمي، مُرّ بجنازة فأُثْني عليها خيراً فقلتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ؟ ومُـرّ بجنـازة فأُثْني عليهـا شرّاً فقلتَ: وَجَبَـتْ، وَجَبَـتْ، وَجَبَتْ؟ فقال رسـول الله ﷺ: « **مَـن أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنـة، ومَن أثنيتم عليه شرّاً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض،**

(١) أخرجه الترمذي في سـننه، كتاب التفسـير ٥/ ٢٠٧، وقال أبو عيسـى: « هذا حديث حسن صحيح ».

(٢) ينظر القولان في الشهادة في التفسير الكبير للرازي ٢/ ١١٢، ١١٣.

أنتم شهداء الله في الأرض»[١]. وزاد الحاكم في المستدرك في حديثه عن جابر بن عبد الله: «ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾»[٢].

فانظر كيف امتدت دلالة الآية في الدنيا، وانظر قول النبي ﷺ لأصحابه: «**أنتم شهداء الله في الأرض**»، تعلم كيف رضي عنهم ربهم سبحانه فارتضاهم شهداء، وعصمهم أن يتفقوا على ضلالة.

من مظاهر الوسطية في هذه الأمة:

مظاهر وسطية الأمة كثيرة، تظهر من المعاني التي ذكرها المفسرون في معنى (الوسط)[٣] في الآية.

يقول الشيخ السعدي في تفسيره مبيناً بعض هذه المظاهر: «جعل الله هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدِّين: وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (شرح النووي ٧/ ٢١: ٢٢)

(٢) وقال الحاكم (٢/ ٢٦٨): «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه إنما اتفقا على وجبت فقط». وقال الذهبي: فيه مصعب بن ثابت، ليس بالقوي.

(٣) وينظر في معاني الوسط والوسطية التفسير الكبير للرازي ٢/ ١٠٨ - ١٠٩، وعند تفسيره لقوله تعالى من سورة الفاتحة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ ١/ ٢٥٨، وفي ظلال القرآن ١/ ١٣٠- ١٣٢.

ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى.

وفي باب الطهارة والمطاعم: لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يحرمون شيئاً، بل أباحوا ما دَبَّ ودَرَجَ، بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها.

وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها.

ووهبهم الله من العلم والحلم، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [كاملين] ليكونوا ﴿ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول، فهو مقبول، وما شهدت له بالرد، فهو مردود ...»[1].

الدلالة الثانية للآية، وهي دلالة خاصة بالصحابة الكرام، ونصوص العلماء في ذلك:

هذه الدلالة الثانية هي الدلالة المفهومة من الخطاب في قوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ ﴾ وقوله: ﴿ لِّتَكُونُواْ ﴾، وهي التي فهم منها علماء الإسلام

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٠.

كأهل الحديث والأصوليين وغيرهم الدلالةَ على عدالة الصحابة رضوان الله عليهم[١] .

وقد رَشَّحت دلالةَ الآية على عدالة الصحابة - وهي تعني استقامتهم في دينهم، وخيريتهم، والثقة بكل ما بلغوه عن رسول الله ﷺ[٢]- رشَّحت هذه الدلالة وقوّتها نصوصٌ أخرى من الكتاب والسنة[٣]، وهذا ما قرَّره المحققون .

---

(١) ينظر البرهان للجويني ١/ ٤٠٣ وما بعدها ، والمحصول ٤/ ٣٠٧ ، والمستصفى ١/ ١٦٤ ، والإحكام للآمدي ٢/ ١٠٢ - ١٠٣ ، وشرح الكوكب المنير ٢/ ٤٧٣ : ٤٧٧ ، وإرشاد الفحول ١/ ٣٣٦ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٧ ، والكفاية في علم الرواية: ٦٣ - ٦٤ ، والاستيعاب لابن عبد البر ١/ ١١٧: ١١٨ ، ١٢٢: ١٢٣ ، ومقدمة ابن الصلاح: ٤٩٠ ، والتقييد والإيضاح لزين الدين العراقي ٢/ ٨٩٣ ، والإصابة ١/ ١٦٢ ، وفتح المغيث للسخاوي ٤/ ٣١: ٣٢ ، وتدريب الراوي ٢/ ١٩٠ .

(٢) جاء في شرح الكوكب المنير من كتب الأصول على مذهب الإمام أحمد (٢/ ٤٧٧): « وليس المراد بكونهم عدولاً: العصمة واستحالة المعصية عليهم، إنما المراد أن لا نتكلف البحث عن عدالتهم، ولا طلب التزكية فيهم ، فلو قال ثقة: حدثني رجل من الصحابة أن النبي ﷺ قال كذا، كان ذلك كتعيينه باسمه لاستواء الكل في العدالة ».

(٣) من هذه المرشِّحات آيات كثيرة، يقول الشوكاني في إرشاد الفحول (١/ ٣٣٦) مستدلًا على قول جمهور المسلمين بعدالة الصحابة: « ووجه هذا القول ما ورد من العمومات المقتضية لتعديلهم كتاباً وسنة كقوله سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي: عدولاً، وقوله: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، وقوله: ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾، وقوله ﷺ: « **خير القرون قرني** ».

من نصوص العلماء في ذلك:

١- يقول ابن الصلاح رحمه الله في الاستدلال على عدالة الصحابة وقبول مروياتهم: « وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ وهذا خطاب مع الموجودين حينئذ»[١].

٢- ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله عند الكلام على العمل بسنة الصحابي، وأن الصحابة هم أولى المخاطبين بهذا الخطاب، وأن أحوالهم جارية على الطاعة لله تعالى: « ومن الدليل على ذلك أمور:

أحدها: ثناء الله عليهم من غير مَثْنويَّة[٢] ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها[٣] كقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

ففي الأولى: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة.

وفي الثانية: إثبات العدالة مطلقاً، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى.

(١) مقدمة ابن الصلاح: ٤٩٠ .
(٢) أي الثناء عليهم في ذلك وحدهم .
(٣) أي الاستقامة في الدين، والتحري فيه.

ولا يقال إن هذا عام في الأمة فلا يختص بالصحابة دون من بعدهم، لأنا نقول:

أولاً: ليس كذلك، بناء على أنهم المخاطبون على الخصوص، ولا يدخل معهم من بعدهم إلا بقياس وبدليل آخر.

ثانياً: وعلى تسليم التعميم: فإنهم أول داخل في شمول الخطاب، لأنهم أول من تلقى ذلك من الرسول عليه الصلاة والسلام وهم المباشرون للوحي.

ثالثاً: أنهم أولى بالدخول من غيرهم، إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم، فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح.

وأيضاً: فإن مَنْ بعد الصحابة من أهل السنة عدَّلوا الصحابة على الإطلاق والعموم، فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء ولا محاشاة، بخلاف غيرهم، فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته، وذلك مصدِّق لكونهم أحق بذلك المدح من غيرهم، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط بإطلاق[١]»[٢].

(١) أي خير أمة مطلقاً، وأعدل الأمة مطلقاً، فلا يتقدم عليهم أو يساويهم في ذلك غيرهم.
(٢) الموافقات ٤/ ٤٥٠ - ٤٥٢.

٣- ويقول الإمام أبو حاتم الرازي في استدلاله على تزكية الصحابة، واستقامتهم على الهدى، وعدالتهم وحصول الثقة بما نقلوه من الدين، وأنهم أعلى طبقات الأمة فضلاً، وقد سبقوا في ذلك الفضل غيرهم، يقول: « شرَّفهم الله عز وجل بما مَنَّ عليهم وأكرمهم به مِنْ وضعه إياهم موضعَ القدوة، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز، وسماهم عدول الأمة، فقال عزّ ذكره في محكم كتابه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ففسَّر النبي ﷺ عن الله عز ذكره قوله (وسطاً) قال: « عدلاً »، فكانوا عدول الأمة، وأئمة الهدى، وحُجَجَ الدين، ونَقَلة الكتاب والسنة »[١].

٤- ويقول الآمدي في ترجيحه للقول بعدالة الصحابة جميعاً، وهو مذهب السواد الأعظم من المسلمين: « والمختار إنما هو مذهب الجمهور من الأئمة[٢]، وذلك بما تحقق من الأدلة الدالة على عدالتهم ونزاهتهم وتخييرهم على من بعدهم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي عدولاً، وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، وهو خطاب مع الصحابة الموجودين في زمن النبي ﷺ »[٣].

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٧.

(٢) وهو القول بعدالة الصحابة جميعاً.

(٣) الإحكام ٢/ ١٠٢.

تعليق:

فأنت ترى استدلال كبار الأصوليين، وأئمة أهل الحديث بهذه الآية على عدالة الصحابة وتزكيتهم، وأنهم خير ممن يأتي بعدهم، وأن هذه الدلالة الخاصة لا تتعارض مع الدلالة العامة التي تفيد تفضيل الأمة كلها على سائر الأمم.

وترى ما استنبطه العلماء من هذه الآية وأمثالها من عظيم فضل الأصحاب، وأنهم مبرؤون في دينهم بفضل الله عما يسقط عدالتهم، موصوفون بما يثبت صدقهم وأمانتهم وتحريهم في دينهم، وبما يوجب إحسان الظن بهم، وقبول كل ما نقلوا عن رسول الله ﷺ، وما بلَّغوا إلينا من علم، فعن أنس رضي الله عنه قال: « والله ما كنا نكذب ولا ندري ما الكذب »[١]، وقال: « والله ما كل ما نحدثكم به سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن كان يحدِّث بعضنا بعضاً ولا يتهم بعضنا بعضاً »[٢]، وفي الصحيحين عن عليٍّ رضي الله عنه قال: « إذا حدّثتكم

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (البحر الزخار ١٣/ ٤٨٣، برقم ٧٢٨٨)، وقال الهيثمي في المجمع : « رواه البزار ورجاله ثقات» . وأخرج الخطيب البغدادي نحوه عن البراء ابن عازب رضي الله عنه في الجامع لأخلاق الرواي والسامع حديث رقم ٩٩ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٧٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٧/ ١٥، والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الرواي والسامع حديث رقم (١٠٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٣٦٧ . وروي نحوه عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وقال: « ما كل ما نُحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه، ولكن سمعناه، وحدَّثَنا أصحابُنا، ولكنَّا لا نكذب ». أخرجه أحمد في «العلل» ٢/ ٤١٠، برقم ٢٨٣٥، ويعقوب بن سُفيان في المعرفة والتاريخ ٢/ ٦٣٤.

عن رسـول الله ﷺ فلأَن أَخرَّ من السـماء أحبّ إليَّ مِنْ أن أقول عليه ما لم يقـل »(١)، فلولا هذه الجماعة العظيمة التي كانت تخاف على الدين وترعاه لما عرفنا كيف نعبد الله، وهـذه إحدى الحِكَم الكبرى في هـذه التزكية الربانية لهم، فكانوا الأمناء، بل نعم الأمناء.

يقـول الخطيب البغـدادي منبهـاً إلى أن تزكيتهم هـي مقتضى حالهم، حتى ولـو لم تـرد النصوص في ذلـك، يقـول: « ... على أنه لـو لم يرد من الله عـز وجـل ورسـوله فيهم شيء مما ذكرنـاه لأوجبت الحـالُ التي كانوا عليهـا مـن: الهجـرة، والجهـاد، والنُّصرة، وبـذل المهج والأمـوال، وقتل الآبـاء والأولاد، والمناصحـة في الدين، وقوة الإيـمان واليقين القطعَ على عدالتهـم، والاعتقـادَ لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميـع المعدَّلين والمزكَّين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين »(٢).

فالصحابـة خـير أمـة بإطلاق، وأعـدل جماعة بإطـلاق، والنصوص الدالـة عـلى ذلك كثـيرة، قال ﷺ: « **خـير النّاس قرني، ثُـمَّ الذين يلونهم، ثُـمَّ الذين يلونهـم** »(٣)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: « **أنتم خير أهل الأرض** »(٤).

(١) متفـق عليـه، أخرجـه البخـاري ٣/ ١٣٢١، برقـم ٣٤١٥، ومسـلم ٢/ ٧٤٦، برقم ١٠٦٦ .

(٢) الكفاية ص ٦٦- ٦٧ .

(٣) أخرجه البخاري ٢/ ٩٣٨، برقم ٢٥٠٩ .

(٤) متفـق عليه، أخرجـه البخـاري ٤/ ١٥٢٦، برقم ٣٩٢٣، ومسـلم ٣/ ١٤٨٣، برقم ١٨٥٦، وهذا لفظ مسلم .

تعظيم حرمة الصحابة رضوان الله عليهم :

ولذلك يجب على المسلم أن يراعي حرمة هذه الصحبة، وأن يعظمهم في نفسه، وألا يتجرأ عليهم باتهام في دين، وإن كان السهو والنسيان لم يسلم منه أحد من الناس، والخطأ في الاجتهاد لم ينقص من قدر المجتهدين، والذنب لم يُعْصَم منه إلا المرسلون.

ويجب على المسلم كذلك ألا يجعل ما حصل بين بعض الصحابة من فتن في وقتٍ من الأوقات مدعاةً لانتقاص أحدهم أو إسقاط عدالة بعضهم كما فعلت بعض الطوائف التي ضلت عن الحق، فقد أثنى عليهم القرآن الكريم، ومدحهم المعصوم ﷺ مع إخباره بفتن ستحصل بين بعضهم، فلم يكن الإخبار بها مانعاً من ثناء الرسول ﷺ عليهم رضي الله عنهم، ولا مسقطاً لعدالة أحدهم، ولا حاطّاً من أقدارهم، لاجتباء الله لهم، واجتهادهم، وعلمه تعالى بما في قلوبهم من إرادة الحق، فتنبه[1].

---

(١) **إيضاح وإجابة عن اعتراض مهم، وهو الوارد في حديث الحوض:**

أجاب عن هذا الاعتراض الذي سنورده جمع من العلماء، منهم الحافظ العلائي في تحقيق منيف الرتبة (٩٤- ٩٥) إذ يقول: « فأما قوله ﷺ في حديث الحوض: « **ليختلجن رجال من دوني أعرفهم، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقاً** ». وفي رواية: « **فأقول كما قال العبد الصالح:** ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ﴾ ... الآية ». فإنه محمول على من ارتد بعده ﷺ ثم مات على ذلك. بدليل قوله: فيؤخذ بهم ذات الشمال ».

وكذلك في الرواية الأخرى: « **إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ...** الحديث ». وإلا فالنبي ﷺ قد شهد للعشرة رضي الله عنه بأنهم من أهل الجنة، =

وقد جاء على لسان أحد أصحاب رسول الله ﷺ، وهو عائذ بن عمرو رضي الله عنه رداً على عبيد الله بن زياد - وكان أميراً ظالماً [١]- بعد أن وعظه ونصحه في تشديده على رعيته، وعدم رفقه بهم، فقال له: (أَيْ بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن شرَّ الرِّعاءِ الحُطَمَةُ** »[٢]، فإياك أن تكون منهم). فأساء عبيد الله الرد عليه، فقال له: (اجلس فإنما أنت من نُخالةِ أصحاب محمدٍ)- يعني: لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم، بل من سقطهم- فرد عليه الصحابي رداً بليغاً فقال: (وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفى غيرهم)، وذلك كما رواه الإمام مسلم[٣].

يقول الإمام النووي رحمه الله تعليقاً على رد الصحابي: « هذا من

= وقال: « **لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار**». ولما قال له غلام حاطب وقد شكاه: لَيَدْخلُن حاطبٌ النار. قال له النبي ﷺ: « **كذَبتَ، إنه شهد بدراً، وما يدريك أن الله تعالى اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم** ».

وقد علم القتالَ الواقعَ بين عليٍّ وطلحة والزبير رضي الله عنهم، وأن كثيراً من أهل بدر وبيعة الرضوان شهدوا الحروب في تلك الفتن مع قطع النبي ﷺ لهم بأنهم لا يدخلوا النار، وشهادته للعشرة بأنهم في الجنة، وقد أخبر الزبير بما سيقع بينه وبين عليٍّ رضي الله عنهما من القتال. فتعين أن يكون المراد بالذين يختلجون دونه أهل الردة ». اهـ

(١) ولذلك قال له عبد الله بن مُغَفّل رضي الله عنه عندما جاء عبيد الله يعوده فسأله: «أتعهد إلينا شيئاً ؟ قال: لا تصلِّ عليَّ، ولا تقم على قبري ». تنظر ترجمة عبيد الله بن زياد في سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٥ - ٥٤٩.

(٢) أي العنيف برعاية الإبل. ينظر النهاية في غريب الحديث.

(٣) ٣/ ١٤٦١، برقم ١٨٣٠. وقد جعلت نص الحديث بين أقواس، وما بينه تعليق.

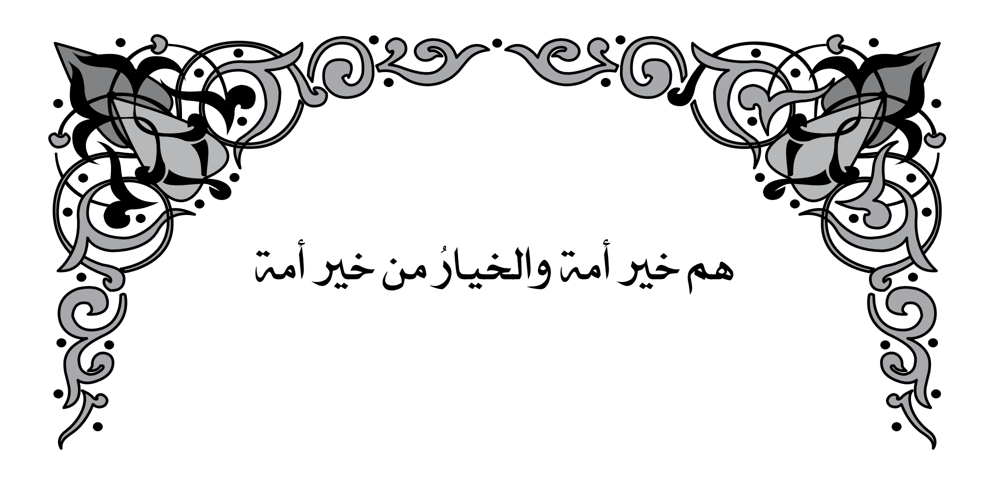
جـزل الكلام وفصيحه وصدقـه الذي ينقاد له كل مسـلم، فإن الصحابة رضي الله عنهـم كلهـم هـم صفـوة الناس وسـادات الأمـة، وأفضل ممن بعدهـم، وكلهـم عـدول قـدوة، لا نُخالة فيهـم، وإنما جـاء التخليط ممن بعدهم، وفيمن بعدهم كانت النخالة »[1].

وآخـراً: فما أعظم كلمة الإمام الشوكاني رحمه الله إذ يقول: « وجناب الصحبة أمر عظيم، فمن انتهك أعراض بعضهم فقد وقع في هوة لا ينجو منها سالماً »[2].

فرضي الله عن أصحاب رسول الله، والحمد لله أن جعلنا من أمته ﷺ التي هي خير الأمم.



(١) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٤٢٠.
(٢) إرشاد الفحول ١/ ٣٤٠.



هم خير أمة والخيارُ من خير أمة

يقول الله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

هذه الآية الكريمة في فضل الأمة المحمدية[١]، وهي أيضا مما تدل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم، يقول الحافظ السخاوي رحمه الله: «الذي رجحه كثير من المفسرين: عمومها في أمة محمد ﷺ، وخصها آخرون بالصحابة، بل قال بعضهم: اتفقوا على أنها واردة فيهم، وحينئذ فالاستدلال منها ظاهر»[٢]، أي الاستدلال بها على فضلهم وخيريتهم وعدالتهم ظاهر لا خفاء فيه.

---

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٧٧.

(٢) فتح المغيث ٤/ ٣٢.

معنى الآية، وأقوال العلماء في دلالاتها على خيرية الصحابة:

دلالة الآية على فضل الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً واضحة على أيِّ وجهٍ من الوجوه التي قيلت في المراد بها[١]، والله أعلم.

فإن قوله تعالى﴿ كُنتُمْ ﴾:

١- إمّا أن يراد به الصحابة ، فتكون دلالة الآية على فضلهم دلالة الاختصاص.

٢- وإما أن يراد به الأمة جميعاً [٢].

فإن كان المراد بقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ ﴾ الأمة، فدلالتها على فضلهم رضي الله عنهم، هو دلالتها على مزيد الفضل من جهة كونهم المشافهين بالقرآن ابتداءً، ومن بعدهم لاحق بهم، ولأنه إذا ثبت للأمة فضيلة فالصحابة أول من تحلى بها [٣].

---

(١) تنظر الأقوال المروية في تفسيرها في جامع البيان للطبري ٥/ ٦٧١ : ٦٧٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/ ١٧٠ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٧٧ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٤/ ٤٨ ، وهو ما صححه ابن كثير في تفسيره ٢/ ٧٧ ، مع تفضيله للقرن الأول .

(٣) وفي ذلك يقول الآلوسي رحمه الله: « والظاهر أن الخطاب وإن كان خاصاً بمن شاهد الوحي من المؤمنين أو ببعضهم لكن حكمه يصلح أن يكون عاماً للكل كما يشير إليه قول عمر رضي الله تعالى عنه فيما حكى قتادة: « يا أيها الناس، من سره أن يكون من تلكم الأمة فليؤد شرط الله تعالى منها »، وأشار بذلك إلى قوله سبحانه: ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾». (روح المعاني ٤/ ٢٨).

ويقول شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة (٢٠٩) : « والصحابة=

١ – **يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله**: « الخطاب في قوله: ﴿ كُنتُمْ ﴾ إمَّا لأصحاب الرسول ﷺ، ونقل ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عبَّاس. قال عمر: (هذه لأوّلنَا ولا تكون لآخِرنا)[1] ...

ولا شكّ أن الصحابة كانوا أفضل القرون التي ظهرت في العالم، لأن رسولهم أفضل الرسل، ولأن الهدى الذي كانوا عليه لا يماثله هدى أصحاب الرسل الذين مضوا.

فإنْ أُخذت الأمة باعتبار الرسول فيها، فالصحابة أفضل أمة من الأمم مع رسولها، قال النبي ﷺ « **خير القرون قرني** » والفضل ثابت للمجموع على المجموع[2].

وإن أُخِذَت الأمة مَنْ عدا الرسول، فكذلك الصحابة أفضل الأمم التي مضت بدون رُسلها، وهذا تفضيل للهدى الذي اهتدوا به، وهو هدى رسولهم محمد ﷺ وشريعته »[3].

= في هذه الآية والتي قبلها هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسول الله ﷺ حقيقة ».

(١) تنظر هذه النقول في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٦٧١-٦٧٥ .

(٢) يعني مجموع صحابة رسول الله ﷺ أفضل من مجموع صحابة الرسل السابقين ، وهذا لأن من أصحاب الرسل السابقين من هو أفضل من بعض أصحاب الرسول ﷺ، ولا يدخل فيهم الخلفاء الأربعة ولا غيرهم من السابقين إلى الإسلام ، فهم لا يتقدم عليهم غيرهم ، والله أعلم .

(٣) التحرير والتنوير ٤/ ٤٨ .

٢- **وقد ذكر ابن الجوزي** الأقوال في المراد بها ، قال: « أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل بدر .

والثاني: أنهم المهاجرون .

والثالث: جميع الصحابة[١].

والرابع: جميع أمة محمد ﷺ .

نقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباس .

وقد روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، أنه قال: « **إنكم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى** »[٢]. قال الزجاج: وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ، وهو يعم سائر أمته »[٣].

٣- وهذه الآية كأختها السابقة قد استدل بها الأصوليون وأهل الحديث وغيرهم على ثبوت عدالة الصحابة[٤] ، بل هي أوضح في الدلالة على ذلك من السابقة ، لقول كثير من المفسرين: إنها واردة في حق

---

(١) وقال الضحاك: هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة (جامع البيان ٥/ ٦٧٣).

(٢) قال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٧٨: « وهو حديث مشهور قد حسنه الترمذي ».

(٣) زاد المسير ١/ ٤٣٨- ٤٣٩ .

(٤) ينظر تفسير الآية السابقة ص ١١٥، وما بعدها.

الصحابة ، فقد نقل ذلك الاتفاق إمام الحرمين الجويني بصيغة الجزم[١] ، والإمام ابن الصلاح[٢] ولكن لم ينقله بصيغة الجزم ، فهو مرجح إذن يدل على كثرة القائلين به عند ابن الصلاح ، وإن كان لا يدل على القطع بكون الآية خاصة بهم .

٤- وجعل الطبري القول بعموم الآية للأمة أولى الأقوال[٣]، وصححه ابن كثير وغيره، وإن كان الصحابة هم أولى بها ، إذ هم خير القرون مطلقاً ، يقول ابن كثير رحمه الله: « والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة، كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ »[٤].

فرضي الله عن أهل خير القرون ، الذين فازوا بالسبق على سائر المؤمنين .

---

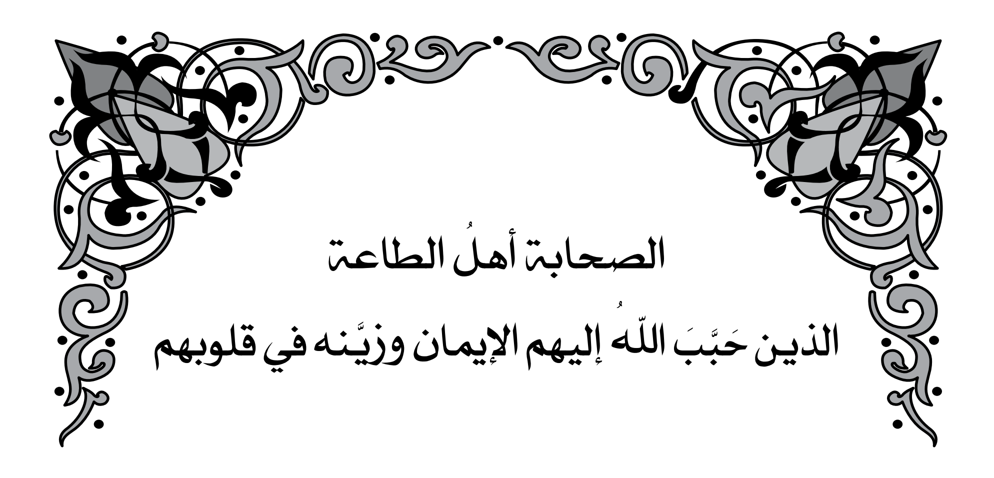
(١) قال في البرهان ١/ ٤٠٣: « واتفق المفسرون على أن قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ واردة في أصحاب رسول الله ﷺ » .

(٢) إذ يقول في المقدمة ص ٤٩٠: « قيل: اتفق المفسرون على أنها واردة في أصحاب رسول الله ﷺ ».

(٣) ينظر جامع البيان ٥/ ٦٧٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٨٧ .





الصحابة أهلُ الطاعة
الذين حَبَّبَ اللّهُ إليهم الإيمان وزيَّنه في قلوبهم

١ - يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧-٨].

٢ - ويقول عز وجل في خواتيم سورة البقرة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

في هذه الآيات الكريمات شهادة من الله عز وجل لأصحاب رسوله ﷺ بما وقر في قلوبهم من حقيقة الإيمان، واستكمال أركانه، وبما كانوا عليه من الإخلاص في الطاعات والصدق في العبادات، وأنهم هم الراشدون السائرون على طريق الحق، وليس بعد شهادة الله عز وجل شهادة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[1].

---

(١) ينظر عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ٣/ ٩٥٨ .

معنى الآيات الكريمات إجمالاً :

يقول الحافظ ابن كثير في معنى الآية الأولى: « ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ أي: اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظِّموه ووقروه، وتأدبوا معه، وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم، وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتمّ من رأيكم لأنفسكم، كما قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].

﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ أي: لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحَرَجكم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ أي: حببه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم »[١].

في ظلال هذه الآيات، وما فيها من الدلالات على فضل الأصحاب:

أ) في هاتين الآيتين الكريمتين من سورة الحجرات بيان امتنان الله تعالى على أصحاب حبيبه ﷺ بأنه حبب إليهم الإيمان، وما يقتضيه من العمل بشرائعه، وزين ذلك في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان،

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٧٢ .

وفي هذا ما فيه من مزيد العناية بهم، وبهذا الإعداد كانوا أهلاً لصحبة سيد الأولين والآخرين ﷺ، وبهذا الإعداد وبهذه الصحبة كانوا سادة الأمة، فلا مطمع لأحد بعدهم أن ينافسهم في هذه الرتبة .

ب) وقد جمع قوله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ تبغيضَ الله إليهم جميع أنواع المعاصي صغيرها وكبيرها، عظيمها وحقيرها، ولذلك كانوا في أعلى درجات الاستقامة، وأبعد الناس عن فعل ما يُنقص الإيمان الذي حُبِّبَ إليهم، فندر وقوع المعصية منهم، وعظم أمر المعصية في صدورهم حتى ولو كانت في أصغر الأشياء، ومن ذلك ما قاله أنس ابن مالك رضي الله عنه لبعض التابعين: « إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إنْ كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات »[1]. وروي مثل ذلك عن أبي سعيد الخدري، وعبّاد بن قُرْط رضي الله عنهما[2]. والموبقات هي المعاصي المهلكات .

ج) وهذا التحبيب جعلهم ينزلون على حكم الله ورسوله راضين به مهما كانت فيه مشقة على أنفسهم، مسلمين في ذلك الوجه لله تعالى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: « أخبر بطاعة المهاجرين والأنصار،

---

(١) رواه البخاري ٥/ ٢٣٨١، برقم ٦١٢٧ .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ٣/ ٣، وعن عباد بن قرط ٣/ ٤٧٠ .

وإن كان ذلك فيما يكرهون»[1]. فهم رضي الله عنهم ليسوا كغيرهم من المنافقين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [النور: ٤٨]. فكان حالهم هو ما قاله تعالى في خواتيم سورة البقرة مادحاً لهم ومثنياً عليهم: ﴿ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

د) **وببركة طاعتهم وسرعة استجابتهم لأوامر الله ورسوله خَفَّفَ اللهُ تعالى عنهم، ورفع عنهم كثيراً مما يشق عليهم**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الرُّكب، فقالوا: أي رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نُطيقها، قال رسول الله ﷺ: « **أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ». فلما اقْتَرَأَهَا القوم ذَلَّتْ بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى،

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٩٤ .

وأنـزل الله عـز و جـل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ « قـال: نعـم » ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ « قـال: نعـم » ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ « قـال: نعـم » ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقر: ٢٨٦] « **قال: نعم** »[١].

وهكـذا « جمـع لهـم تعالى التشريـف بالمـدح والثناء ورفعِ المشـقة في أمـر الخواطر، وهذه ثمرة الطاعة والانقطـاع إلى الله تعالى، كما جرى لبني إسرائيـل ضـدُّ ذلك مـن ذمهم وتحميلهـم المشـقات من المذلة والمسـكنة والجلاء، إذ قالوا: سمعنا وعصينا، وهذه ثمرة العصيان والتمرد على الله، أعاذنا الله من نقمته »[٢]. وهكذا كان حال أصحاب رسول الله ﷺ .

هـ) وإذا كان الله قد أثبت لأصحاب حبيبه ﷺ هذه الصفات العظيمة في هذه الآية، فإنَّ ظنَّ أو اعتقادَ ضدها في حقهم خطأٌ عظيمٌ، وتجرّؤ على الله تعالى[٣]، فنثبت لهم عُلُوَّ الإيمان، وتمامَ الإخلاص لله ولرسوله، ونثبت لهم أنهـم أهل الطاعة والهداية والرشـد الذين تمت هدايتهم وكمل رشـدهم، مِصداق هذه الآيات .

(١) رواه مسلم ١/ ١١٥، برقم ١٢٥.

(٢) قاله ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٥٣٥ .

(٣) ينظر إظهار الحق لرحمة الله الهندي ٣/ ٩٣٥ .

و) **وحبَّبَ الله إليهم الإيمان وزيَّنه في قلوبهم، فأذاقهم حلاوته، ونعِموا بلذته وأنواره التي غمرت قلوبهم واستولت عليهم، وكانوا في قمة الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً**، كما قال ﷺ: « **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمّد رسولاً** »[1]، ولذلك خرجوا عما ألفوه وجرت به عاداتهم، وواجهوا الشرك والكفر اللذين كانا مستشريين في جزيرة العرب، وصبروا على ذلك بكل رضا، وبذلوا مهجهم وأنفسهم وأولادهم، وفارقوا الأوطان والأموال في سبيل الله، موالاةً لرسول الله، ونصرةً لدين الله، وكانوا نِعْمَ العون لرسولهم كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وصدق سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ يقول: « إنّ الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه »[2].

---

(١) رواه مسلم ١/ ٦٢، برقم ٣٤.

(٢) رواه أحمد ١/ ٣٧٩، والطبراني في الكبير ٩/ ١١٢، ١١٥. وقال الهيثمي: « رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون ». (مجمع الزوائد ١/ ١٧٧، ٨/ ٢٥٢).

تنبيه وتعليق :

ومما ينبغي التنبيه إليه أن هاتين الآيتين من سورة الحجرات، والآية التي قبلهما، نزلت بعد أحد الأخطاء أو إحدى المعاصي النادرة، التي كانت ستؤدِّي إلى أمر عظيم، فقد نزلت - كما ذكر كثير من المفسرين - في أعقاب حادثة حدثت من رجل حديث عهد بإسلام، قد أخطأ خطأ كبيراً، ونزولها في حقه تأديب له، وتنبيه للمسلمين بعدم الاندفاع، بل التثبت والتروي.

فقد أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط إلى بني المصطلِق ليأخذ منهم صدقاتهم التي جمعها سيد بني المصطلِق الحارث بن ضِرار الخُزاعي ويوصلها إلى رسول الله ﷺ[1]، « فسمع بذلك القوم، فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ، فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله، قالت [أي: أم سلمة]: فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم، فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون »[2].

وفي رواية عن الحارث بن ضِرار والد السيدة جُويرية أم المؤمنين، أنّه لما تأخر جامع الصدقة الذي كان سيبعثه رسول الله ﷺ إليهم خرج

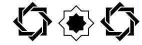
(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٧٠): « ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية -أي الحجرات ٦- نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق » .

(٢) وذلك كما ورد في رواية السيدة أم سلمة التي أخرجها الطبري في تفسيره (٢٦/ ٧٨).

هو وكبار قومه إلى رسول الله ﷺ خيفة أن يكون تأخر بعثه عن سخطة من رسول الله عليهم، وفيها: قال الحارث: « وبعث رسول الله ﷺ الوليد ابن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرَق -أي: خاف-فرجع فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي. فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث. وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفَصَل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى مَنْ بُعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولِمَ ؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة وأردتَ قتله. قال: لا، والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته بَتَّةً ولا أتاني. فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: « **منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟** » . قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلتُ إلا حين احتبس عليَّ رسولُ رسولِ الله ﷺ، خشيتُ أن يكون كانت سَخَطةً من الله ورسوله. قال: فنزلت الحجرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [الحجرات: ٦-٨] »[1].

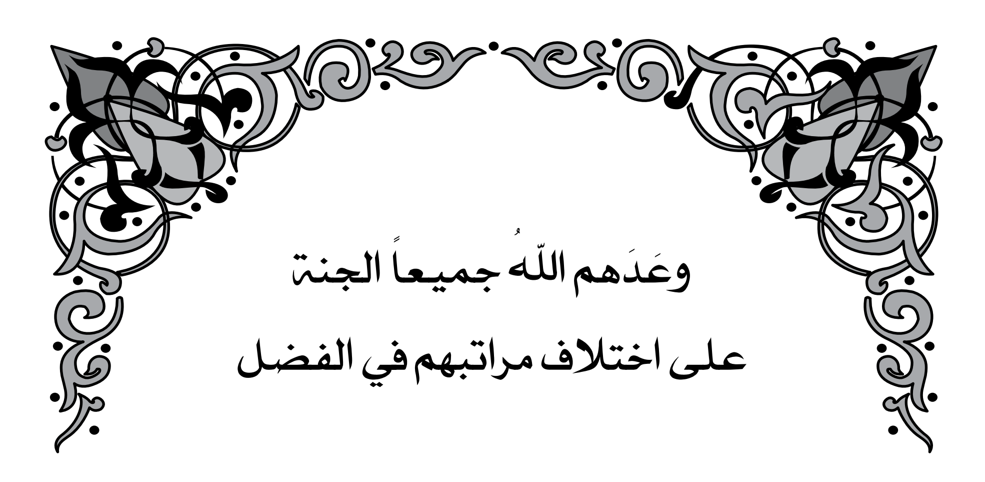
(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٧٩، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٢٧٤، وقال الهيثمي: =

وهـذه الحادثـة لا تعكـر صفـو مـا بعدهـا، من صفـات المـدح التي مدح الله تعالى بها أصحاب رسوله فهي من النادر، وقد وقع هذا من رجل حديث عهد بالإسـلام، لا يـزال يتعلم، ولم يقل أحـد بعصمة الصحابة، والثناءُ السابق هو القاعدة فيهم رضي الله عنهم، وأما النادر فلا حكم له، وإن الحسنات يذهبن السيئات كما قال رب العالمين .



= «رجال أحمد ثقات». (مجمع الزوائد ٧/ ١٠٩) . وذكر الحافظ ابن كثير في تفسـيره (٧/ ٣٧٠) أن الحادثة رويت من عدة طرق وهذا الطريق من أحسنها .





وعَدَهم اللّه جميعاً الجنة على اختلاف مراتبهم في الفضل

يقول الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

في هذه الآية الكريمة فضائل عظيمة، ووعد كريم من الله تعالى لأصحاب رسوله ﷺ، ووعد الله لا يتخلف أبداً.

ففيها من الفضائل:

أولاً: بيان فضل السابقين من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم المهاجرون والأنصار الذين أنفقوا في سبيل الله من قبل الفتح وقاتلوا .

ثانياً: بيان فضل اللاحقين بهم من الصحابة في ذلك.

ثالثاً: تقديم السابقين على اللاحقين في الفضل والثواب .

رابعاً: وعد من الله للسابقين واللاحقين بالحسنى.

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله في فضل الصحابة وتفاضلهم فيما بينهم تعليقاً على قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾: « فثبت بذلك أن مَنْ صَحِبَ رسول الله ﷺ، فمعه الفضل على الناس جميعاً، وأن مَنْ صَحِبَه يتفاضلون بما كان منهم »[١].

بيان معنى الآية الكريمة، وما فيها من الدلالات :

المقصود بالحسنى :

المقصود بالحسنى التي وعدهم الله تعالى بها (الجنة)[٢]، فقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢].

وجاء في السُّنة تفسير (الحُسنى) في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: الآية ٢٦] بأنَّها الجنَّة[٣].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: « قوله: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾: يقول تعالى ذكره: وكلٌّ هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والذين

(١) شرح مشكل الآثار ٩/ ١٩٨ .
(٢) ينظر تفسير الطبري ٧/ ٣٧٥-٣٧٦، وزاد المسير ٨/ ١٦٤ .
(٣) وذلك في حديث صهيب الذي أخرجه مسلم وغيره، صحيح مسلم ١/ ١٦٣، برقم ١٨١، والترمذي ٤/ ٦٨٧، برقم ٢٥٥٢ .

أنفقوا من بعد وقاتلوا، وعد الله الجنة بإنفاقهم في سبيله، وقتالهم أعداءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[١].

المراد بالفتح، ودخول عموم الصحابة في الوعد بالحسنى :

المراد بالفتح عند جمهور المفسرين: فتح مكة، وعند بعضهم: صلح الحديبية[٢].

وقد كان صلح الحديبية سنة ست، وأما فتح مكة فقد كان سنة ثمان، وقد شهد فتح مكة عشرة آلاف صحابي، وجاهد الصحابة بعده وأنفقوا في سبيل الله، فقد كانت بعده غزوات وسرايا عدة، كانت بعده غزوة أوطاس وغزوة حنين سنة ثمان، وقد شهد غزوة حنين من الصحابة اثنا عشر ألف صحابي، ألفان ممن أسلم في الفتح من أهل مكة، وعشرة آلاف كانوا معه في الفتح [٣].

وكان بعد الفتح غزوة تبوك، وهي غزوة العسرة سنة تسع، وقد شهدها مع النبي ﷺ أكثر من ثلاثين ألفاً[٤]، وقيل كانوا سبعين ألفاً[٥] .

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٩٥- ٣٩٦ .

(٢) زاد المسير ٨/ ١٦٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٩ .

(٣) ينظر تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٥٧٢، ٨٢، وسبل الهدى والرشاد ٦/ ٤٦٤ .

(٤) ينظر المغازي للواقدي ٣/ ٩٩٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٦٣١ -٦٣٣، وسبل الهدى والرشاد ٦/ ٦٢٩ .

(٥) ينظر سبل الهدى والرشاد ٦/ ٦٣٨ . وقد روى الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي آداب السامع (٢/ ٢٩٣) بسنده عن أبي زرعة الرازي « وسئل عن عِدّة من روى عن النبي ﷺ فقال: ومن يضبط هذا ؟ شهد مع النبي ﷺ حجة الوداع أربعون ألفاً، وشهد معه تبوك سبعون ألفاً ».

وقد قال الله عز وجل فيهم: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٨- ٨٩].

فهؤلاء جميعاً وغيرهم كثير موعودون بالحسنى .

يقول القرطبي رحمه الله في عموم وعد أصحاب رسول الله ﷺ بالجنة: « ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾: أي المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعاً الجنة مع تفاوت الدرجات »[١].

ويقول قتادة رحمه الله: « كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كانت النفقة والقتال قبل الفتح - فتحِ مكةَ - أفضلَ من القتال والنفقة بعد ذلك »[٢].

سبب تفضيل القتال والإنفاق في سبيل الله قبل الفتح على ما بعده :

وأما سبب تفضيل القتال والإنفاق في سبيل الله قبل الفتح على ما بعده، « فلأن الزمان الذي قبل فتح مكة كان زمان ضعف المسلمين، لأن أهل الكفر كانوا أكثرَ العرب، فلما فُتحت مكة دَخلت سائر قريش

(١) تفسير القرطبي ١٧/ ٢٤١.
(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٩٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٩- ٢٤٠ .

والعـرب في الإسـلام، فكان الإنفـاق والجهاد فيما قبل الفتح أشَـقَّ على نفوس المسلمين لقلة ذات أيديهم وقلة جمعهم قبالة جمع العدوّ، ألا ترى أنـه كان عليهـم أن يثبتوا أمام العدوّ إذا كان العـدوّ عشرة أضعاف عدد المسـلمين في القتال قال تعـالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفـال: ٦٥]»[1]، فلذلـك كانوا أعلى درجـة من الذين جاءوا من بعدهم .

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسَبَّه خالدٌ، فقال رسـول الله ﷺ: « **لا تسُـبّوا أحداً من أصحابي، فـإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه** »[2].

وكان عبد الرحمن بن عوف من السابقين إلى الإسلام، وإسلام خالد رضي الله عنه كان بين صلح الحديبية وفتح مكة. ومعنى نصيفه أي نصفه، يعني نصف المد.

قـال البغـوي رحمـه الله في معنى هذه الحديـث: « أن جهد المقل منهم واليسير من النفقة الذي أنفقوه في سبيل الله مع شدة العيش والضيق الذي كانوا فيه أوفى عند الله وأزكى من الكثير الذي ينفقه من بعدهم »[3].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٧٤ .

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٣٤٣، برقم ٣٤٧٠، ومسـلم ٤/ ١٩٦٧، برقم ٢٥٤١، وهذا لفظ مسلم .

(٣) شرح السنة ١٤/ ٧٠ .

ويقـول ابن حـزم: « هذا في الصحابة فيما بينهـم، فكيف بمن بعدهم معهم رضي الله عنهم أجمعين !! »(١).

فهـذه فضيلـة تدل عـلى أنـه لا يلحـق بالصحابـة رضي الله عنهم في الفضـل أحد، وهذا مـا عليه جمهور العلماء مـن أن الصحابة كلهم أفضل مِـن جميع مَنْ بعدهم، وهذا ببركة صحبة النبي ﷺ، ففضيلة الصحبة ولو لحظـة - كما قال العلـماء - لا يوازيها عملٌ، ولا تنال درجتُها بشيء، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء(٢).

استدلال الإمام ابن حزم بهذه الآية على أن سائر أصحاب رسول الله ﷺ في الجنة:

يقـول ابن حزم رحمه الله: « والناس في الجنة على قدر فضلهم عند الله تعالى، وهم الأنبياء، ثم أزواجهم، ثم سائر أصحاب رسول الله ﷺ ...

قـال تعـالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ وقـال عـز وجـل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

---

(١) الفصل لابن حزم ٤/ ١٨٥ .

(٢) ينظر شرح النووي على مسلم ١٦/ ٩٣ .

فجاء النص أن من صحب النبي ﷺ فقد وعده الله تعالى الحسنى، وقد نص الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [الرعد: ٣١].

وصح بالنص كلُّ مَن سبقت له من الله تعالى الحسنى فإنه مُبعَدٌ، عن النار لا يسمع حسيسها، وهو فيما اشتهى خالدٌ، لا يحزنه الفزع الأكبر. وهذا نص ما قلنا، وليس المنافقون، ولا سائر الكفار، من أصحابه عليه السلام، ولا من المضافين إليه عليه السلام»[١] . فرحم الله الإمام ابن حزم فما أدق فهمه .

إيضاح مهم واستثناءات:

والمتأمل يجد أن كل من أسلم كانت هذه صفته، إما جامع بين الجهاد بنفسه وماله أو مجاهد بنفسه أو ماله، أو غير مكلف به إما لصغره أو لكونه من أولي الضرر كمن كان أعمى أو أعرج أو معذوراً بغيرها من العلل التي لا يتيسر معها الجهاد، أو لا يجد ما ينفق منه أو ظهراً يحمل عليه، فهؤلاء معذورون لا حرج عليهم بنص الآيات النازلة في ذلك[٢]،

(١) المحلى لابن حزم ١/ ٤٤ .

(٢) كما قال تعالى في سورة التوبة ٩١- ٩٢: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ .

ولهـم أجر المجاهديـن[١]، أو قعدوا لعدم عزم النبي ﷺ عليهم كما حصل في الخـروج لبـدر ولو عزم عليهـم النبـي ﷺ أو علموا أنه سـيكون قتال يستدعي خروجهم لخرجوا، وقد قاتلوا مع رسول الله ﷺ بعد ذلك .

وقـد يكـون قعود من قعـد منهم لأنهم ممـن أذن لهم رسـول الله ﷺ بالقعـود اكتفـاء بغيرهم، أو رعاية لمصلحة يرضى عنها رسـول الله ﷺ – كـما قعد جابـر بن عبد الله يوم أحـد طاعة لأبيه لأجل رعايـة أخواته، ثم شـهد الخنـدق وبيعة الشـجرة – إذ الجهـاد في الأصل فـرض كفاية إلا في أحـوال معينة يكون فـرض عين، وكان من هديـه ﷺ في غزواته أن يُقْعِدَ البعـض للحراسـة والحمايـة وليرعوا مَـن وراءهم من النسـاء والصبيان، ويعزيهم عن ذلك بما يوعدون به من الأجر كما قال ﷺ: « **مَنْ جهَّزَ غازياً في سـبيل الله فقـد غزا، ومَـنْ خَلَفه في أهلـه بخير فقد غـزا** »[٢]، وكما قال للمسـلمين لما أراد إرسال جيش إلى بني لحيان سنة ست[٣]: « **لينبعث من كل رجلـين أحدهمـا، والأجر بينهـما** »[٤]، وروي عن الإمام الشـافعي أن

(١) كما قال ﷺ وهو راجع من غزوة تبوك حين دنا من المدينة: « **إنّ بالمدينة أقواما ما سرتم مسـيراً ولا قطعتـم واديـاً إلا كانوا معكم** » . قالوا يا رسـول الله، وهـم بالمدينة ؟ قال « **وهم بالمدينة حبسـهم العذر** ». أخرجه البخاري ٤/ ١٦١٠، برقم ٤١٦١، ومسلم ٣/ ١٥١٨، برقم ١٩١١ .

(٢) رواه مسلم ٣/ ١٥٠٦، برقم ١٨٩٥ .

(٣) ينظر فتح الباري ٦/ ١٩٣ .

(٤) رواه مسلم ٣/ ١٥٠٧، برقم ١٨٩٦.

رسول الله ﷺ قال في تجهزه لغزاة تبوك: « **ليخرج من كل رجلين رجل فيخلف الباقي الغازي في أهله وماله** »[1]، فلم يكن قعودهم تقاعساً، فهم إذن على نية الجهاد، وأما الثلاثة من المؤمنين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك - وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية - فقد تاب الله عليهم أيضاً بنص الآية النازلة فيهم[2].

وأمّا الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج حين دعاهم الرسول إلى الخروج معه إلى مكة عام الحديبية، فالكلام ليس فيهم، وقد أعطوا فرصة للتوبة، حيث قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ١٦]. فمن تاب من هؤلاء الأعراب وانطبقت عليه شروط الصحبة، فهو منهم .

وكذلك ليس الكلام في منافقي أهل المدينة الذين كانوا يتخلفون عن الجهاد، واعتذروا عن الخروج لتبوك وغيرها، والذين كانوا يؤذون رسول الله والمؤمنين، ويثبطون المؤمنين عن الجهاد، والذين فضحتهم

---

(١) السنة للمروزي ص ٤٥ .

(٢) وهي قوله تعالى في سورة التوبة الآية ١١٨ : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

آيات سورة التوبة (١)، وقد كان عددهم كما يقول الواقدي وابن سعد: بضعةً وثمانين رجلاً (٢)، وليس الكلام في منافقي الأعراب الذين اعتذروا غير صادقين عن الخروج لتبوك (٣). والله تعالى أعلم .

---

(١) كما في الآيات من الآية ٤٣ - ٨٧، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ .

(٢) ينظر المغازي للواقدي ٣/ ٩٩٥، وسبل الهدى والرشاد للصالحي ٥/ ٦٣٣، ٦٣٦ .

(٣) كما جاء في آيات سورة التوبة من ٩٥ - ٩٩: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .



مُوالاة أصحابِ رسول اللّه ﷺ ومحبتُهم

يقول الله تعـالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

في هاتـين الآيتـين بيـانٌ مـن الله تعـالى للمؤمنـين، وهـم أصحـاب رسـول الله ﷺ ومـن يأتي بعدهم مـن المؤمنين بمن تجـب موالاتُه بعد أن بيّن لهم من تجب معاداته، وهو أن الذي يجب أن يستمسـكوا به ويقصروا توجههم إليه بكل إخلاص هو ولاية الله تعالى ورسوله والمؤمنين لا غير، وأن يتبرؤوا من ولاية غيرهم من المنافقين وممن ليسـوا على دينهم، وأنهم لا حاجة لهم إلى ولايتهم، وتكفيهم ولاية الله ورسوله والمؤمنين.

يقول الفخر الرازي: « وهم كانوا قاطعين بأن المتصرف فيهم هو الله ورسـوله، وإنـما ذكر الله تعالى هذا الكلام تطييبـاً لقلوب المؤمنين وتعريفاً لهم بأنه لا حاجة بهم إلى اتخاذ الأحباب والأنصار من الكفار، وذلك لأن مَنْ كان اللهُ ورسـوله نـاصراً له ومعيناً له فأيُّ حاجـة به إلى طلب النُّصرة والمحبة من اليهود والنصارى؟! »[(١)] .

---

(١) التفسير الكبير ١٢/ ٣١ .

وولاية الله ورسوله كانت مقررةً عند أصحاب رسول الله ﷺ، فعليها أسلموا وهاجروا وناصروا وجاهدوا، فيكون ذكرها هنا لتعليل النهي السابق عن ولاية اليهود والنصارى، فهم لا يستحقونها ولا يصلحون لها، إذ من كان اللهُ وليّه لا يكون أعداءُ الله أولياءه[1].

وهاتان الآيتان الكريمتان وما قبلها - في النهي عن موالاة أهل الكتاب- من جنس قوله تعالى في النهي عن موالاة الكفار من غيرهم: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة ٢١- ٢٢].

سبب نزول هاتين الآيتين الكريمتين :

رجح الحافظ ابن كثير رحمه الله أن هذه الآيات من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه حين تبرأ من حلف اليهود

(١) ينظر التحرير والتنوير ٦/ ٢٣٩ .

الـذي كان بينه وبينهم، وفي عبد الله بن أبي بن سـلول رأس المنافقين حين تمسك بحلفهم، يقول ابن كثير رحمه الله[1]: « وقد تقَدَّم في الأحاديث التي أوردنـا أن هـذه الآيات كلها نزلت في عبادة بـن الصامت، رضي الله عنه، حـين تبرأ من حلف يهـود، ورضي بولايـة الله ورسـوله والمؤمنين؛ ولهذا قـال تعالى بعد هذا كله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ »[2].

---

(1) وذلك بعد أن نبه على ضعف الأحاديث والآثار الواردة في أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ نـزل في شـأن أمير المؤمنـين علي بـن أبي طالب رضي الله عنه، وأنه تصدق بخاتمه وهو راكع. حيث قال: « وليس يصح شيء منها بالكلية، لضعف أسانيدها وجهالة رجالها». (تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٩)، وينظر تعليقه أيضاً في البداية والنهاية ٧/ ٣٥٨ . ومجمع الزوائد ٧/ ١٧ .

ولكـن عـدم صحـة النقـل في ذلـك لا يعنـي الجـزم بعـدم وقوعـه، ولكـن يمنـع الاحتجـاج بـه، والله تعـالى أعلـم، وإنـما نبهـت عـلى ذلـك للحاجة كـما نبـه العلماء المحققـون ؛ لأن النافـين احتجـوا بذلك على مالا يسـلم لهـم، ودندنوا حولـه كثيراً، ومناقـب عـلي بن أبي طالب رضي الله عنه في السـنة جَمَّة، حتى إنها أفـردت بالتأليف، وقيـل في حقـه رضي الله عنـه: إنه أكثر مـن وردت في فضلـه أحاديث مـن الصحابة رضي الله عنهم. فاللهم أحينا وأمتنا على حبك وحب نبيك وآل بيته وأصحابه .

(2) تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٩ . وينظر التحرير والتنوير ٦/ ٢٤٠، وتنظر الروايات في سيرة النبـي ﷺ لابن هشـام ٢/ ٤٥٨، تفسـير الطبري ٨/ ٥٠٤، والـدر المنثور ٥/ ٣٤٦، وقد حسّـن صاحبُ صحيح أسباب النزول إسناد ابن هشام عن ابن إسحاق عن أبيه عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت مرسلاً، برواية ابن مردويه من طريق عبادة ابـن الوليـد عن أبيه عن جده التي أوردها السـيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٤٧). ينظر صحيح أسباب النزول ص ١٠٣– ١٠٤ ، والله تعالى أعلم.

معنى هاتين الآيتين، ودلالاتهما على فضل أصحاب رسول الله ﷺ، وموالاتهم:

أ) في هاتين الآيتين تنويه بأصحاب رسول الله ﷺ بأنهم هم أولياء الله ورسوله، لأنهم لما نهوا عن ولاية أعداء الله، كان في المقابل قَصْرُ الأمر بالولاية على أولياء الله، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، يعني بعضهم لبعض[1].

وقد ذكر المفسرون عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ قال: « يريد المهاجرين والأنصار، ومن يأتي بعدهم »[2].

ب) وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ هكذا بالإظهار في مقام الإضمار، حيث لم يقل الله تعالى: (فإنهم هم الغالبون)، فقد ذكر العلماء أنه لأغراض.

منها: التنبيه على أن علة غلبتهم كونهم حزب الله، إذ الأصل في تقدير الآية الكريمة: « ومن يتولَّ هؤلاء فهم حزب الله، وحزب الله هم الغالبون »[3].

ومنها: أنه تعالى صرح بذلك « تنويهاً بذكرهم، وتعظيماً لشأنهم،

---

(١) ينظر هذا المعنى في التحرير والتنوير ٦/ ٢٣٩ .

(٢) تفسير البغوي ٣/ ٧٣، والخازن ٢/ ٦٧ .

(٣) تفسير البيضاوي ٢/ ٣٤٠، وينظر التحرير والتنوير ٦/ ٢٤٠ .

وتشريفاً لهم بهذا الاسم، وتعريضاً لمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان »[١].

وفي مجيء الجملة على هذا النحو - أي الإنابة عن ذكرهم بصفة لم يسبق لها ذكر - **فائدة أخرى عظيمة**: وهي الإعلام بأنهم أعلامٌ في هذه الصفة مشهورون فيها[٢]، فلم يحتج إلى تقديم هذا الوصف (أي حزب الله). ويزيد هذه الدلالة قوةً أنها جاءت على سبيل التعليل، فتأمل !!

وهذه الشهادة منه تعالى بكونهم حزبَ الله، بل أعلام في هذا الوصف، شهادةٌ لا تعدلها شهادة !

ج) **والولاية هي المحبة والنصرة والطاعة**، فولاية الله بالإيمان به وتقواه، وولاية رسوله بالإيمان به وطاعته ومحبته والاقتداء به، فإذا توليتم الله ورسوله فالواجب عليكم أن تتولوا مَنْ تولى اللهَ ورسولَه، وهم إخوانكم المؤمنون، الذين وصفهم الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والخضوع لله تعالى، إذ الركوع هنا معناه الخضوع والخشوع والطاعة.

---

(١) السابق .

(٢) قال الطيبي في حاشيته على الكشاف تعليقاً على قول الزمخشري: « ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر، ومعناه: فإنهم هم الغالبون، ولكنهم بذلك جعلوا أعلاماً لكونهم حزبَ الله ». (الكشاف ١/ ٦٤٩) قال: « يعني أقيم حزبُ الله موضعَ المضمر من غير لفظه السابق للإعلام بأنهم أعلام فيه، لما أن قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ متضمن لكونهم حزبَ الله، مصرِّحٌ به ليؤذن بأنهم مشاهيرُ فيه، أو للإشعار بالعلية والإعلام بأن كونهم غالبين لكونهم حزبَ الله ...» . حاشية الطيبي تحت الطبع .

د) والمقصـود عموم المؤمنين فيما بينهم، فكل من كان مؤمناً فهو ولي كل المؤمنين[١]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وروى الطـبري في تفسـيره عـن عبـد الملك بـن أبي سـليمان، عن أبي جعفـر محمـد بن علي الباقر قال: « سـألته عن هذه الآيـة: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾، قلـت: مَـن الذيـن آمنوا ؟ قـال: الذين آمنـوا ! قلنـا: بلغنا أنها نزلـت في عليّ بن أبي طالب ؟ قال: عليٌّ من الذين آمنوا »[٢].

وعنـد البغـوي: « قال أبو جعفـر محمد بن علي الباقـر رضي الله عنه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ نزلت في المؤمنين، فقيل له: إن أُناساً يقولون إنها نزلت في علي رضي الله عنه ؟ فقال: هو من المؤمنين »[٣].

وقـد اقتـصر الله تعالى في وصـف المؤمنين المأمـور بولايتهم على هذه الصفات - رغم أن للمؤمنين صفات كثيرة - وخصها الله بالذكر تشريفاً

(١) قـال الـرازي في التفسـير الكبـير ١٢/ ٣٢: « أكثـر المفسرين زعموا أنـه في حق الأمة، والمراد أن الله تعالى أمر المسلم أن لا يتخذ الحبيب والناصر إلا من المسلمين ».

(٢) ٨/ ٥٣١ ، رواه أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٨٥ .

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٧٣ .

لهـا ؛ لأن الصلاة والزكاة من أهم أركان الدين، ومدحاً للمؤمنين ؛ لأنهم متصفون بها، و ليشير سبحانه إلى تمييزهم عن المنافقين.

يقـول الفخـر الـرازي رحمـه الله: « والمـراد بذكر هذه الصفـات تمييز المؤمنـين عـن المنافقـين ؛ لأنهـم كانـوا يدَّعون الإيـمان، إلا أنهم مـا كانوا مداومـين على الصلـوات والزكوات، قال تعـالى في صفة صلاتهم ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ [التوبة: ٥٤]، وقال: ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال في صفة زكاتهم: ﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [الأحزاب: ١٩].

وأمـا قوله: ﴿ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ ففيه ... وجوه: الأول: قال أبو مسـلم: المـراد مـن الركوع الخضوع، يعنـي: أنهم يصلون ويزكـون وهم منقادون خاضعون لجميع أوامر الله ونواهيه....»[(١)] .

هـ) وهذه الصفات هي صفات وصف الله بها أصحاب رسوله ﷺ في آيات أخرى، فهم رُكَّعٌ سُـجّد خاشـعون لله تعـالى، جميعهم في طاعة الله ومرضاتـه يسـعون كما جاء في قولـه تعـالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكـما قال تعـالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ

(١) ينظر التفسير الكبير١٢/ ٢٧-٢٨، وتفسير الخازن ٢/ ٦٦-٧٦.

ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

و) فإذا كان المؤمنون بعضهم أولياء بعض، وقد أُمر أصحاب رسول الله ﷺ أن يتولى بعضهم بعضاً بالنصرة والمحبة وأداء حقوق الأخوة في الله، فنحن مأمورون بأن يتولى بعضنا بعضاً فيما بيننا، ومأمورون بأن نتولى أصحاب رسول الله ﷺ بهذه الآية وغيرها، بل إنّ حقهم في ذلك مقدمٌ ؛ لأنهم صفوة المؤمنين، وتوليهم يكون بالمحبة وبالإجلال وبالانتماء إليهم والسير على منهجهم كما قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، ويكون أيضاً بدفع الأذى عنهم.

وهذه الموالاة أيضاً ظاهرة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾... الآية [الحشر: ١٠]، فقد أمر الله تعالى بالاستغفار لهم، وتحسين الظن بهم، وأن ننزع عن قلوبنا أيَّ غِلٍّ عليهم، وكل ذلك يقتضي التعظيم والمحبة وحفظ الحرمة، وهذا من معاني التولي لهم، عسى الله أن يلحقنا بهم، فإن المرء مع من تولى ومع من أحب.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: « **وما أعددت للساعة ؟** ». قال: حبَّ الله ورسوله، قال: « **فإنك مع من أحببت** » . قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدَّ من قول النبي ﷺ: « **فإنك مع من أحببت** ». قال

أنس: فأنا أحبُّ اللهَ ورسولَه وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم »[١].

وعنه رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: « **آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار** »[٢] .

وعن زِرِّ بنِ حُبَيْش قال: قال عليٌّ رضي الله عنه: « **والذي فَلَقَ الحبة وبرأ النَّسَمة إنه لَعَهْدُ النبيِّ الأميِّ ﷺ إليَّ أن لا يحبني إلا مؤمنٌ ولا يبغضني إلا منافقٌ** »[٣].

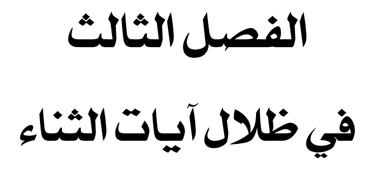
وآخراً: يقول المحب الطبري رحمه الله: « فالسعيد مَنْ تولى جملتهم، ولَمْ يفرق بين أحد منهم، واهتدى بهديهم، وتمسك بحبلهم »[٤].

وفي مقابل ذلك نتبرأ ممن يتبرؤون منهم؛ لأنهم عصوا الله تعالى بمعاداة أوليائه، وبمن أمرنا أن نتولاهم .

❖ ❖ ❖

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٣٢، برقم ٢٦٣٩ .
(٢) رواه البخاري ١/ ١٤، برقم ١٧، ٣/ ١٣٧٩، برقم ٣٥٧٣، ومسلم ١/ ٨٥، برقم ٧٤ .
(٣) رواه مسلم ١/ ٨٦، برقم ٧٨ .
(٤) الرياض النضرة ١/ ٣٣ .





الفصل الثالث

في ظلال آيات الثناء

على أصحاب المشاهد مع رسول الله ﷺ

ويشتمل على :

في ظلال آيات الثناء على أهل بدر.

وَعَد الله الخارجين لبدر الحسنى لجهادهم والقاعدين عنها لحسن عقيدتهم وصدق نياتهم.

الثناء على شهداء أُحد .

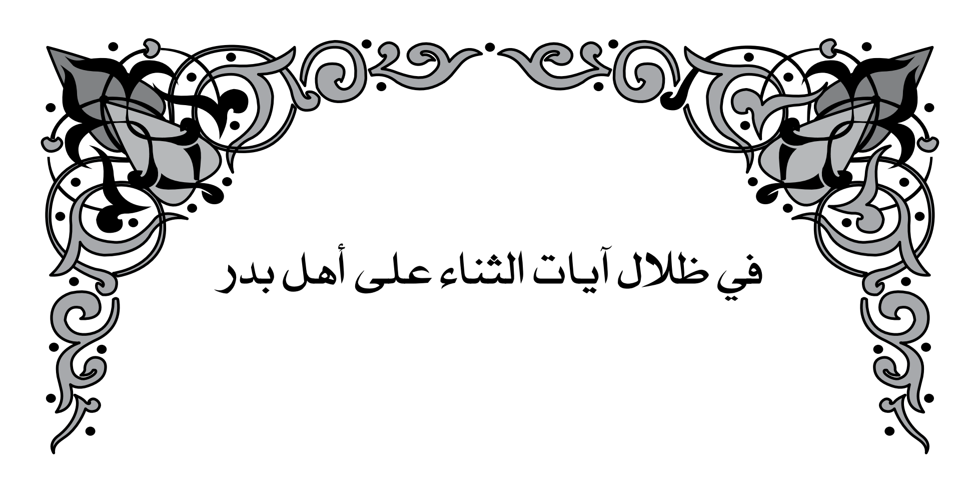
الثناء على أنس بن النضر وأشباهه ومَنْ ثبت مع النَّبيِّ ﷺ بأُحد .

الثناء على من شهد حمراء الأَسَد وهم من بقي من المسلمين الذين شهدوا أحداً .

عطاءات الرحمن لأهل بيعة الرضوان .

في ظلال آيات الثناء على أهل غزوة تبوك وهي غزوة العسرة .





في ظلال آيات الثناء على أهل بدر

تمهيد في فضل يوم بدرٍ وفضل أهله إجمالاً :

سمَّى اللهُ تعالى في كتابه العزيز يوم بدر يوم الفرقان، لأن الله تعالى فرَق فيه بين الحق والباطل، وأعز فيه دينه، وأيَّد جنده، وأذل فيه الشرك وأهله، فجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وأظهر كلمته وبيَّن أنها هي العليا، وقد جمع الله في هذه الغزوة الآيات الكثيرة والبراهين الشهيرة، وحقق الله فيها ما وعده المؤمنين، واختار الله لها خيرة من أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا أعلى طبقة وأعلى فضلاً ممن بعدهم، وممن لم يحضرها، ومدحهم النبي ﷺ بمدائح كثيرة، وأوجب الله تعالى لكل من شهدها الجنة.

وقد نزلت في فضل جميع أهل بدر آيات عدة، ونزلت آيات أخرى في فضل بعضهم، تسجل المواقف العظيمة التي قاموا رضي الله عنهم بها، نزلت هذه الآيات تذكِّر أصحاب رسول الله ﷺ بفضله تعالى على أهل بدر حيث نصرهم وهم قِلّة في العدد، تقوية لقلوبهم، وطلباً لثباتهم عند لقاء عدوهم فيما بعد، وإنذاراً لغيرهم من الكفار وأهل الكتاب، وتقريراً

لكون النصر من عند الله تعالى وأنه تعالى غالب على أمره، وأنه مع المتقين الصابرين بنصره وتأييده، فقد قال تعالى – أثناء حديثه عن غزوة أُحد – مذكراً المؤمنين بنصره يوم بدر: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾... الآيات. [آل عمران: ١٢٣، وما بعدها].

قال القرطبي: « و﴿ أَذِلَّةٌ ﴾ معناها قليلون؛ وذلك أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلاً. وكان عدوّهم ما بين التسعمائة إلى الألف ... واسم الذل في هذا الموضع مستعار، ولم يكونوا في أنفسهم إلّا أعِزّة، ولكن نسبتهم إلى عدوّهم وإلى جميع الكفار في أقطار الأرض تقتضي عند التأمل ذِلّتهم وأنهم يُغلبون ... فنصرهم الله يوم بَدْرٍ، وقتل فيه صنادِيد المشركين، وعلى ذلك اليوم ابتني الإسلام، وكان أوّل قتال قاتله النبيُّ ﷺ »[(١)].

من فضائل أهل بدرٍ ومنن الله تعالى عليهم:

أ) أنهم أسوة لكل من بعدهم:

فأول هذه المنن على أهل بدر أن الله أراد أن يشرفهم بأن ينالوا شرف هذه المواجهة الأولى التي يقاتلون فيها الكفار، فكانوا أسوة لكل المجاهدين من بعدهم، في الصبر والثبات والاحتساب.

---

(١) تفسير القرطبي ٤/ ١٩٠ .

ب) جعل الله الفرقان على أيديهم:

فقد سمى في كتابه يوم بدرٍ يوم الفرقان، كما في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٤١]، واختصهم الله عز وجل بأن جعل هذا الفرق بين الحق والباطل على أيديهم، وما أعظمها من خصيصة .

ج) مدحهم الله تعالى بالإخلاص له، وأبانت مواقفهم عن ذلك:

فقد مدحهم الله تعالى بأنهم يقاتلون نُصرةً لدين الله، لا لغرضٍ آخر من أغراض الدنيا، فأثبت الله لهم تمام الإخلاص له سبحانه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ [آل عمران: ١٣]، وتلك شهادة من الله لا تعدلها شهادة .

من مواقف أهل بدرٍ :

وأمّا عن مواقفهم فقد مثلت قمة الصدق مع الله، فقد باعوا أنفسهم له واشتروا ما عنده، فلم يخذلوا نبيهم ﷺ حين عرض عليهم قتال جيش قريش - الذين جاءوا بفخرهم وخيلائهم يحادون الله ورسوله - وأظهر لهم رسول الله ﷺ الرغبة في ذلك - بعد أن نجت عِير قريش التي خرج المسلمون للقائها - رغم قلتهم عدداً وعتاداً، وعدم تهيئهم لهذا القتال الذي جاء على غير ميعاد .

١ – فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « استشار النبي ﷺ مَخْرَجه إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم فأشار عليه عمر... »[١]. فكلاهما قال فأحسن.

٢ – ثم تكلم المِقْداد بن عمرو فَسُرَّ رسول الله ﷺ من كلامه كما في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: « قال المِقْداد يوم بدر: يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن امض ونحن معك. فكأنه سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ »[٢].

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود قال: « لقد شهدت من المِقْداد مشهداً لأَن أكون أنا صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مما عُدِلَ به، أتى رسول الله ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: والله يا رسول الله، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ ولكن نقاتل عن يمينك، وعن يسارك، ومن بين يديك، ومن خلفك، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يشرق، وسَرَّه ذلك »[٣]. ومعنى (أحبّ إِلَيَّ مما عُدِلَ به): أي أحب إِلَيَّ من كل شيء يقابَلُ به ويوزن من أمور الدنيا.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٨٨، وقال الحافظ ابن كثير في السيرة النبوية ٢/ ٣٩٣: « هذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح ».

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٦٨٤، برقم٤٣٣٣ .

(٣) صحيح البخاري، ٤/ ١٤٥٦، برقم ٣٧٣٦، وأحمد ١/ ٣٨٩، وهذا لفظ أحمد.

٣- ثم قال النبي ﷺ بعدها: « **أشيروا عليَّ أيها النّاس** » يقصد بذلك الأنصار، كما جاء في رواية أنس السابقة، وقد روى الإمام مسلم عن أنس قال: « فقام سعد بن عبادة فقال: إيّانا تريد يا رسول الله ؟ والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نُخيضَها [١] البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْكِ الغِماد[٢] لفعلنا »[٣].

٤- وذكر أصحاب السير وغيرهم أن الذي قال ذلك هو سعد ابن معاذ الأنصاري رضي الله عنه، فقد ذكر ابن إسحاق، قال: ثم قال رسول الله ﷺ: « **أشيروا عليَّ أيها النّاس** » وإنما يريد الأنصار، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال: « **أَجَلْ** » قال: فقد آمنا بك وصَدَّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبُرٌ في الحرب صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك، فَسِرْ على بركة الله. قال: فَسُرَّ رسولُ الله ﷺ بقول سعد ونَشَطَه، ثم قال: « **سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم** » [٤].

---

(١) أي : خيلنا وإبلنا .

(٢) برك الغِماد: موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر . (معجم البلدان ١/ ٣٩٩).

(٣) صحيح مسلم ٣/ ١٤٠٥، برقم ١٧٧٩ .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٤، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٩٢-٣٩٣، وقال ابن كثير: « هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله، وله شواهد من وجوه كثيرة ».

٥- ولما دنا المشركون من المسلمين حرَّضَ الرسولُ المسلمين على القتال فقال: « **والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتلَ صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة** »(١). وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال لهم: « **قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض** ». فقال عُمير بن الحُمَام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال: « **نعم** ». قال: بَخٍ بَخٍ. فقال رسول الله ﷺ: « **ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ** » ؟. قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءةَ أن أكون من أهلها. قال « **فإنك من أهلها** ». فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثُمَّ قاتلهم حتى قُتِل »(٢).

٦- وأخرج ابن سعد في الطبقات قال: « كان سعد بن خيثمة أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار، ولما نَدَبَ رسولُ الله ﷺ المسلمين إلى الخروج إلى عِير قريش فأسرعوا قال خيثمة بن الحارث لابنه سعد: إنه لا بُدَّ لأحدنا من أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك، فأبى سعد وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما فخرج سهم سعد، فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر فقُتِلَ يومئذ، قتله عمرو بن عبد وُدٍّ، ويقال طُعَيمة بن عدي »(٣).

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٨، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٤٢٠.

(٢) رواه مسلم ٣/ ١٥١٠، رقم ١٩٠١.

(٣) الطبقات الكبرى ٣/ ٣٦٧ .

فهـؤلاء هم أهل بدر رضي الله عنهم، وهذه بعض مواقفهم العظيمة التي سجلتها كتب السنن والسير.

د) ومن فضائل أهل بدر: أن الله شهد لهم في كتابه بالإيمان:

فقد وصفهم الله بالإيمان في مواطن عدة من الآيات النازلة في يوم بدر، وهو وصف يدل على رسـوخ الإيـمان في قلوبهم، فقد قال تعالى وهو يبين حكمـة هذا اللقاء، وهذا النـصر: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧]، أي ليتفضل على عباده المؤمنين « وينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة »[1] مع قلة عددهم بالنسبة لعدوهم.

وامتدحهـم بـه في قولـه لرسـوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾[2] [آل عمران: ١٢٤]، وفي قولـه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال:١٢]. وفي اختيار الله تعالى لأن يمدحهم بهذه الصفة الجامعة دلالة على رسوخهم فيها رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

هــ) ومن فضائلهـم: أن الله تعالى أظهر لهم من آيـات النصر والتأييد ما لا يكون إلا لأوليائه:

---

(١) ينظر تفسير البغوي ٣/ ٣٤٠ .

(٢) قال الطبري في تفسيره ٦/ ٢٠ : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة، إذ تقول للمؤمنين: من أصحابك...» . فقد اختار رحمه الله أن هذا القول كان ببدر. وهو قول ابن عباس وعكرمـة ومجاهد وقتادة، كما في زاد المسـير ١/ ٤٥٠، وهو قـول جمهور المفسرين كما ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره ٤/ ٧٢.

فمن هـذه الآيات:

١ – إنزال الله السكينة عليهم والتي ظهرت في إلقاء الله عليهم النعاس ليلة المعركة حتى ناموا مطمئنين، وهذه من الآيات العجيبة.

٢ – إنـزال الله عليهم المطر قبل بدء المعركة، فكان للمسـلمين بشرى ونعمـة، وعلى الكافريـن نقمة كما في قوله تعـالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١]. فعـن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسـير هذه الآية قال: « نزل النبي ﷺ -يعني: حين سـار إلى بدر – والمسـلمون بينهم وبين المـاء رملة دِعْصة[١] فأصـاب المسـلمين ضعـف شـديد، وألقـى الشـيطان في قلوبهـم الغيظ، فوسـوس بينهـم: تزعمـون أنكم أوليـاء الله وفيكم رسـوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مجنبين! فأمطر الله عليهم مطراً شـديداً، فـشرب المسـلمون وتطهروا، وأذهـب الله عنهـم رجز الشـيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشـى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم ...»[٢].

٣- إغاثـة الله لهـم لمـا اسـتغاثوه، واسـتجابته تعالى لهم لمـا دعوه، كما في قولـه تعـالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ

(١) أي: رملة رقيقة زَلِقة تغوص الأقدام فيها.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١١/ ٦٤، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ٢٣ .

مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩]، ومعنى مردفين أي متتابعين يأتي بعضهم في إثر بعض. وأوّلُ الداخلين في هذه الآية رسولُ الله ﷺ؛ لأن هذه الآية نزلت عقب استغاثته ﷺ(١).

٤- إمداد الله تعالى للمؤمنين بملائكته يكثِّرونهم ويقاتلون معهم، ويشدون من عزمهم كما جاء في الآية السابقة وفي قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال:١٢].

٥- قلَّلَ اللهُ تعالى كلا الفريقين في أعين الآخر قبل الالتقاء ليجترئ كلٌّ منهما على الآخر، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الأنفال: ٤٤]، ثم كثَّرَ اللهُ تعالى المسلمين في أعين الكافرين عند التقاء الفريقين يوم بدر مع قلتهم، ليهابهم المشركون ويجبنوا عن قتالهم، وكان ذلك مدداً آخر من الله تعالى غير إمدادهم بالملائكة، وذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران:١٣](٢).

---

(١) كما جاء في سبب نزولها عن عمر رضي الله عنه في صحيح مسلم ٣/ ١٣٨٣، حديث رقم ١٧٦٣.

(٢) ينظر في هذا المعنى تفسير أبي السعود ٢/ ١٢- ١٣، والتحرير والتنوير ٣/ ١٧٧.

فكل هذه آيات لا تكون إلا لجند الله تعالى ولأوليائه .

و) ومن فضائلهم أن الله سجل لبعضهم في كتابه مواقف عظيمة:

١ – ففي بعضهم نزل قوله تعالى: ﴿ **هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ** ﴾ [الحج: ١٩-٢٢]. فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: « أُقسم بالله لنزلت: ﴿ **هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ** ﴾ في هؤلاء الستة: حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب، وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة »[١].

وعن عليّ رضي الله عنه قال: « فينا نزلت هذه الآية في مبارزتنا يوم بدر: ﴿ **هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟** ﴾ إلى قوله ﴿ **ٱلْحَرِيقِ** ﴾»[٢].

فقد خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعه، وابنه الوليد ابن عتبة فطلبوا المبارزة، كما رواه أبو داود وغيره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « تقدم يعني عتبة بن ربيعة وتبعه ابنه وأخوه فنادى مَنْ يبارز ؟ فانتدب له شباب من الأنصار فقال: من أنتم ؟ فأخبروه فقال: لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا، فقال النبي ﷺ: « **قم يا حمزةُ، قم يا عليُّ، قم يا عُبيدة بن الحارث** » فأقبل حمزةُ إلى عُتبة، وأقبلت إلى شَيبةَ،

---

(١) رواه البخاري ٤/ ١٤٥٩، برقم ٣٧٥٠ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٨٦، والنسائي وعبد بن حميد وأبو نعيم (فتح الباري: ٨/ ٤٤٤) والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٧٣) من طريق أبي مجلز عن قيس عن عليّ رضي الله عنه به، وإسناده صحيح.

واختلـف بين عُبيدة والوليد ضربتان، فأثخن كلُّ واحدٍ منهما صاحبَهُ، ثم مِلْنا على الوليدِ فقتَلناه، واحْتَمَلنا عبيدة »[١].

٢- وذكـر جمـع مـن المفسريـن[٢] أنـه نـزل في بعضهـم قولـه تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قـال الحافـظ ابن كثـير فيمن نزلت فيهـم هذه الآيـة: « وقيل في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ﴾: نزلت في أبي عُبيدة، قتل أباه يوم بدر، ﴿ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ في الصديـق، هَـمَّ يومئـذ بقتـل ابنـه عبـد الرحمن، ﴿ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ ﴾ في مصعـب بن عمير، قتل أخـاه عبيد بن عمير يومئذ، ﴿ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ في عمـر، قتل قريباً له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ، والله أعلم »[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/ ٥٢، برقم ٢٦٦٥ .

(٢) منهـم ابـن كثير في تفسـيره ٨/ ٥٤، والقرطبـي ١٧/ ٣٠٧- ٣٠٨، والسـيوطي في لباب النقـول ص ١٩١، والـدر المنثور ٨/ ٨٦-٨٧، والواحدي في أسـباب النزول ص ٢٧٧، والبغوي في تفسيره ٨/ ٦٢، وابن الجوزي في تفسيره ٨/ ١٩٨، والخازن ٧/ ٩٤.

(٣) تفسـير ابن كثير ٨/ ٥٤، وذكر مثله القرطبي ١٧/ ٣٠٧- ٣٠٨، والسـيوطي في لباب النقـول ص ١٩١، والـدر المنثور ٨/ ٨٦-٨٧، مقتصراً فيه على أبي عبيدة بن الجراح، ومن المفسرين من روى ذلك ولكن ذكر أن مقتل والد أبي عبيدة، وأخي مصعب بن عمير كان في أحد، وهم الواحدي في أسباب النزول ص ٢٧٧، والبغوي في تفسيره =

وقال السيوطي في الدر المنثور: « وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في سننه وابن عساكر عن عبد الله ابن شوذب قال: جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله فنزلت: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ الآية »[1].

وقد مدحت هذه الآية هؤلاء المؤمنين بأنهم أهل موالاة لله، راسخون في الإيمان به، مؤيدون بروح منه، وأنهم حزب الله تعالى والموعودون بالخلود في الرضوان .

ز) **ومن فضائلهم التي جاءت في السنة**: وصف النبي ﷺ لهم بأنهم خيرة المؤمنين أو من خيرتهم:

فعن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه -وكان أبوه من أهل بدر- قال: « جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: **ما تعدون أهل بدر فيكم؟** قال: « **من أفضل المسلمين** ». أو كلمة نحوها، قال: **وكذلك من شهد بدراً من الملائكة** »[2].

= ٨/ ٦٢، وابن الجوزي في تفسيره ٨/ ١٩٨، والخازن ٧/ ٩٤، وذلك من رواية مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(١) الدر المنثور ٨/ ٨٦- ٨٧، ولباب النقول ص ١٩١، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ١/ ١٥٤، برقم ٣٦٠، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٠١، والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٦٥، والبيهقي في سننه (٩/ ٢٧) عن عبد الله بن شوذب مرسلاً، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني وإسناده منقطع ورجاله ثقات». (مجمع الزوائد ٩/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه البخاري، ٤/ ١٤٦٧، برقم ٣٧٧١ .

وعن رافع بن خديج قال: « جاء جبريل أو مَلَكٌ إلى النبي ﷺ فقال: **ما تعدون مَنْ شهد بدراً فيكم ؟** قالوا: « **خيارنا** ». قال: **كذلك هم عندنا خيار الملائكة** »(١).

ح) وآخراً: فإن كل من شهد بدراً مغفور له، مقطوع بدخوله الجنة، والنجاة من النار:

١ - فقد روى البخاري عن عليّ رضي الله عنه - في قصة حاطب بن أبي بلتعة وكان قد وقع في أمر كبير - أن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب: « **أو ليس من أهل بدر؟ وما يدريك لعل الله اطلع عليهم فقال: اعملوا ما شئتم، فقد أوجبت لكم الجنة** ». فاغرورقت عيناه، فقال: الله ورسوله أعلم(٢).

وفي رواية مسلم، قال: « **وما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم** »(٣).

والمقصود بهذه البشرى المغفرةُ في الآخرة، قال الحافظ ابن حجر: « واتفقوا على أن البِّشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها »(٤).

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٦٥، وابن ماجه ١/ ٥٦، برقم ١٦٠، هكذا بلفظ: « **قالوا** ».
(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٥٤٢، برقم ٦٥٤٠ .
(٣) ٤/ ١٩٤١، رقم ٢٤٩٤.
(٤) فتح الباري ٧/ ٣٠٦ . وقال المناوي رحمه الله في فيض القدير (٢/ ٢١٢) مبيناً معنى =

٢- وعـن جابـر بن عبـد الله رضي الله عنهـما: أن عبـداً لحاطب جاء رسـول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله ﷺ: « **كَذَبْتَ، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية** »[1].

٣- وعن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **إني لأرجو أن لا يدخل النّار أحد إن شاء الله شهد بدراً والحديبية** »، قالـت: فقلـت: أليـس الله عز وجـل يقـول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ ؟ فقـال رسـول الله ﷺ : « **أفلـم تسـمعيه يقـول:** ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾؟ [مريم:٧١- ٧٢] »[2].

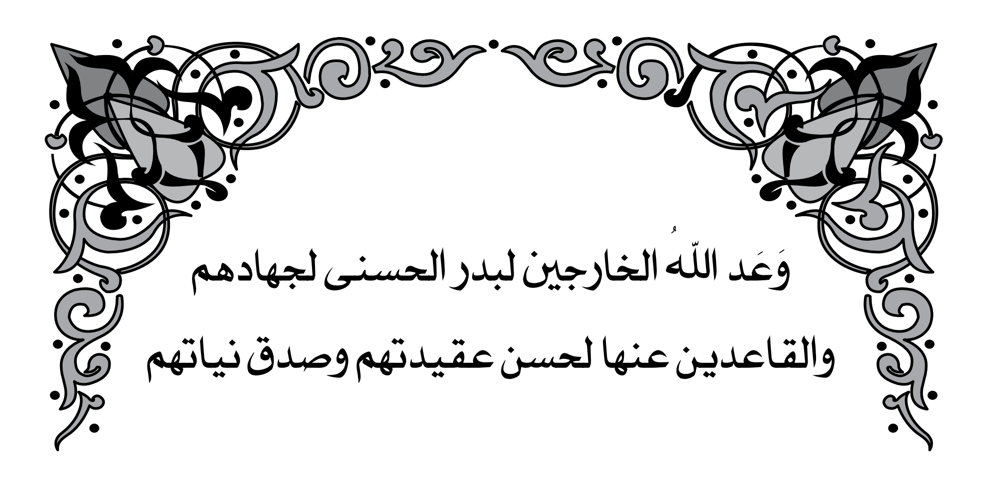
فهذه بعض فضائل أهل بدر التي نطقت بها آيات كتاب الله، وشهدت بها أحاديث رسول الله ﷺ .

= هـذا الحديث: « **اعملوا ما شئتم** » أن تعملوا « **فـإني قد غفرت لكم** » ذنوبكم: أي سترتها، فلا أؤاخذكم بها لبذلكم مهجكم في الله ونصر دينه.

والمـراد إظهـار العناية بهـم وإعلاء رتبتهـم والتنويـه بإكرامهم والإعـلام بتشريفهم وإعظامهـم لا الترخيـص لهم في كل فعـل، كما يقال للمحب: افعل ما شـئتَ، أو هو عـلى ظاهره والخطـاب لقوم منهم، على أنهـم لا يقارفون بعد بدر ذنبـاً وإن قارفوه لم يصروا بل يوفقون لتوبة نصوح، فليس فيه تخييرهم فيما شـاؤوا، وإلا لما كان أكابرهم بعد ذلك أشـدَّ خوفـاً وحذراً مما كانوا قبله، وبذلك سـقط ما قيل إن هذا سـقط من المشكل لأنه إباحة مطلقة، وهو خلاف عقد الشرع ».

(١) رواه مسلم ٤/ ١٩٤٢، رقم ٢٤٩٥.

(٢) رواه ابن ماجه ٢/ ١٤٣١، برقم ٤٢٨١، وأحمد ٦/ ٢٨٥، ٣٦٢، وأبو يعلى ١٢/ ٤٧٣، برقم ٧٠٤٤.



وَعَد اللّهُ الخارجين لبدر الحسنى لجهادهم والقاعدين عنها لحسن عقيدتهم وصدق نياتهم

يقول الله عز وجل: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥- ٩٦].

تمهـــيد:

أ) هـذه الآية صريحة في وعد مَنْ نزلـت في حقهم من أصحاب النبي ﷺ بالحسنى، والحسنى هي الجنة عند جماعة العلماء[١].

ب) وقـد تحدثـت الآيتـان عن ثلاث جماعـات من الصحابـة، كلهم دخلـوا في الفضـل لعلم الله بـما في قلوبهم من الخير ومحبـة نصرة دين الله، ولكن لا يستوون في الأجر.

---

(١) ينظر زاد المسير ٢/ ١٧٤، وقال أبو حيان في تفسيره ٢/ ٢٧١: «الحسنى: الجنة باتفاق».

والمتأمـلُ في قوله تعالى: ﴿ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗ ﴾ يعلم أنه إشـارة وإيماء إلى أن الكل من أهل الجنّة، لأن الدرجات هي درجات الجنة[١]، فما أعظم هذا الوعد، فتأمله تعرف رفعة المكانة.

ج) ويفهـم من هـذا الوعد السـابق - أيضاً - بأدنى تأمـل تزكيةُ الله لبواطن هؤلاء الصحابة، ومَن زكّاه الله فقد فاز، ومَن انتقص من زكّاه الله فقد ظلَمَ وخسر.

د) وقـد نزلت هذه الآية الكريمة كـما يُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما فيمن خرج لغزوة بدرٍ ومَن تخلَّفَ عنها، وقيل: نزلت في غزوة تبوك، وهو بعيدٌ، فعن مقسم مولى عبد الله بن الحارث أن ابن عباس أخبره قال: «﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، عـن بـدر، والخارجون إلى بدر»[٢]. قال أبو السعود: «وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول»[٣].

وهـؤلاء - أي الخارجـون والقاعـدون - من السـابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والسـابقون الأولون طبقة لها فضل عظيم، كما جاء في آيات عدة .

(١) سـيأتي فيـما بعد النقـل عن الطبري وغـيره أن المقصود بالدرجات هـي درجات الجنة وأنها الأولى بتأويلها. كما في تفسير الطبري ٧/ ٣٧٨ .

(٢) رواه البخاري ٤/ ١٦٧٨، برقم ٤٣١٩، والطبري في تفسيره ٧/ ٣٧٠.

(٣) تفسير أبي السعود ٢/ ٢٢٠ .

هـ) وقد جاءت هذه الآية بهذه الصيغة العامة[1] - والله أعلم- دون تحديد للمناسبة التي نزلت فيها ليدخل فيها كلُّ مَن جاهد في سبيل الله بنفسه وماله من أصحاب رسول الله ﷺ بعد هذه الواقعة التي نزلت فيها هذه الآية، فما أعظمه من فضل، وما أعظمها من بشارة بالجنة لهؤلاء المجاهدين ولمن لحق بهم في ذلك .

و) وفي عدم التسوية بين الفريقين إغراءٌ مِن الله تعالى للمؤمنين الذين لم يخرجوا لبدر ببيان عِظَمِ رتبة مَن حظوا بالخروج إليها، ليأنَفَ القاعدُ منهم أن يتخلّف عن رسول الله ﷺ في أي خروج له فيما بعد، ويترفّع بنفسه عن انحطاط منزلته، فيهتز للجهاد ويرغب فيه، وفي ارتفاع طبقته[2]، وفي أن ينال ما ناله أصحابه.

ز) ولم يوجه الله تعالى لوماً لمن لم يخرج مع النبي ﷺ إلى بدر ؛ لأنهم لم يندبوا لقتال وإنما للقاء عير لقريش عليها تجارتهم[3]، ولأن الخارجين

(١) قال البيضاوي في تفسيره: « ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ بالرفع صفة لـ (القاعدون)؛ لأنه لم يقصد بهم قوم بأعيانهم ». (أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٢٣٨).

(٢) ينظر تفسير الكشاف ١/ ٥٥٣-٥٥٤ .

(٣) وقد وصفهم سعد بن معاذ رضي الله عنه بأنهم « ليسوا بأقل حباً لرسول الله ﷺ من الذين خرجوا معه» حين اقترح على رسول الله يوم بدرٍ أن يبني له عريشاً ويجهز له الركائب، فإن لم يحصل لهم النصر لحق ببقية المسلمين بالمدينة، حيث قال: (وإن تكن الأخرى - أي غير النصر- فتجلس على ركائبك وتلحق بمن وراءنا من قومنا، فقد والله تخلف عنك أقوام ما نحن لك بأشد حُبّاً منهم، لو علموا أن نلقى حرباً ما تخلفوا عنك يوادونك وينصرونك). دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤٤، عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم .

مـع رسـول الله ﷺ كانوا يكفون، بـل يزيدون عن المطلـوب للقاء العير، وفي هذا يقول كعب بن مالك رضي الله عنه: « تخلفتُ عن غزوة بدر، ولم يُعاتَـب أحدٌ تخلـف عنها، إنما خرج رسـول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد »[١].

ح) ولا يُظـن لكون هذين الفريقَـينِ موعودَينِ بالجنة أن الفرق بينهما قليـل، كلا، فالفرق بينهـما درجات ومغفرة ورحمة، ففي الصحيح عن أبي سـعيد الخدري أن رسـول الله ﷺ قال: « **يا أبا سـعيد، مَنْ رضي بالله ربّـاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة** ». فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدهـا عليّ يا رسـول الله ففعـل، ثم قـال: « **وأخرى يرفع بهـا العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض** ». قال: وما هي يا رسول الله ؟ قال: « **الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله** »[٢].

وعـن أبي هريـرة رضي الله عنـه قال: قـال رسـول الله ﷺ: « **مَنْ آمن بالله وبرسـوله وأقـام الصلاة وصام رمضـان كان حقّاً عـلى الله أن يدخله الجنـة جاهـد في سـبيل الله أو جلـس في أرضـه التـي ولـد فيهـا** » . فقالوا يا رسـول الله، أفلا نبشِّر الناس ؟ قـال: « **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سـبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السـماء والأرض، فإذا سـألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسـط الجنة وأعلى الجنة – أراه – فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة** »[٣].

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٤٥٥، رقم ٣٧٣٥ . ومسلم ٤/ ٢١٢٠، رقم ٢٧٦٩.

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٥٠١، رقم ١٨٨٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣/ ١٠٢٨، برقم ٢٦٣٧ .

وجـوه في تفسير الآيـة:

اختلف المفسرون في تفسـير الآية على وجهين: أحدهما -وهو الوجه الأول- أخـص من الثاني، وقد قال به جمع مـن المفسرين، وكلا الوجهين يدل على فضيلة وعظم جزاء من نزلت في حقهم.

الوجه الأول:

هـذا الوجه يخص الوعد بالحسـنى في هذه الآيـة بالمجاهدين في بدر والقاعديـن مـن أصحاب الأعـذار فقـط، وأن الذين خرجـوا فحضروا القتـال أعلى درجة مـن القاعدين من أصحاب الأعـذار. وأما القاعدون مـن غير أصحاب الأعذار فهم أقل بدرجـات في الأجر من هؤلاء الذين حظوا بالقتال فيها.

فالقاعدون من غير عذر على هذا الوجه من التفسـير غير مشـمولين بهذه الفضيلة في هذه الآية، وهي الوعد بالجنة[1] .

وممـن قـال بهـذا الوجـه الإمـام الطـبري رحمـه الله، يقـول الطبري: «يعنـي بقوله جل ثناؤه: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾: فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسـهم عـلى القاعدين من أولي

(١) وإن كانـوا كـما ذكرنا قد وعدوا بها في آيـات أخرى بما قدموا من أعمال، وفي الآية التي وعدت السـابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بالحسـنى، وهم منهم، ووعد الله لا يتخلف أبداً.

الضرر درجة واحدة، يعني: فضيلة واحدة، وذلك بفضل جهاده بنفسه، فأما فيما سوى ذلك، فهما مستويان»[١] .

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾: « وعد الله الكل من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم، والقاعدين من أهل الضرر الحسنى »[٢].

ويكون المراد بالقاعدين في قوله تعالى: ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، هم الأصحاء غير المعذورين الذين لم يخرجوا لبدر.

يقول الطبري: « يعني: وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من غير أولي الضرر[٣]، أجراً عظيماً »[٤] .

والمقصود بأولي الضرر: أصحاب الأمراض والعاهات كالعمى والعرج والمعذورن بغيرها من العلل التي لا يتيسر معها الجهاد[٥].

---

(١) تفسير الطبري ٧/ ٣٧٥ .

(٢) نفسه .

(٣) ذكر ابن الجوزي أن هذا الوجه مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. ينظر زاد المسير ٢/ ١٧٤، ١٧٥ .

(٤) تفسير الطبري ٧/ ٣٧٩ .

(٥) ينظر تفسير الطبري ٧/ ٣٦٥- ٣٦٦ . وقد روي هذا المعنى عن ابن عبّاس، رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٨): « قال: هم قوم كانوا على عهد رسول الله ﷺ لا يغزون معه، لأسقام وأمراض وأوجاع » . وقال الهيثمي: « رواه الطبراني من طريقين، ورجال أحدهما ثقات» . (مجمع الزوائد ٧/ ٩).

وفي هـذا إنصاف لهم وعذر بأنهم لو كانوا قادرين لما قعدوا، وبيان لما في قلوبهـم مـن محبة الجهاد، ولكـن لما لم يباشروه نزلوا عـن الذين باشروه درجة[١].

وَوَصْـفُ الله المجاهدين في هـذه الآية بأنهم جمعوا بين الجهاد بالنفس والجهـاد بالمال مبالغةٌ في مدحهم، وإلا فـإن حقيقة الجهاد هو بذل النفس في سبيل الله ولو لم ينفق شيئاً[٢]، ولأن القاعد ربما جاهد بماله[٣].

وأمّـا معنى قوله تعـالى: ﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ فهو بيان لمعنى الأجـر العظيم في الآية السـابقة، والمراد بالدرجـات درجات الجنة، يقول الطبري: « وأولى التأويلات بتأويل قوله: (درجات منه) أن يكون معنيّاً به درجات الجنة »[٤]. ويقول الحافظ ابن كثير: « الدرجات، في غرف الجِنَان العاليات »[٥].

الوجه الثاني في تفسير الآية:

هـذا الوجـه: لم يخص الوعد بالحسـنى في هـذه الآيـة بالمجاهدين في بـدر والقاعدين من أصحاب الأعذار، وإنما شـمل الذين لم يخرجوا إليها أيضـاً بفضل إيمانهم ونياتهم، ولأن الجهاد في الأصل فرض كفاية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

---

(١) ينظر تفسير الخازن ١/ ٥٨١، والتحرير والتنوير ٥/ ١٧٠ .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٥/ ١٧١ .
(٣) ينظر التحرير والتنوير ٥/ ١٧١ .
(٤) تفسير الطبري ٧/ ٣٧٨ .
(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٨٨ .

وفسّر أكثرُ أصحاب هذا الوجه المراد بـ(القاعدين) في الموطنين الثاني والثالث بأنهم الأصحاء الذين لا عذر لهم. وبعضهم قال: « الذين أُذن لهم اكتفاء بغيرهم » .

والبعض أطلق القاعدين الثانية على المعذورين وغير المعذورين، وخصَّ الثالثة بغير المعذورين، ولكنهم قالوا: إن الجميع موعودون بالحسنى.

قال ابن الجوزي في المراد بالقاعدين في قوله تعالى:﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾:

« في هؤلاء القاعدين قولان: ... الثاني: القاعدون من غير ضرر. قاله أبو سليمان الدمشقي »[(١)].

تقدير الآية على هذا الوجه:

ويكون تقدير الآية: لا يستوي القاعدون من المؤمنين إلا أولو الضرر فإنهم يساوون المجاهدين، أو قريبون منهم في المنزلة؛ لأن العذر أقعدهم.

أو يكون التقدير: لا يستوي القاعدون من المؤمنين الذين صفتهم أنهم غير أولي ضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم[(٢)]. وتكون المقارنة على كلا التقديرين بعد ذلك بين المجاهدين بالأموال والأنفس والقاعدين الذين لا ضرر بهم . ولعله بهذا يتضح المعنى .

---

(١) زاد المسير ٢/ ١٧٤ .

(٢) ينظر التقديران في تفسير البغوي ٢/ ٢٧٠، وتفسير الفخر الرازي ٦/ ٧- ٨ .

فإذا عرفنا أن الآية نزلت أوّلَ ما نزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ...)، أي: وليس فيها « غير أولي الضرر » وأنها نزلت بعدها مباشرة وأُلحقت بها، علم أن المقارنة في هذه الآية في الأصل كانت بين المجاهدين والقاعدين مطلقاً، إذا عُلِمَ هذا قوي هذا الوجه جداً . والله أعلم .

فقد أخرج البخاري وأبو داود وغيرهما، وهذا لفظ أبي داود عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: « كنت إلى جنب رسول الله ﷺ فغشيته السكينة فوقعت فَخِذُ رسول الله ﷺ على فَخِذي فما وجدتُ ثِقَلَ شيء أثقلَ من فخذ رسول الله ﷺ ثم سُرِّيَ عنه فقال: « **اكتب** ». فكتبت في كتف: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر الآية فقام ابن أم مكتوم – وكان رجلاً أعمى – لما سمع فضيلة المجاهدين فقال: يا رسول الله، فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ فلما قضى كلامه غشيت رسولَ الله ﷺ السكينةُ فوقعت فخذه على فخذي ووجدتُ من ثِقَلِها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى، ثم سُرِّي عن رسول الله ﷺ فقال: « **اقرأ يا زيد** ». فقرأت: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ الآية كلها. قال زيد: فأنزلها الله وحدها فألحقتها »[1].

---

(١) سنن أبي داود ٣/ ١١، برقم ٢٥٠٧، وأخرجه البخاري مختصراً بلفظ قريب عن مروان ابن الحكم عن زيد، ٤/ ١٦٧٧، برقم ٤٣١٦، وقد ذكرت رواية أبي داود لأنها نصت على اكتمال الآية، فقال فيها: « إلى آخر الآية »، وإن كانت هي الظاهر في الروايات الأخرى عند غير أبي داود.

القائلون بهـذا الوجــه:

هـذا الوجه من التفسـير – وهو أن الوعد بالحسـنى جـاء لهم جميعاً – رواه الترمـذي والنسـائي وغيرهما، عـن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال: « ... ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾، فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر، ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ ﴾ على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر »[1].

فعـلى هـذا يكون الحاصل أن المـراد بالقاعديـن في المواضع الثلاثة مـن الآية الكريمة هم الأصحاء. وهو ما ذهب إليه ابن جريج كما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري، قال: « وحاصل تفسـير ابن جريج أن المفضـل عليه: غير أولي الـضرر، وأما أولو الضرر فملحقون في الفضل بأهل الجهـاد إذا صدقت نياتهم » [2].

وهـو قول كثـير من المفسريـن: منهـم الإمـام الشـافعي، والبغوي، والنَّحـاس في معـاني القـرآن، والفخر الـرازي، والبيضاوي، والنسـفي،

---

(١) سـنن الترمـذي ٥/ ٢٤١، رقم ٣٠٣٢، والنسـائي في التفسـير ١/ ٣٩٩، رقم ١٣٧ . وقال الترمذي: « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » .

(٢) فتح الباري ٨/ ٢٦٢ .

وأبو حيان، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور[١]، وهو المفهوم من كلام ابن كثير[٢].

من نصوص العلماء القائلين بالوجه الثاني :

١- يقول الإمام الشافعي في تقرير كون الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وأنه لا يكون فرض عين إلا في أحوال معينة: « بيَّن إذ وعد الله القاعدين غير أولي الضرر الحسنى أنهم لا يأثمون بالتخلف ويوعدون الحسنى في التخلف، بل وعدهم بما وسع لهم من

---

(١) ينظر السنة للمروزي ص ٤٤، والسنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٤٧، وتفسير البغوي ١/ ٤٦، ٢/ ٢٧٠- ٢٧٢، وتفسير البيضاوي ٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠، وتفسير النسفي ١/ ٣٨٧، وتفسير أبي حيان ٣/ ٢٦٩-٢٧١، وتفسير الشوكاني ١/ ٥٠٣، وتفسيرالآلوسي ٥/ ١٢٢ - ١٢٤، والتحرير والتنوير ٥/ ١٧٢ .

(٢) حيث ذكر ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٧٨ - ٣٨٨) أن الآية في الأصل كانت مطلقة فكانت المقارنة بين القاعدين مطلقاً والمجاهدين بالأموال والأنفس، ثم نزل ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ ليساوي بينهم وبين المجاهدين بالأموال والأنفس. مما يفهم أن أولي الضرر ليسوا داخلين في المقارنة. وقال ابن كثير رحمه الله في المراد بالقاعدين قوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ قال: (ثم أخبر تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين، قال ابن عباس: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ وكذا ينبغي أن يكون) . ثم أتبعها بتفسير ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: الجنة والجزاء الجزيل. وأن فيها دلالة على أن الجهاد ليس فرض عين بل فرض كفاية. وفَسَّر الدرجات في قوله تعالى: ﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ بأنها درجات الجنة، مما يفهم منه تماماً أن الموعودين بالحسنى هم الطوائف الثلاث مع اختلاف درجاتهم في الجنة .

التخلف الحسنى إذا كانوا مؤمنين لم يتخلفوا شكّاً ولا سوء نية، وإن تركوا الفضل في الغزو »[١].

٢- وقد صرح الفخر الرازي بأن الموعودين بالحسنى هم المجاهدون والقاعدون جميعاً، حيث قال: « ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: وكلاً من القاعدين والمجاهدين فقد وعده الله الحسنى ». وقال بعدها: « قال الفقهاء: وفيه دليل على أن فرض الجهاد على الكفاية، وليس على كل واحد بعينه، لأنه تعالى وعد القاعدين الحسنى كما وعد المجاهدين، ولو كان الجهاد واجباً على التعيين لما كان القاعد أهلاً لوعد الله تعالى إياه الحسنى »[٢].

٣- وقال البيضاوي: « ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ أي: لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة، وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعاً لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته ».

وقال: « ﴿ وَكُلًّا ﴾ من القاعدين والمجاهدين ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾: المثوبة الحسنى، وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم، وإنما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب »[٣].

---

(١) السنة للمروزي ص ٤٤، وينظر السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٤٧ .

(٢) التفسير الكبير للرازي ٨/ ٩ .

(٣) تفسير البيضاوي ٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠ .

٤- وقال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾: « الظاهر أن المفضل عليهم هم القاعدون غير أولي الضرر، لأنهم هم الذين نفى التسوية بينهم، فذكر ما امتازوا به عليهم، وهو تفضيلهم عليهم بدرجة، فهذه الجملة بيان للجملة الأولى جوابُ سؤال مقدر، كأن قائلاً قال: ما لهم لا يستوون ؟ فقيل: فَضَّلَ الله المجاهدين.

والمفضل عليهم هنا درجة هم المفضل عليهم آخراً درجات، وما بعدها وهم القاعدون غير أولي الضرر .

وتكرر التفضيلان باعتبار متعلقهما:

فالتفضيل الأول بالدرجة: هو ما يؤتى في الدنيا من الغنيمة، **والتفضيل الثاني**: هو ما يخولهم في الآخرة، فنبه بإفراد الأول وجمع الثاني على أنّ ثواب الدنيا في جنب ثواب الآخرة يسير»[1] .

قال الحافظ ابن حجر في احتمال هذا الوجه: « ويحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ أي من أولي الضرر وغيرهم، وقوله: ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ ﴾ أي على القاعدين من غير أولي الضرر»[2].

---

(١) تفسير البحر المحيط ٣/ ٢٧٠ .

(٢) فتح الباري ٨/ ٢٦٢ .

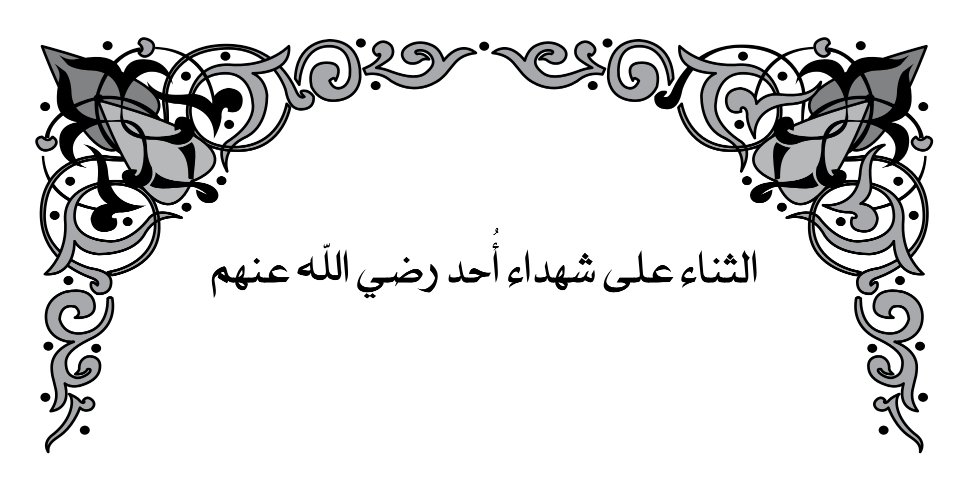
٥- وقال الشوكاني: «﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ هذا بيانٌ لما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم الاستواء إجمالاً، والمراد هنا غير أولي الضرر حملاً للمطلق على المقيد...

﴿ وَكُلًّا ﴾ ... أي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعده الله الحسنى: أي المثوبة وهي الجنة »[١] .

فهذه بعض نصوص العلماء التي تقرر أن الوعد بالحسنى يشمل الجماعات الثلاث من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم مع اختلاف الدرجات والمثوبة بينها؛ لأن الأولى باشرت الجهاد بنفسها، والثانية معذورة لضرر بها، وهي إما مساوية للأولى في الثواب أو ناقصة عنها قليلاً، والثالثة موعودة بالحسنى لخلوص نيتها، فهي لم تقعد تقاعساً، ولم يتعين عليها الخروج بحيث كان فرض عين عليها، والله أعلم . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.



(١) فتح القدير للشوكاني ١/ ٥٠٣ .



الثناء على شهداء أُحد رضي الله عنهم

يقول الله تعـالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩: ١٧١].

هــذه ثلاث آيـات كريمات من سـورة آل عمران، نزلـت في أعقاب غـزوة أُحد تبيِّن فضل شـهدائها وما لهم عند الله من المنزلـة والكرامة[١]، وتبيِّـن أيضـاً فضـل من نـال درجة الشـهادة بالقتـل في سـبيل الله إلى يوم القيامـة، وها نحن ننعم في بعض ظلالها التي تبين فضل هؤلاء الشـهداء، وفضل من سيلحق بهم، وفضل أصحاب رسول الله ﷺ عامـة.

---

(١) ينظر كون الآية نزلت في شهداء أحد في تفسير الطبري ٦/ ٢٢٧، وما بعدها، وتفسير القرطبي ٤/ ٢٦٨، وما بعدها، وقد أورد البخاري هذه الآية في صحيحه ٤/ ١٤٨٤، في كتاب المغازي تحت باب «غزوة أحد».

في ظلال هـذه الآيات الكريمات:

ننعـم في هـذه الظـلال المبينة لفضـل أهلها وعلو مقامهـم من خلال ثلاثة محاور:

الأول: سـبب نزولهـا، **والثـاني**: معناهـا وفوائدها، **والثالث**: سـياق الآيات وربطها بما قبلها، وما فيه من الفوائد.

أولاً: أسباب نزول هذه الآيـة [١] :

جاءت روايات عدة في سـبب نزول هـذه الآيات، تبين معناها وتبين فضل شهداء أحد:

١ – عـن جابر بـن عبد الله قال: لما قُتل عبـد الله بن عمرو بن حرام يـوم أحد لقيني رسـول الله ﷺ فقال: « **يا جابـر، مالي أراك منكسراً ؟** » قال: قلتُ: يا رسـول الله، استُشـهد أبي وترك عيالاً وديـناً، قال: « **أفلا أبشرك بما لقي اللهُ به أباك ؟** »، قال: بلى يا رسول الله، قال: « **ما كَلَّم الله أحـداً قَطّ إلا من وراء حجاب، وكَلَّم أبـاك كفاحاً، فقال: يا عبدي تَمَنَّ عـليَّ أُعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، فقال الرب سـبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون . قال: يا رب فأبلغ مَنْ ورائي، قال: فأنـزل الله تعالى**: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ » [٢].

---

(١) بدأت بها لقوة دلالتها على فضل شهداء أحد .

(٢) أخرجه الترمذي ٥/ ٢٣٠، برقم ٣٠١٠، وابن ماجه ١/ ٦٨، برقم ١٩٠ وهذا لفظه.

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **لمّا أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خُضْرٍ تَرِدُ أنهارَ الجنّة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة في ظل العرش، فلما وجدوا طِيبَ مأكلِهم ومَشرَبِهم ومَقِيلِهم قالوا: مَنْ يبلّغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكُلوا** [١] **عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم. قال: فأنزل الله:** ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا ﴾ »[٢].

٣- وعن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾، قال: أمَا إنّا قد سألنا عن ذلك فقال: « أرواحهم في جوف طير خُضْرٍ، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا: أيَّ شيء نشتهي ونحن نَسْرَحُ من الجنة حيث شئنا ؟ فَفَعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يُتركوا مِنْ أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا »[٣].

---

(١) نكل: عن العمل ينكل بالضم: إذا جبن وفتر وضعف.

(٢) أخرجه أبو داود ٣/ ١٥، برقم ٢٥٢٠، وأحمد ١/ ٢٦٥، والحاكم ٢/ ٨٨، ٢٩٧-٢٩٨، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٥٠٢ برقم ١٨٨٧ .

وزاد الترمذي في إحدى رواياته: « وتُقْرِئُ نبينا السلام، وتُخْبِرُه أنْ قد رَضِينا، ورُضِيَ عنا »[١]. فهذا بعض ما ورد في سبب نزولها مما يوضح فضل شهداء أحد.

ثانياً: معنى هذه الآيات وبعض ما تضمنتها من الفوائد الدالة على علو مقام شهداء أُحد، ومن لم يلحق بهم بعد من الصحابة:

أ) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾:

١- الخطاب في ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ كما قال جمعٌ من المفسرين: يجوز أن يكون للنبي ﷺ تعليماً له وليعلِّمَ المسلمين، أو لكل من يتأتى له الخطاب[٢].

يقول الإمام الطبري في معنى هذه الآيات: « ﴿ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، يعني: الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿ أَمْوَٰتًۢا ﴾، يقول: ولا تحسبنهم يا محمد أمواتاً، لا يحسُّون شيئًا، ولا يلتذُّون ولا يتنعمون، فإنهم أحياء عندي، متنعمون في رزقي، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي، وحبَوْتهم به من جزيل ثوابي وعطائي »[٣].

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٢٣٢، حديث رقم ٣٠١١.

(٢) ينظر تفسير الرازي ٥/ ٩٧، وروح المعاني ٤/ ١٢١، والتحرير والتنوير ٤/ ١٦٥ .

(٣) تفسير الطبري ٦/ ٢٢٧- ٢٢٨ .

٢- وإذا كانت أرواح الأموات خالدة، فإن أرواح الشهداء تحيا حياة زائدة على هذا البقاء الثابت لأرواح جميع الناس، حياة أخص وأكمل[١].

ب) وأمـا قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، **ففيه من المعاني والفوائد :**

١- أن الله تعـالى جمـع لهؤلاء الشـهداء مسرة أخرى غـير مسرتهم بما لقـوا من الكرامة، وهي سرورهم بها « يتبين لهم من حُسْـن حال إخوانهم الذين تركوهم أحياء، وهو أنهم عند قتلهم في سبيل الله تعالى يفوزون كما فـازوا ويحـوزون من النعيم كـما حازوا »[٢] . فهذا نـوع آخر من إكرام الله تعالى لهم.

٢- وإذا ربطنا هذه الآية بما ورد في سبب نزولها، دلنا ذلك على ما كان بين هؤلاء الشهداء وأصحابهم رضي الله عنهم من شدّة التعلُّق وخلوص الأخـوة في الله تعالى، فقد رغِبَ هؤلاء الشـهداء أن يَبْلُغ إخوانَهم الأحياء

---

(١) يقـول الطاهـر بـن عاشـور في ذلـك: « وقد أثبـت القـرآن للمجاهدين موتـاً ظاهراً، بقولـه ﴿ قُتِلُوا۟ ﴾ ونفى عنهم المـوت الحقيقي، بقوله: ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فعلمنـا أنهـم وإن كانوا أموات الأجسـام فهم أحياء الأرواح حيـاة زائدة على حقيقة بقـاء الأرواح، غـير مضمحلة، بل هي حيـاة بمعنى تحقق آثار الحيـاة لأرواحهم من حصول اللذات والمدركات السارة لأنفسهم، ومسرتهم بإخوانهم، ولذلك كان قوله ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ دليلاً على أن حياتهم خاصة بهم ليسـت هي الحياة المتعارف عليها في العالم، أعني حياة الأجسام وجريان الدم في العروق، ونبضات القلب، ولا هي حياة الأرواح الثابتة لأرواح جميع الناس» . (التحرير والتنوير ٤/ ١٦٥-١٦٦) .

(٢) روح المعاني ٤/ ١٢٣، وينظر هذا المعنى في تفسير الطبري ٦/ ٢٣٦،

ما نالوه من الفضل والنعيم والدرجة العالية ليستمروا على ما هم عليه من الجهاد ولا يتوانوا عنه فيفوزوا بما فازوا كما جاء في رواية أبي داود وغيره أنهم قالوا: « **مَنْ يبلّغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكُلوا** [١] **عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم. قال: فأنزل الله:** ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾ »[٢].

٣- وهذه البشارة تدل أيضاً على كون الصحابة الذين لم يلحقوا بعد بشهداء أحد هم أُولياء لله تعالى، قد جمعوا بين الإيمان والتقوى، فقد نفى الله عنهم الخوف والحزن وهو ما لا يكون إلا لأوليائه تعالى، كما في قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] ، فما أعظمها من آيات تضمنت الشهادة لهم بالولاية لله، وحقَّقت نوعاً من البشرى التي تلحق الأولياء في حياتهم الدنيا، قُتلوا في سبيل الله أم لم يقتلوا [٣].

٤- وفي هذه الآية إشارة إلى بشرى أخرى، نص عليها الطاهر بن

---

(١) نكل عن العمل ينكل بالضم: إذا جبن وفتر وضعف، جامع الأصول ٩/ ٤٩٧ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٩١ .

(٣) يقول النيسابوري في تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٢٦): « يبشرهم الله بأن من تركوا خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيامة، فهم مستبشرون بأن لا خوف عليهم ». وينظر هذا الوجه، وهو عدم تقيد البشرى بالقتل في سبيل الله في تفسير الرازي ٥/ ٩٨، والقرطبي ٤/ ٢٧٥.

عاشـور رحمه الله، فقال: « وفي هذه الآية بشـارة لأصحـاب أُحد الأحياء بأنهم لا تلحقهم نكبة بعد ذلك اليوم »(1).

فقد أخرج البيهقي عن ابن شـهاب أن النبي ﷺ قال يوم أُحد: « **أَما إنّ المشركين لن يصيبوا منا مثلها أبداً** » (2).

وأخرج ابن سـعد عن الواقدي عن شـيوخه أن رسـول الله ﷺ قال: « **لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن** » (3).

ج) قوله تعالى: ﴿ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾:

هذا الاستبشار الثاني للشهداء إما أن يكون لتأكيد الاستبشار في الآية السابقة، وإما أن يكون استبشاراً خاصاً بهؤلاء الشهداء بعد أن استبشروا بإخوانهـم الذيـن لم يلحقوا بعـد بهم(4)، تكملة لبيان عظـم ما هم فيه من النعمة والسرور.

والمعنـى: أنهم « يفرحون بما حباهم به تعالى ذِكْـرُه مِن عظيم كراماته عند ورودهم عليه ... وبما أسـبغ عليهـم من الفضل وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله ﷺ وجهاد أعدائه »(5).

---

(1) التحرير والتنوير 160.

(2) دلائل النبوة 3/ 215.

(3) الطبقات الكبرى 2/ 44.

(4) ينظر تفسير أبي السعود 4/ 113، وفتح القدير 1/ 399.

(5) تفسير الطبري 6/ 238.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾: يعني كما أنه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء، كذلك لا يضيع أجر المؤمنين .

د) وفي هذه الآية بيان لعظم هذا الاستبشار وما هم فيه من السرور والكرامة والنعيم، وهذا مستفاد من تنكير قوله تعالى: ﴿بِنِعۡمَةٍ﴾ فهو تنكير للتفخيم، ومستفاد مِنْ وصفِ هذه النعمة بكونها كائنة (من الله) تعالى، الذي هو فخامة أخرى تؤكد الفخامة الأولى، وهي الفخامة الذاتية في النعمة، ومستفاد أيضاً من قوله تعالى: ﴿ وَفَضۡلٍ ﴾ أي زيادة عظيمة يؤتونها كما في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] .

فهذه بعض فوائد هذه الآية التي توضح فضل هؤلاء الشهداء وإخوانهم من الصحابة الذين لم يلحقوا بهم.

ثالثاً: سياق الآيات وربطها بما قبلها وما فيه من الفوائد:

المتأمل في سياق هذه الآيات وفي ربطها بما قبلها يجد أن فيها لوناً من ألوان كمال عناية الله تعالى برسوله ﷺ وبأصحابه، دالاً على علو مقامهم عنده.

بيان ذلك:

١ - أن هذه الآيات الثلاث نزلت تخفِّفُ عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه شدة الحزن على شهداء أُحد، فقد قُتل فيها من المسلمين سبعون

(١) ينظر ذلك في تفسير أبي السعود ٢/ ١١٣، وروح المعاني ٤/ ١٢٤ .

رجلاً[١]، ستةٌ من المهاجرين، منهم حمزة بن عبد المطلب عمُّ النبي ﷺ، ومصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وبقيتهم من الأنصار[٢].

٢- ونزلت هذه الآيات تَرُدُّ على تحزين المنافقين للمؤمنين، وترُدُّ على شماتتهم بهم، وذلك ببيان ما للشهداء عند الله من الكرامة، وأنهم ليسوا أمواتاً بل هم أحياء عند الله يرزقون، فإن رسول الله ﷺ لما خرج لقتال الكفار بأُحد رجع عبدُ الله بن أُبيّ بن سلول بثلث الجيش الخارج إلى أحد، منخذلاً هو وأصحابه عن رسول الله ﷺ، فلما حصل ما حصل شمت هؤلاء المنافقون بالمسلمين وأرادوا تحزينهم على قتلاهم بأنهم لو اتبعوا رأيهم ورجعوا عن الخروج إلى أحد لما حصل لهم ما حصل، كما جاء في قوله تعالى يصف المنافقين بأنهم: ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، فقال بعد هذه الآية مباشرة: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٨- ١٧١].

---

(١) روى الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٩) عن أبي بن كعب قال: «أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة». وينظر حديث أنس في صحيح البخاري ٤/ ١٤٩٧، رقم ٣٨٥٠، وحديث البراء بن عازب ٤/ ١٤٦٤، رقم ٣٧٦٤.

(٢) ينظر الطبقات الكبرى ٢/ ٤٤.

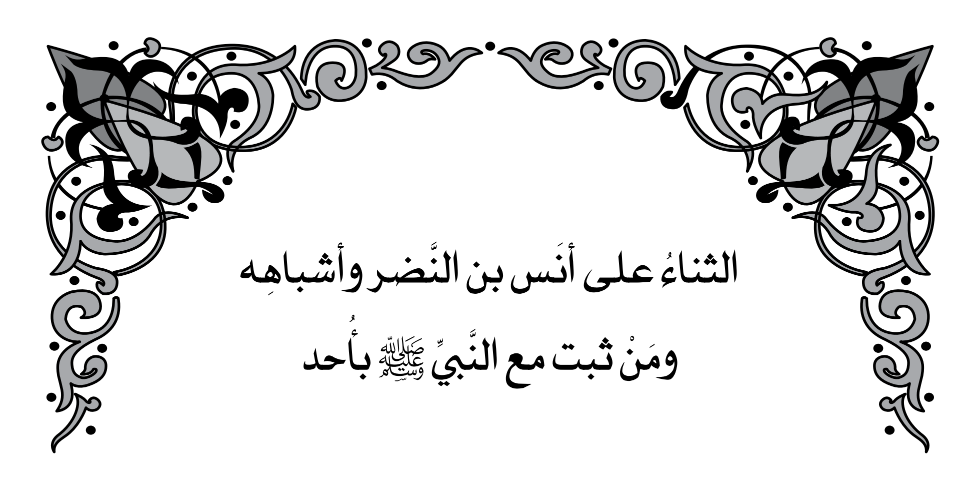
٣- وفي الآيـة وجـه ثالث من أوجه العناية بأصحاب رسـول الله ﷺ قريب من الوجه السابق، وهي أنها إجابة عن شُبْهةٍ من شُبَهِ المنافقين التي يثبطون بها المؤمنين عن القتال، ومحصِّل هذه الشـبهة: أن الجهاد يفضي إلى القتـل، والقتلُ شيءٌ مكروه، فينبغي على العاقـل التحرزُ منه، فرَدَّ اللهُ على المنافقـين هذه الشـبهة- كما ذكر الإمام الرازي حيـث قال-: « كيف يقال ذلـك والمقتولُ في سـبيل الله أحياه الله بعد القتل وخصّـه بدرجات القربة والكرامـة، وأعطاه أفضل أنواع الرزق، وأوصلـه إلى أجلِّ مراتب الفرح والـسرور؟! فـأيُّ عاقلٍ يقول إن مثـل هـذا القتل يكـون مكروهاً ! فهذا وجـه النظم في الآيـة »[١].

فدحضُ اللهِ تعالى هذه الشبهات التي أثارها المنافقون في حق الصحابة هو من أقوى دلالات العناية بأصحاب رسول الله ﷺ .

فهذه بعض المعاني والفوائد المتعلقة بسياق هذه الآيات الكريمات .



(١) تفسير الرازي ٥/ ٩١ .



الثناءُ على أنَس بن النَّضر وأشباهِه ومَنْ ثبت مع النَّبيِّ ﷺ بأُحد

يقول تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

هذه آية كريمة نزلت في أعقاب غزوة أُحد تخبر عن نموذج من كُمَّل المؤمنين هو غاية في العظمة، وهو نموذج رجال بذلوا غاية الجهد في الوفاء بما عاهدوا الله عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس ولو أفضى بهم إلى الموت، فتم لهم ذلك .

وقد دلّ سبب نزولها أنها نزلت في مدح جماعة من أصحاب النبي ﷺ منهم الصحابي الجليل أنس بن النضر رضي الله عنه وأشباهه من شهداء أحد، وفيمن حققوا العهد بما أظهروه من أفعالهم، وإن لم يستشهدوا فيها.

وسوف نتناول هذه الآية من خلال ثلاثة محاور: **الأول**: بيان معناها، **والثاني**: بعض ما ورد في سبب نزولها، **والثالث**: بعض ما فيها من الفوائد واللطائف، ثم نذكر ملحقاً ببعض ما ورد في ثبات النبي ﷺ في أحد،

وفي فضل من ثبت معه من المؤمنين، وبعض مواقفهم التي تبين فضلهم رضي الله عنهم .

أولاً: بيان معنى الآية الكريمة والمراد بالمؤمنين:

قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ .

المراد بالعهد هنا -كما هو الظاهر في هذه الآية-: عهدان: أحدهما خاصٌّ، والثاني أخصُّ[1].

فالخاص هو: الثبات عند لقاء العدو، وعدم الفرار مهما اشتدت الكروب، فيكون المعنى كما قال الآلوسي رحمه الله: « من المؤمنين رجال عاهدوا الله تعالى على الثبات والقتال إذا لقوا حرباً مع رسول الله ﷺ وحققوا ذلك وثبتوا »[2]. ويشهد له ما جاء في سبب نزولها.

والثاني: عهد في معنى السابق وهو أخص منه، وهو: معاهدة الله على الشهادة في سبيله من أقوام بعضهم شهد بدراً وبعضهم لم يشهدها، يقول الزمخشري وغيره: « وذلك أن رجالاً من الصحابة نَذَرُوا أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا، وقاتلوا حتى يُسْتَشْهَدُوا، وهم: عثمان ابن عفان، وطلحة، وسعيد بن زيد، وحمزة، ومصعب، وأنس بن النضر، وغيرهم رضوان الله عليهم »[3].

---

(١) وهو ما تدل عليه كثير من أقوال المفسرين، وما جاء فيها يتعلق بها من الأحاديث .

(٢) روح المعاني ٢١/ ١٧٢، وينظر تفسير الطبري ١٩/ ٦١ .

(٣) الكشاف ٣/ ٥٣٢، وتفسير أبي السعود ٧/ ٩٨ .

كان ممن شهد بدراً من هؤلاء: حمزة ومصعب. ومن لم يشهدها منهم: عثمان، وطلحة=

وكلا العهدين ظاهر في هذه الآية. ويجمع ذلك أنهم رجال من المؤمنين ثبتوا في وجه العدو يوم أُحُد[١].

وقيل: **المراد بالعهد عهد عام، وهو الاستقامة التامة، ومطلق الطاعة لله ولرسوله**، ويدخل العهد الخاص دخولاً أولياً في هذا العهد[٢]. يقول ابن عطية رحمه الله: « فالشهداء منهم، والعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة منهم، إلى من حصل في هذه المرتبة ممن لم يُنص عليه »[٣].

ثم هؤلاء الذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه فريقان: فريق قضى نَحْبَه وفريق ينتظر، وكلاهما في نفس المنزلة من الصدق[٤].

والمقصود بالنَّحْب في قوله تعالى ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ : النذر والعهد[٥]. فالمعنى على ذلك كما يقول القرطبي أي: « منهم من بذل

= وسعيد بن زيد، وأنس بن النضر. فأما عثمان فكان يقوم على مداواة زوجته رقية ابنة رسول الله ﷺ بإذنه، وأما طلحة وسعيد فكانا بالشام وقت بدر، وضرب النبي ﷺ لهؤلاء الثلاثة بسهمهم في بدر، وأخبرهم أيضاً بأجرهم، وأما أنس بن النضر فلم يخرج ككثير غيره لأن الخروج إليها لم يكن حتماً على الجميع، ولم يظنوا أن المسلمين سيلقون قتالاً. ينظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام: جريدة من شهد بدراً من المسلمين (٢/ ٣٥٧- ٣٦٢).

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢١/ ٣٠٧.
(٢) ينظر روح المعاني ٢١/ ١٧٢، وينظر الأقوال في المراد بالعهد في زاد المسير ٦/ ٣٧١.
(٣) المحرر الوجيز ١٢/ ٤٠.
(٤) ينظر السابق، ونظم الدرر ١٥/ ٣٢٧.
(٥) وهو ما اختاره أكثر المفسرين: يقول القرطبي ١٤/ ١٦٠: « والمعني في هذا الموضع بالنحب النذرُ». وهو « الذي يقتضيه ظاهر بعض الأخبار» كما ذكر الآلوسي في روح المعاني ٢١/ ١٧٠. وينظر تفسير ابن كثير ٦/ ٣٩٢، والتحرير والتنوير ٢١/ ٣٠٨.

جهده على الوفاء بعهده حتى قُتل، مثل حمزة وسعد بن معاذ[١] وأنس بن النضر وغيرهم، ومنهم من ينتظر الشهادة »[٢].

وقيل المراد بالنَّحْب: الموت[٣]، فيكون المعنى: « أي مات على ما عاهد الله عليه »[٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ أي: « ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصره أو الشهادة على ما مضى عليه أصحابه »[٥]. أو مقيم على مطلق المتابعة الكاملة [٦].

يقول الشوكاني رحمه الله تعالى: « ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ قضاء نحبه حتى يحضر أجله كعثمان بن عفان وطلحة والزبير وأمثالهم، فإنهم مستمرون على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله ﷺ والقتال لعدوه، ومنتظرون لقضاء حاجتهم وحصول أمنيتهم بالقتل وإدراك فضل الشهادة »[٧].

ومعنى قوله تعالى ﴿ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾: أي حافظوا على العهد، فما

(١) لعل صوابه سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه .
(٢) تفسير القرطبي ١٤/ ١٦٠.
(٣) جامع الأصول ٩/ ٥ .
(٤) تفسير القرطبي ١٤/ ١٦٠.
(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٦٢، عن يزيد بن رومان .
(٦) نظم الدرر ١٥/ ٣٢٩ .
(٧) فتح القدير ٤/ ٢٧٢، وينظر نحوه في تفسير أبي السعود ٧/ ٩٨ .

أوقعوا شيئاً من تبديل بفَتْرةٍ أو توانٍ، وثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون [١].

يقول ابن كثير رحمه الله: « وما غيَّروا عهدهم، وبدَّلوا الوفاء بالغدر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا: ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ﴾ [الأحزاب:١٥]» [٢].

ثانياً: ما ورد في سبب نزول هذه الآية:

نزلت هذه الآية في بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وقد جاء في ذلك روايات عدة، منها:

١ - أنها نزلت في أنس بن النضر رضي الله تعالى عنه، وأشباهه ممن لم يشهدوا بدراً، وعاهدوا فوفوا في أحد ونالوا الشهادة:

- فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: « يا رسول الله غِبتُ عن أوّل قتالٍ قاتلتَ المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ». فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون قال: « اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء

(١) ينظر نظم الدرر ١٥/ ٣٢٩، وروح المعاني ٢١/ ١٧٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٩٥، وينظر تفسير الطبري ١٩/ ٦٧ .

يعنـي أصحابه، وأبرأُ إليـك مما صنع هؤلاء يعني المشركـين»[١]. ثم تقدّم فاستقبله سعدُ بن معاذ فقال: « يا سـعد بن معاذ، الجنةَ وربِّ النضر، إني أجـد ريحها مـن دون أُحد »، قال سـعد: « فما استطعتُ يا رسـول الله ما صَنعَ ». قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسـهم، ووجدناه قد قُتل وقد مَثَّلَ به المشركون، فما عرفه أحد إلا أختُه ببنانه. قال أنس: كنّا نُرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ﴾. إلى آخر الآية »[٢].

٢- ومنهـم طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه، وهو ممن لم يشـهد بدراً، وعاهد فوفى في أحد ولم ينل الشهادة فيها:

فقـد صرح النبـي ﷺ أنه منهـم، وهو « أحد العـشرة المبشرين بالجنة - ولم يقتل في حياة النبي ﷺ - فقد ثبت مع النبي ﷺ في أُحد، وفعل ما لم يفعله غيره: لزم النبيَّ ﷺ فلم يفارقه، وذَبّ عنه، ووقاه بيده حتى شلت إصبعه، فشهد النبي ﷺ أنه قضى نحبه »[٣].

- فعن موسـى وعيسـى ابني طلحـة عن أبيهما طلحـة: أن أصحاب

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/ ٢٣: « قال الزين بن المنير: من أبلغ الكلام وأفصحه قول أنس بن النضر في حق المسـلمين (أعتذر إليك) وفي حق المشركين (أبرأ إليك) فأشار إلى أنه لم يرض الأمرين جميعاً مع تغايرهما في المعنى ».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١٠٣٢، برقم ٢٦٥١.

(٣) نظـم الدرر ١٥/ ٣٢٨-٣٢٩، وينظر معرفة الصحابة لأبي نعيم ١/ ٩٦، حديث رقم ٣٩٧، وما بعده.

رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاهل: سله عمّن قضى نحبه مَن هو ؟ وكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه، فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثُمَّ إني اطَّلعت من باب المسجد وعليَّ ثياب خُضر، فلمَّا رآني رسول الله ﷺ قال: « **أين السائل عمّن قضى نحبه؟** »، قال: أنا يا رسول الله، قال: « **هذا ممن قضى نحبه** »[1].

- وعن موسى بن طلحة قال: كنا عند معاوية فقال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: « **طلحة ممن قضى نحبه** »[2].

٣- وممن نزلت فيهم: مصعب بن عمير رضي الله عنه، وهو ممن شهد بدراً واستشهد في أحد[3]:

- فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: لما فرغ رسول الله ﷺ يوم أحد مر على مصعب الأنصاري مقتولاً على طريقه فقرأ: ﴿ **مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٣٥٠، برقم ٣٢٠٣، ٥/ ٦٤٥، برقم ٣٧٤٢. وأبو يعلى ٢/ ٢٦، برقم ٦٦٣ .

(٢) أخرجه الترمذي ٥/ ٣٥٠، برقم ٣٢٠٢، وابن ماجه ١/ ٤٦، برقم ١٢٦، ١٢٧، واللفظ له. وروى أبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ٩٦، رقم ٣٦٩ وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٤٣٩، برقم ٦٩٨٠ وغيرهما: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: « كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد، قال: ذاك كله يوم طلحة، أتينا طلحة في بعض تلك الجفار، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر، بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه »، وهذا لفظ أبي نعيم. وسنده ضعيف .

(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول ١٢/ ٨١٥: « وفيه نزلَ ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ ».

(٤) أخرجه الحاكم ٣/ ٢٠٠، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٠٧ - ١٠٨، وصححه الذهبي .

ثالثاً: بعض ما في هذه الآية من المعاني والفوائد واللطائف التي تبين فضل أصحابها:

من هذه المعاني والفوائد:

١ - أن الله تعـالى وصفهم بأنهم رجال، وفي ذلك إشـارة إلى قوتهم في دينهـم وشـدة عزمهـم وصبرهـم، وفي هـذا الوصف - أيضـاً - كما يقول الطاهر بن عاشور: « زيادة في الثناء ؛ لأن الرَّجُل مشتق من الرِّجْل، وهي قوة اعتماد الإنسـان، كما اشـتق الأيد من اليد »[١]. والتنوين في قوله تعالى ﴿ رِجَالٌ ﴾ تنويـن للتعظيـم، يقـول البقاعي: « أي رجـال في غاية العظمة عندنا»[٢] .

٢ - ومنهـا أن الله أخبرنـا بحقيقة ما في قلوبهـم من الصدق، وبما يدل عـلى اشـتياقهم للشـهادة في سـبيله، فهي شـهادة قطعية مـن الله تعالى لهم رضي الله عنهم .

يقول الآلوسي رحمه الله: « وفي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظَر شـهادةٌ حقّةٌ بكمال اشتياقهم إلى الشـهادة »[٣] . فهذا بعض ما كان عليه هذا الفريق، وما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ عامة.

٣- وفي قوله تعالى في حق الجميع: ﴿ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبۡدِيلٗا ﴾ فوائد:

---

(١) التحرير والتنوير ٢١/ ٣٠٧ .

(٢) نظم الدرر ١٥/ ٣٢٧ .

(٣) روح المعاني ٢١/ ١٧٢ .

الأولى: أن الله نفى عن الفريقين أي تبديل أو تغيير، نفياً مؤكداً ؛ لأن قوله تعالى: ﴿ تَبْدِيلًا ﴾ مصدر، والمصدر جاء ليدل على العموم، وأما تأكيد النفي فإنه مفعول مطلق مؤكد لـ(بدلوا) المنفي[١].

والفائدة الثانية: تساوي الفريقين في الصدق كما ذكرنا .

والثالثة: بشرى وشهادة للفريق المنتظر بأنه سيحافظ على العهد حتى يلحق بالسابقين الذين قضوا نحبهم.

يقول العلامة الدكتور محمد محمد أبو موسى في بيان ذلك: « وقد أخبر عن الفريق الذي قضى نحبه بعدم التبديل مع أنه ظاهر، ليشير بجمع الفريقين في ضمير واحد[٢] إلى المساواة بينهما، والإشعار بأن هؤلاء سيلحقون بهم عند ربهم، وما نكثوا عهداً، وما حرفوا قولاً »[٣].

٤ – وقوله تعالى: ﴿ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ كما جيء به لمدح هؤلاء المؤمنين،

---

(١) ينظر: من أسرار التعبير القرآني لمحمد محمد أبو موسى ص ١٨١، والتحرير والتنوير ٢١/٣٠٨ .

(٢) وهو واو الجماعة في قوله تعالى: (بدلوا) .

(٣) من أسرار التعبير القرآني ص ١٨٢ .

وقد ذكر الآلوسي رحمه الله هذه المعاني في تفسيره (٢١/ ١٧٢) فقال: « وما بدلوا عهدهم وما غيروه تبديلاً، لا أصلاً ولا وصفاً، بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون. أما الذين قضوا فظاهر، وأما الباقون فيشهد انتظارهم أصدق شهادة، وتعميم عدم التبديل للفريق الأول مع ظهور حالهم للإيذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ».

جـيء بـه أيضاً -كما ذكر المفـسرون- تعريضاً بذم أهل النفـاق[١]. وليس معناه - والله أعلم - أن غيرهم من المؤمنين بدَّل- حاشاهم ذلك - يقول الطاهـر بـن عاشـور رحمـه الله: « قولـه ﴿ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ فهـو في معنى ﴿ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ﴾، وإنما ذُكر هنا للتعريض بالمنافقين الذين عاهـدوا الله لا يولُّون الأدبـار ثم ولوا يوم الخنـدق فرجعوا إلى بيوتهم في المدينة »[٢].

٥- ومن فوائد هذه الآية: أن فيها إشارة إلى فضل أهل غزوة الأحزاب، فهـي وإن نزلـت في أهل غـزوة أحد، فـإن ورودها في سـياق آيات غزوة الأحزاب - التي كفى الله فيها المؤمنين القتال بإرسال الريح على المشركين ففرقتهم وولوا هاربين - يشير إلى مدح أهل هذه الغزوة وأنهم ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه، بثباتهم واستعدادهم للقاء العدو الكثير وعزمهم على بذل أنفسـهم، وكيف لا وقد قابلوا هذا الجمع الكبير من الأحزاب بصبر وثبـات كما قـال تعـالى: ﴿ **وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا** ﴾ [الأحزاب: ٢٢]. ولكـن صِدْق أهل غزوة أحد كان بالنية والعمل معاً، وصدق هؤلاء كان بالنية والاستعداد[٣].

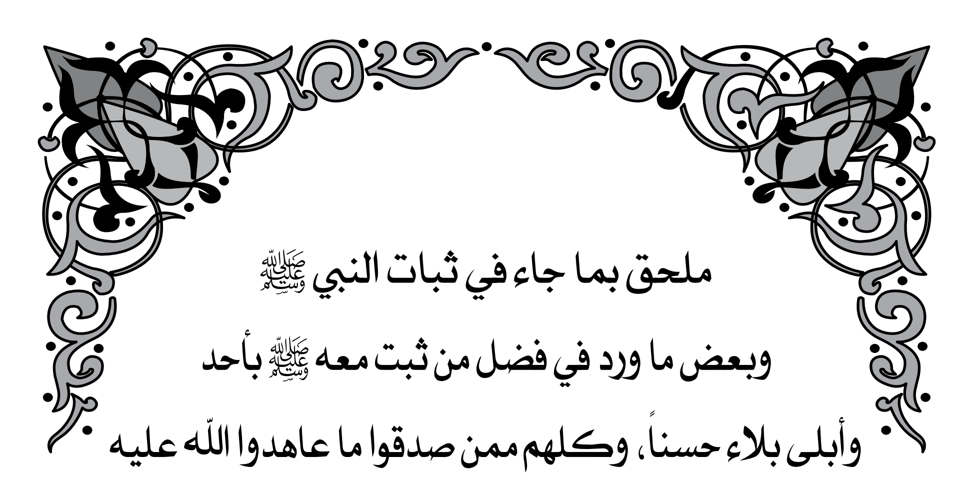
فهـذه بعـض المعـاني والفوائد في هــذه الآية، وكلها دالـة على فضل هؤلاء الأصحاب رضي الله عنهم، والمتأمل يجد الكثير.

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٦٠، وتفسير ابن كثير ٦/ ٣٩٥، ونظم الدرر ١٥/ ٣٢٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢١/ ٣٠٨.

(٣) ينظر قريب من هذا المعنى في التحرير والتنوير ٢١/ ٣٠٦- ٣٠٧.



ملحق بما جاء في ثبات النبي ﷺ وبعض ما ورد في فضل من ثبت معه ﷺ بأحد وأبلى بلاء حسناً، وكلهم ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه

أولاً: ذِكْرُ ثباتِ النبيِّ ﷺ في غزوة أحد وما ناله من شدة الأذى:

روى البيهقي في دلائل النبوة من طريق الواقدي « عن المقداد بن عمرو رضي الله عنه فذكر حديثاً في يوم أحد وقال: فأوجعوا والله قتلاً ذريعاً، ونالوا من رسول الله ﷺ ما نالوا، ألا والذي بعثه بالحق إنْ زال رسول الله ﷺ شبراً واحداً[١]، وإنه لفي وجه العدو، ويفيء إليه طائفة من أصحابه مرة، وتفترق مرة عنه، فربما رأيته قائماً يرمي عن قوسه، ويرمي بالحجر حتى تحاجزوا، وثبت رسول الله ﷺ في عصابة ثبتت معه »[٢].

وقال الواقدي في المغازي في قتال النبي ﷺ وثباته: « وباشر رسول الله ﷺ القتال فرمى بالنَّبل حتى فنيت نَبله، وتكسرت سِيَةُ قوسه[٣]، وقبل

(١) أي: ما زال ولا تحرك عن مكانه .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٦٤ .

(٣) سِيَةُ القَوْسِ: مخففاً: ما عُطِف من طَرَفيها إلى موضع الوتر، والقوس لها سِيَتان. ينظر النهاية مادة (سيه) والجامع لابن الأثير ٨/ ٣٦٧ .

ذلك انقطع وتره وبقيت في يده قطعة تكون شبراً في سِيَةِ القوس، وأخذ القوس عكاشة بن محصن يوتره له، فقال: يا رسول الله، لا يبلغ الوترُ. فقال رسول الله ﷺ: « **مُدَّه يبلغ** » قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحق لمددته حتى بَلَغَ، وطويت منه ليّتين أو ثلاثاً على سِيَة القوس، ثم أخذ رسول الله ﷺ قوسه فما زال يرمي القوم وأبو طلحة أمامهم يستره مترساً عنه حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت، فأخذها قتادة بن النعمان »[١].

وفي هذه الغزوة قَتَل النبيُّ ﷺ من المشركين عدوَّ الله أُبيّ بن خَلَف، وعمرو بن عبد الله بن عُمير بن حذافة الجُمَحي[٢].

فعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: « أقبل أُبي بن خلَف يوم أحد إلى النبي ﷺ يريده فاعترض رجال من المؤمنين فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أُبيٍّ من فُرْجة بين سابغة الدرع والبَيْضة فطعنه بحربته فسقط أُبيّ عن فرسه[٣] ولم يخرج من طعنته دم فكسر ضلعاً من أضلاعه فأتاه أصحابه

(١) المغازي ١/ ٢٤٢ .

(٢) ينظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام ٣/ ٣٩، ٩٦: ذكر قتلى المشركين بأحد .

(٣) من الفائدة أن نذكر رواية ابن هشام في سيرته (٣/ ٣٩) عن ابن إسحاق في قصة قتل النبي ﷺ أبيّ بن خلف، ففيها تسمية لمن كان مع النبي ﷺ في هذا الموقف، وحال النبي ﷺ من شدة التعب، وكيف أعان الله نبيه ﷺ مع شدة تعبه، قال: « فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ - [أي رأوه وعرفوا أنه لا زال حياً]- نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، رضوان الله عليهم، والحارث بن الصِّمّة ورهط من المسلمين. لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أُبي بن خلف =

وهـو يخور خُـوار الثور فقالوا له: مـا أعجزَك، إنما هو خـدش! فذكر لهم قول رسـول الله ﷺ: بل أنـا أقتل أُبيّاً، ثم قال: والـذي نفسي بيده لو كان هـذا الـذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين. فمات أُبيّ إلى النّار - فسـحقاً لأصحاب السعير - قبل أن يقدم مكة »[(١)].

وأمّـا ما جاء فيـما أصاب النبـي ﷺ فيها من الجـراح والأذى واتفاق جماعـة مـن المشركين عـلى قتله واجتماعهـم عليه ﷺ: فقـد روى البيهقي من طريق الواقدي عن نافع بن جبير قال: « سمعت رجلاً من المهاجرين يقول: شهدت أُحداً فنظرت إلى النَّبْل يأتي من كل ناحية، ورسول الله ﷺ وسـطها، كل ذلك يُـصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شـهاب الزهري يقـول يومئـذ: دلوني على محمـد، فلا نجوت إن نجا، ورسـول الله ﷺ إلى جنبـه ما معه أحد، ثم جـاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال: والله ما رأيته،

= وهـو يقـول: أي محمد، لا نجـوتُ إنْ نجوتَ، فقال القوم: يا رسـول الله، أيعطف عليه رجل منّا ؟ فقال رسـول الله: « **دعوه** »، فلما دنا تناول رسـول الله ﷺ الحربة من الحـارث بـن الصمة، يقول بعـض القوم فيما ذكـر لي: فلما أخذها رسـول الله ﷺ منه انتفـض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشـعراء عن ظهر البعـير إذا انتفض بها - قال ابن هشـام: الشـعراء ذُباب له لدغ - ثم اسـتقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسـه مراراً . قال ابن هشـام: تدأدأ يقول تقلب عن فرسـه فجعل يتدحرج ». وينظر مغازي الواقدي ١/ ٢٥١ .

(١) مسـتدرك الحاكم ٢/ ٣٢٧، وقال الذهبي: « على شرط البخاري ومسـلم ». وأخرجه ابـن أبي شـيبة في المصنـف (١٤/ ٤٠٣) عـن عكرمة بنحوه وفيـه أن النبي ﷺ رماه بالحربة بعد أن شُـج في وجهه، وكسرت رباعيته، وذَلِقَ من العطش، حتى جعل يقع على ركبتيه.

أحلـف بالله إنه منا ممنوع، خرجنا أربعـة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله، فلم نَخلُص إلى ذلك » [١].

وقال ابن سـعد: « ونالوا من رسـول الله ﷺ ... وعـلاه ابن قميئة[٢] بالسـيف فضربه على شـقه الأيمن واتقاه طلحة بن عبيد الله بيده فشـلت إصبعـه، وادعـى ابـن قَمِيئة أنه قـد قتلـه، وكان ذلك مما رعب المسـلمين وكسرهم»[٣].

وروى البخاري ومسـلم عن سهل رضي الله عنه: أنه سئل عن جرح النبـي ﷺ يـوم أحـد فقال: « جـرح وجه النبـي ﷺ وكـسرت رَبَاعيته[٤] وهشمت البيضة[٥] على رأسه »[٦].

ورمى عتبـةُ بن أبي وقاص النبيَّ ﷺ بأربعة أحجار فكسرت رَبَاعيته وأدمـت شـفتيه، وذلـك حين عـلاه ابـن قَمِئَة بالسـيف فوقـع في إحدى الحفـرات المخبأة التي حفرت كفخ للمسـلمين وهو لا يشـعر أنها حفرة،

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٦٤ .

(٢) كـذا في الطبقـات، قـال الحافظ ابن حجـر في مقدمة الفتـح (ص ٢٧٨): « عبد الله أو عمـرو بن قمئة ». وهو ليثي، وهو بخلاف عمرو بن قميئة بن ذريح الثعلبي البكري الشاعر الجاهلي .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/ ٤٢ .

(٤) قـال الحافـظ ابن حجر في الفتح (١٢/ ٤٠١): « والمراد بكسر الرَّباعية –وهي السـن التي بين الثنية والناب– أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها ».

(٥) البيضة: أي الخوذة .

(٦) صحيح البخاري ٣/ ١٠٦٦، برقم ٢٧٥٤، ومسلم ٣/ ١٤١٦، برقم ١٧٩٠ .

فأوهنـت هذه الوقعة ضربة ابـن قَمِئَة، ودخلت حلقتا المِغْفَر[١] في وجنتي النبيِّ ﷺ[٢]، وجُحِشـت ركبيته[٣]، واشـتد به العطش، وكل ذلك أنهك النبي ﷺ[٤]، فقد روى الواقدي عن أبي بشير المازني قال: « حضرتُ يوم أحـد وأنا غـلام، فرأيت ابن قميئة علا رسـول الله ﷺ بالسـيف، فرأيت رسول الله ﷺ وقع على ركبتيه في حفرة أمامه حتى توارى، فجعلت أصيح - وأنـا غـلام - حتى رأيت النـاس ثابوا إليـه. قال: فأنظـر إلى طلحة بن عبيد الله آخذاً بحضنه حتى قام رسول الله ﷺ »[٥].

---

(١) المغِفْر: زَرَدٌ - أي حلق - ينسـج من الدروع على قدر الرأس وقيل هو رفرف البيضة. وقيل: حلق يتقنع بها المتسـلح ويسـتر بها وجهه غير عينيه. ينظر فتح الباري ٦/ ٦٩، والقاموس المحيط (غفر).

(٢) يقـول أبـو بكـر رضي الله عنـه - لمـا لحـق بالنبي ﷺ - في حـق أبي عبيدة بـن الجراح: « وذهبت لأنزع ذلك - [أي الحلقتين] - من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقـي لَمَا تركتني، فتركته، فكره أن يتناولهـما بيده فيؤذي النبي ﷺ، فأَزَم عليهما بفيه، فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثَنِيَّتُهُ مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع، فقال: أقسـمت عليـك بحقي لمـا تركتني، قـال: ففعل مثل مـا فعل في المـرة الأولى فوقعت ثَنِيَّتُهُ الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة من أحسـن الناس هتماً ». الدلائل للبيهقي ٣/ ٢٦٣ ، وبنحوه في مسند أبي داود الطيالسي ص ٣، والحلية ٨/ ١٧٤. وأَزَم: يعني عض بفمه كله شديداً. ينظر القاموس المحيط (أزم).

(٣) ينظر المغازي ١/ ٢٤٤.

(٤) روى ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤٣٩، حديث رقم: ٦٩٨٠) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في شـدة إنهاك النبي وطلحة مما لقيا، قال: « وكان طلحة أشـد نهكة من رسول الله ﷺ، وكان نبي الله ﷺ أشد منه ».

(٥) المغازي ١/ ٢٤٤.

وأخـرج الترمـذي عـن عبد الله بـن الزبير بـن العوام قـال: كان على النبي ﷺ درعان يوم أحد فنهض إلى الصخرة فلم يسـتطع، فأقعد طلحة تحتـه وصَعِد النبـيُّ ﷺ عليه حتى اسـتوى على الصخرة، فقال: سـمعت النبي ﷺ يقول: « **أَوْجَبَ طَلْحَةُ** »[١].

قال الحافظ ابن حجر فيما أصاب النبي من الأذى في أُحد: « ومجموع مـا ذكر في الأخبار أنه شُـجّ وجهه، وكُـسِرت رَباعيَتـه، وجُرحت وَجنته وشـفته السـفلى من باطنها، ووهي مَنكِبه من ضربة ابن قَمِئَة، وجُحِشت ركبته، وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: (ضرب وجه النبيِّ ﷺ يومئذ بالسـيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها) وهذا مرسل قوي ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة في الكثرة » [٢].

فهـذا بعض ما نال النبيَّ ﷺ في هـذه الغزوة من الأذى، وكيف صبر ﷺ وثبت.

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٢٠١، برقم ١٦٩٢، ٥/ ٦٣٤، برقم ٣٧٣٨،وأخرجه الحاكم بنحوه ٣/ ٢٥،وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقد نهض النبي إلى الصخرة التي هناك يستوي عليها وينظر إلى الكفار ويشرف على الأبرار. ومعنى « **أوجب طلحة** »: أي الجنة بعمله هذا، أو بما عمل في ذلك اليوم... ينظر تحفة الأحوذي ٥/ ٣٤١.

(٢) فتح الباري ٧/ ٣٧٢ .

ثانياً: بعض ما ورد في فضل من ثبت مع النبي ﷺ بأحد وأبلى فيها بلاء حسناً .

أ) تمهـــيد:

يقول الواقدي رحمه الله في غزوة أحد بعد أن دارت الدائرة فيها على المسلمين: « ثبت رسول الله ﷺ كما هو في عصابة صبروا معه أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار: أبو بكر، وعبد الرحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام، ومن الأنصار: الحباب بن المنذر، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصِّمة، وسهل بن حُنيف، وأُسيد بن حضير، وسعد بن معاذ. ويقال: ثبت سعد بن عُبادة، ومحمد بن مسلمة، فيجعلونهما مكان أُسيد بن حضير وسعد بن معاذ.

وبايعه يومئذ ثمانية على الموت: ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار: علي، والزبير، وطلحة رضي الله عنهم، وأبو دجانة، والحارث ابن الصِّمّة، وحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف، فلم يقتل منهم أحد... »[1] .

(١) المغازي ١/ ٢٤٠، وروى نحو ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/ ٧٠) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني سعد بن عبادة قال: « بايع رسول الله ﷺ عصابة من أصحابه على الموت يوم أحد حين انهزم المسلمون فصبروا ولزموا وجعلوا يسترونه بأنفسهم، يقول الرجل منهم: نفسي لنفسك الفداء يا رسول الله، وجهي لوجهك الوقاء يا رسول الله، وهم يحمونه ويقونه بأنفسهم، حتى قُتل منهم من =

وروى الطبراني عن ابن عباس: أن ابن مسعود ثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ[١].

وقال الواقدي في رواية أخرى يذكر عددهم: « وحدثني عتبة بن جبيرة عن يعقوب بن عمرو بن قتادة قال: ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلاً كلهم يقول: وجهي دون وجهك، ونفسي دون نفسك، وعليك السلام غير مودَّع »[٢].

وروى ابن سعد نحو ما روى الواقدي بسنده عن سفيان بن عيينة قال: « لقد أصيب مع رسول الله ﷺ يوم أحد نحو من ثلاثين كلهم يجيء حتى يجثو بين يديه، أو قال: يتقدم بين يديه، ثم يقول: وجهي لوجهك الوِقاء، ونفسي لنفسك الفداء، وعليك سلام الله غير مودَّع »[٣].

فهذا بعض ما ورد في عدد من ثبت مع النبي ﷺ، وقد اختلف عددهم باختلاف الأحوال، لأن بعضهم تبع بعضاً في اللحاق بالنبي ﷺ، وبعضهم استُشهد، وبقي من لم يقتل منهم مع النبي ﷺ فانفرد

= قُتل، وهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والزبير، وطلحة، وسعد، وسهل بن حنيف، وابن أبي الأقلح، والحارث بن الصمة، وأبو دجانة، والحباب بن المنذر...».

(١) ينظر المعجم الكبير ٩/ ٩٥، حديث رقم ٨٥١٥ .

(٢) المغازي ١/ ٢٤١ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/ ٤٦، ويحتمل أن يكون هذا الأثر متصلًا عن سفيان عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد رضي الله عنه أو غيره . وهو سند الحديث الذي قبله، والله أعلم.

في رجل أو رجلين، ثم لحق بهم آخرون بعد أن كانوا مشغولين بالقتال والذَّبِّ عن أنفسهم[١].

ب) بعض الروايات في مواقف هؤلاء الأبطال رضي الله عنهم:

١- من هؤلاء الأبطال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه:

فقد أخرج ابن أبي شيبة عن عُمير بن إسحاق قال: « كان حمزة يقاتل بين يدي رسول الله ﷺ يوم أحد بسيفين ويقول: أنا أسد الله، قال: فجعل يقبل ويدبر، فعثر فوقع على قفاه مستلقياً وانكشط وانكشفت الدرع عن بطنه، فأبصره العبد الحبشي فزَرَقه برمح أو حربة فبقره بها »[٢].

---

(١) ينظر ذلك في الفتح ٧/ ٣٦٠، ويقول الحافظ ابن حجر في موضع آخر (٧/ ٣٦٢) في الجمع بين الروايات في عدد من ثبت مع النبي ﷺ بأحد: « والواقع أنهم -[أي الصحابة]- صاروا ثلاث فرق: فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال، وهم قليل، وهم الذين نزل فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قُتل فصار غاية الواحد منهم أن يذبّ عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل، وهم أكثر الصحابة، وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ ثم تراجع إليه القسم الثاني شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه حيّ ...، وبهذا يجمع بين مختلف الأخبار في عدة من بقي مع النبي ﷺ ».

(٢) المغازي ص ٢٢١، وأخرجه الحاكم مختصراً دون قصة قتله .

٢- ومن هؤلاء الأبطال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه عبد الله بن جَحش الأسدي، أخو زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ:

- فعن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال: « حدثني أبي: أن عبد الله بن جحش قال يوم أُحد: ألا تأتي ندعو الله؟ فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقينا القوم غداً فلقِّني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرَدُه فأقاتله فيك ويقاتلني، ثم ارزقني عليه الظَّفَر حتى أقتله وآخذ سَلَبه. فقام عبد الله بن جحش ثم قال: اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً حرَدُه شديداً بأسه أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك غداً قُلتَ: يا عبد الله فيمَ جُدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيكَ وفي رسولك، فيقول: صدقتَ. قال سعد بن أبي وقاص: يا بُني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار وإن أذنه وأنفه لمعلقان في خيط »[١].

٣- ومنهم أبو دجانة الذي أخذ سيف رسول الله ﷺ بحَقِّه:

- فعن أنس رضي الله عنه: « أنَّ رسولَ الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحُد، فقال: « **مَن يأخذُ مني هذا؟** » فبسطوا أيديَهم - كلُّ إنسان منهم يقول: أنا،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٧٦، والبيهقي في الكبرى ٦/ ٣٠٧، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٠٩، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ في فتح الباري ٦/ ٢٤٨. وقال الهيثمي: « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ». (مجمع الزوائد ٩/ ٣٠١).

أنا – فقال: « **فمن يأخذه بحقّه؟** » فأَحْجَم القومُ، فقال سِماك بن خَرَشَة، أبو دُجَانَة: أَنا آخُذُه بحقِّه، قال: فأخذه فَفَلَقَ به هَامَ المشركين »[١].

٤– ومنهم جماعة من الأنصار:

– فعن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أُفرِدَ يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رَهِقوه[٢] قال: « **مَنْ يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة** ». فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، ثم رَهِقوه أيضاً فقال: « **مَنْ يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة**». فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: « **ما أنصفنا أصحابنا** »[٣].

– وعن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « لما كان يومُ أُحد وولَّى الناسُ، كان رسولُ الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً من الأنصار، فيهم طلحةُ بنُ عبيد الله، فأدركهم المشركون، فالتفتَ رسولُ الله ﷺ وقال: « **مَنْ للقوم ؟** » فقال طلحةُ: أنا، فقال رسولُ الله ﷺ: « **كما أنتَ** »، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسولَ الله، فقال: « **أنتَ** »، فقاتل حتى قُتل.... ثم التفت فإذا المشركون فقال: « **مَنْ للقوم؟** » فقال طلحةُ:

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٩١٧، برقم ٢٤٧٠، وابن أبي شيبة في المغازي ص ٢٣٢ .

(٢) أَي: قربوا مِنْه، ومنه المُرَاهِق وهو الذي قَارب الحُلُمَ. (تفسير غريب ما في الصحيحين لمحمد بن فتوح الميورقي الحميدي ص ٢٦٥) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤١٥، برقم ١٧٨٩ . وابن أبي شيبة في المغازي ص٢٣٤ مختصراً.

أنا، قال: « **كما أنت** »، فقال رجل من الأنصار: أنا، فقال: « **أَنتَ** »، فقاتل حتى قُتل، ثم لم يزل يقول ذلك ويخرج إليهم رجل من الأنصار فيقاتل قتال مَنْ قَبْله حتى يقتل حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحةُ بن عبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: « **مَنْ للقوم؟** » فقال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحَدَ عَشر حتى ضُربت يده فقُطعت أصابعُه فقال: حَسِّ[1]، فقال رسول الله ﷺ: « **لو قلت بسم الله لَرَفَعَتْكَ الملائكةُ والناسُ ينظرون** ». ثم رد الله المشركين »[2].

– وروى الواقدي عن يعقوب بن عمرو بن قتادة: « أن رسول الله ﷺ لما لَحَمَه القتالُ وخَلُصَ إليه وذَبَّ عنه مصعب بن عمير وأبو دجانة حتى كثرت به الجراحة جعل رسول الله ﷺ يقول: « **مَنْ رجل يشري نفسه ؟** » فوثب فئة من الأنصار خمسة: منهم عمارة بن زياد بن السكن فقاتل حتى أَثْبَتَ، وفاءت فئة من المسلمين فقاتلوا حتى أجهضوا أعداء الله . فقال رسول الله ﷺ لعمارة بن زياد: « **ادْن منِّي، إليَّ إليَّ** »، حتى وسَّده رسولُ الله ﷺ قدمَه، وبه أربعة عشر جرحاً »[3].

---

(١) كلمة تقال للتوجع، قال ابن الأثير « حَسِّ: هي بكسر السين والتشديد: كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مَضَّه وأحْرَقَه غَفْلَة كالجَمْرة والضَّرْبة ونحوهما ». النهاية: مادة (حس) .

(٢) أخرجه النسائي ٦/ ٣٣٧، برقم ٣١٤٩ .

(٣) المغازي ١/ ٢٤١ .

٥- ومنهم أبو طلحة الأنصاري زوجُ أُمِّ أنس بن مالك رضي الله عنه:

- فعن أنس رضي الله عنه قال: « لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مُجوِّب به عليه(١) بِحَجَفَة (٢) له وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد القَدِّ(٣) يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر معه الجَعْبَةُ(٤) من النَّبل فيقول: « انثرها لأبي طلحة » . فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأمي لا تُشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك . ولقد رأيت عائشةَ بنت أبي بكر وأم سُليم وإنهما لمشمرتان أرى خَدَم سوقهما(٥) تَنْقُزان(٦). القِرَبُ على مُتُونهما تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيآن فتفرغانه في أفواه القوم، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً »(٧).

---

(١) مجوب به عليه أي: مترِّس عليه بنفسه يقيه من ضربات المشركين ونبالهم .

(٢) بحجفة: أي بترُس من الجلد، وهو ترس ليس فيها خشب .

(٣) شديد القدِّ: أي شديد مد القوس: كناية عن استيفاء السهم جميعه في جذبة. (جامع الأصول ٨/ ٢٣٩).

(٤) الجعبة: التي تكون فيها السهام، تتخذ من الجلود. جامع الأصول ٨/ ٢٣٩

(٥) خَدَم سوقها: أي الخلاخيل. والخَدَم جمع خَدَمة، والخدمة: الخلخال. ينظر جامع الأصول ٨/ ٢٣٩، ولسان العرب (خدم) .

(٦) أي تقفزان وثباً . النهاية مادة (نقز) .

(٧) صحيح البخاري ٣/ ١٣٨٦، برقم ٣٦٠٠، ٤/ ١٤٩٠، برقم ٣٨٣٧ .

٦- ومِن هؤلاء الأبطال الذين صدقوا العهد: سعدُ بن أبي وقاص:

وصفه سعيد بن المسيب فقال: « أشد المسلمين بأساً يوم أحد »[1]، فكان يرمي المشركين بنبله يدفع عن رسول الله ﷺ حين تفرق المسلمون عن النبي ﷺ من شدة القتال، وفيها فداه النبيُّ ﷺ بأبيه وأمه.

- فعن عمير بن إسحاق: « أن الناس انجفلوا عن النبي ﷺ يوم أُحد وسعد بن مالك يرمي وفتى ينبل له، فكلما فنيت نبلة دفع إليه نبلة، ثم قال: ارمهْ أبا إسحاق »[2].

-وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « ما سمعت رسول الله ﷺ يَفدي أحداً بأبويه إلا سعداً، فإني سمعته يقول يوم أحد: « **ارم سعد، فداك أبي وأمي** »[3].

٧- ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجماعة كثيرة:

- فعن محمد بن كعب القرظي: « أن علياً لقي فاطمة يوم أحد فقال: خذي السيف غير مذموم، فقال رسول الله ﷺ: « **يا عليُّ، إن كنت أحسنت القتال اليوم فقد أحسنه أبو دُجانة ومصعب بن عمير، والحارث بن الصِّمّة، وسهل بن حنيف**». ثلاثة من الأنصار ورجل من قريش»[4].

---

(١) المغازي لابن أبي شيبة ص ٢٢٠ .

(٢) نفسه، وانجفلوا عنه: أي ذهبوا مسرعين عنه. ينظر النهاية في غريب الحديث، مادة جَفَل.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٤٩٠، برقم ٣٨٣٣. والمغازي لابن أبي شيبة ص ٢٢١ .

(٤) المغازي لابن أبي شيبة ص ٢٣٥، وأخرجه ابن أبي شيبة عن عكرمة مرسلًا ص ٢٣٦، فهو شاهد له، وأخرجه بنحوه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٤، والطبراني في الكبير ٤/ ١٠٤، ١١/ ٢٥١، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي « أخرجه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح ». (مجمع الزوائد ٦/ ١٢٣) .

- وعن عكرمة قال: قال علي: « لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد نظرت في القتلى فلم أر رسول الله ﷺ، فقلت: والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى، ولكن أرى الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيَّه ﷺ، فما لي خير من أن أقاتل حتى أُقتل، فكسرت جَفن سيفي[١]، ثم حملت على القوم فأفرجوا لي، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم »[٢].

- وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: « قال رجل يوم أحد لرسول الله ﷺ: إنْ قُتلتُ فأين أنا ؟ قال: « **في الجنة** »، فألقى تمرات كُنّ في يده فقاتل حتى قُتل ».[٣]

٨- ومنهم عمرو بن الجموح الأنصاري، وكان رضي الله عنه أعرج:

- فعن إسحاق بن يسار عن أشياخ من بني سَلِمة قالوا: « كان عمرو ابن الجموح أَعْرجَ شديد العرج، وكان له أربعة بنون شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما أراد رسول الله ﷺ يتوجه إلى أحد قال له بنوه: إن الله عز وجل قد جعل لك رخصة، فلو قعدت فنحن نكفيك، فقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو بن الجموح رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ بني هؤلاء يمنعونَنِي أن أخرج معك، والله إني لأرجو

(١) قال ابن الأثير: « جفون السُّيوف: أغمادُها، وَاحِدُها جفن ». النهاية (جفن) .

(٢) أخرجه أبو يعلى ١/ ٣٥٨، برقم٦٧٥. وحسّن إسناده البوصيري في إتحاف المهرة...، وقال الهيثمي: «رواه أبو يعلى وفيه محمد بن مروان العقيلي وثقه أبو داود وابن حبان وضعفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح» . (مجمع الزوائد ٦/ ٩٤).

(٣) أخرجه البخاري ٤/ ١٤٨٧، برقم ٣٨٢٠، ومسلم برقم رقم ١٨٩٩. قال الحافظ: « وفيه ما كان الصحابة عليه من حب نصر الإسلام، والرغبة في الشهادة ». (فتح الباري ٧/ ٣٥٤) .

أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: « **أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد** »، وقال لبنيه: « **وما عليكم أن تدعوه لعل الله يرزقه الشهادة** »، فخرج مع رسول الله ﷺ فقُتل يوم أحد شهيداً »[(١)].

٩- ومنهم سعد بن الربيع الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه:

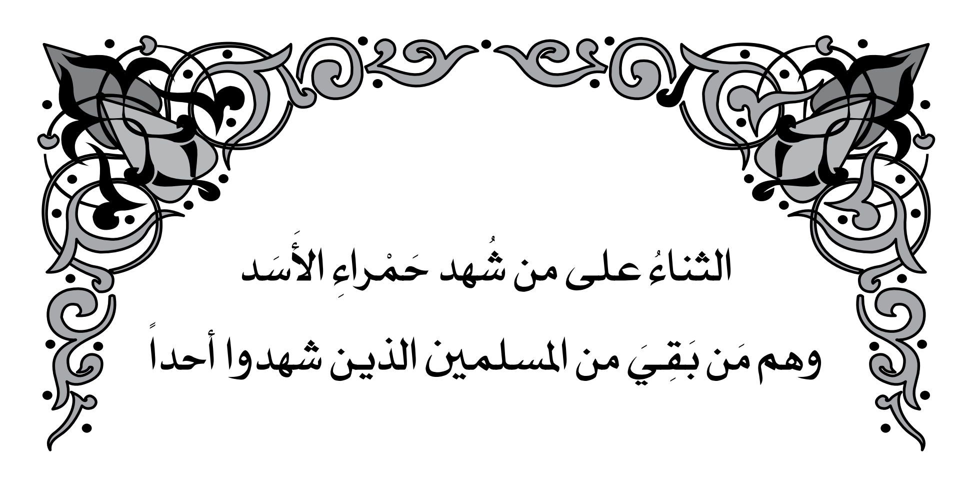
- فعن مخرمة بن بكير عن أبيه قال: « بعثني رسول الله ﷺ يوم أُحد لطلب سعد بن الربيع وقال لي: « **إنْ رأيته فأقرئه مني السّلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تَجِدُكَ ؟** »، قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأصبته وهو في آخر رَمَقٍ، وبه سبعون ضربة، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: خبرني كيف تجدك ؟ قال: على رسول الله السّلام، وعليك السّلام، قل له: يا رسول الله أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يُخلَص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شَفْرٌ يطرف. قال: وفاضت نفسه رحمه الله »[(٢)].

فهذه بعض المواقف لمن ثبتوا مع النبي ﷺ وأبلوا في أُحد بلاءً حسناً، ذكرناها أمثلة معرِّفةً بفضلهم ووفائهم، لا حَصْراً لهم ولا لمواقفهم.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٤، وفي الدلائل ٣/ ٢٤٦، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٤/ ١٩٨٥، برقم ٤٩٨٢، وأحمد في المسند ٥/ ٢٩٩ بنحوه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٠١، وصححه الذهبي. وأخرجه البيهقي في الدلائل ٣/ ٢٨٥، وقال: «طرف يطرف».



الثناءُ على من شُهد حَمْراءِ الأَسَد وهم مَن بَقِيَ من المسلمين الذين شهدوا أحداً

يقول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٤].

نزلت هذه الآيات الكريمات تمدح المؤمنين الصادقين الذين لم تمنعهم جراحهم وآلامهم وما بهم من الجهد عن الاستجابة لأمر الله ورسوله، وهم الصحابة الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد(١)، في اليوم الثاني من غزوة أحد لتعقُّبِ جيش المشركين، رغم ما أصابهم في أحد من غَمٍّ وألمٍ وقتلٍ وجراحاتٍ، وبعد أن نفضوا أيديهم من دفن شهدائهم(٢). يقول القرطبي: « فربما كان فيهم المثقل بالجراح لا يستطيع

---

(١) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة. ينظر: معجم البلدان ٢/ ٣٠١.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٦/ ٢٣٩- ٢٤٠ .

المـشي ولا يجد مركوبـاً، فربما يحمل على الأعنـاق، وكل ذلك امتثالٌ لأمر رسول الله ﷺ، ورغبة في الجهاد »[١].

نزلـت هذه الآيات تخلد ذكرهم، وتضرب بهم المثل للنُّفرة في سـبيل الله في حال الإثقال، وفي الثبات والعزيمة وقوة الإيمان، وفي الوفاء بالعهد الذي بايعوا رسـول الله ﷺ عليه من السـمع والطاعة في المنشط والمكره، وتعدهـم بـأن الله لا يضيـع أجرهم كما لم يضـع أجر الشـهداء. فما أعظم هؤلاء القوم !

هذا الذي عليه جمهور المفسرين، وهو أن قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ ...الآيات، كان يوم حمراء الأسد[٢] .

يقـول ابـن كثير رحمـه الله: « هـذا كان يوم حمـراء الأسـد، وذلك أن المشركـين لما أصابوا مـا أصابوا من المسـلمين كرُّوا راجعـين إلى بلادهم، فلما اسـتمروا في سـيرهم تَنَدَّمُـوا لم لا تَـمَّموا على أهـل المدينة وجعلوها

(١) تفسير القرطبي ٤/ ٢٧٧ .

(٢) يقـول ابـن عطية في المحرر الوجيـز (٣/ ٤٢٦): « هذا هو تفسـير الجمهور لهذه الآية وأنها غزوة أحد في الخرجة إلى حمراء الأسـد، وشـذَّ مجاهد رحمه الله فقال إن هذه الآية مـن قولـه ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ إلى قولـه ﴿ فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ إنما نزلت في خروج النبـي ﷺ إلى بـدر الصغرى ». وذكر نحوه القرطبي (٤/ ٢٧٩) وقال: « شـذَّ مجاهد وعكرمة ». وصوَّب ابن عطية ما ذهب إليه الجمهور . وقطع الطبري أن الآية الأولى في حمراء الأسـد، وأورد في بقية الآيات قولين أحدهما أنها في بدر الصغرى سنة أربع، والآخر أنها في حمراء الأسـد سـنة ثلاث، واختار أنها في حمراء الأسـد. ينظر تفسـيره ٦/ ٢٥٢، وينظر تفسير البغوي ٢/ ١٣٧، وابن كثير ٢/ ١٦٩، والآلوسي ٤/ ١٢٥ .

الفيصلة. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ نَدَبَ المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليُرْعِبَهم ويريهم أن بهم قُوّةً وجَلَداً، ولم يأذنْ لأحد سوى من حضر الوقعة يوم أحد، سوى جابر بن عبد الله رضي الله عنه ... فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ »[(١)] .

وسوف ننعم في ظلال هذه الآيات المبينة لفضل هؤلاء الأصحاب بعد أن نورد بعض ما ورد فيها من الأحاديث والآثار التي تجلي هذه الحادثة وتمهد لبيان معاني هذه الآيات، ثم نذكر ملحقاً ببعض ما ورد في صفة الخارجين لها .

أولاً: ما صح في سبب نزول هذه الآيات، وبعض ما جاء في غزوة حمراء الأسد:

١ – عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾، قالت لعروة: « يا ابن أختي، كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر، لمّا أصاب رسولَ الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: « **من يذهب في إثرهم ؟** » . فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير »[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٦٥ .

(٢) أخرجه البخاري ٤/ ١٤٩٧، برقم٣٨٤٩، وقد تفرد البخاري بهذا السياق، وأخرجه مسلم بنحوه ٤/ ١٨٨٠ برقم ٢٤١٨، وليس فيه التحديد بالسبعين .

والمشهور عند أصحاب المغازي أنه قد خرج مع رسول الله ﷺ كلُّ من بقي من المسلمين الذين شهدوا أحداً، فلعل هؤلاء السبعين هم الذين سبقوا ثم تبعهم الباقون[١].

٢- وعن عكرمة عن ابن عباس -وقال سفيان مرة أخرى: أخبرني عكرمة - قال: « لمّا انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب[٢] أردفتم، شرَّ ما صنعتم، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فنَدَبَ الناسَ فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد أو بئر أبي عيينة، فأنزل الله عز و جل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾...»[٣].

(١) يقول الصالحي في سبل الهدى والرشاد (٤/ ٤٤٦-٤٤٧): « قال في البداية: هذا سياق غريب جداً، فإن المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل مَن شهد أحداً، وكانوا سبعمائة كما تقدم، قتل منهم سبعون وبقي الباقون. قلت: الظاهر - والله أعلم - أنه لا تخالف بين قول عائشة وما ذكره أصحاب المغازي ؛ لأن معنى قولها: « فانتدب منهم سبعون » أنهم سبقوا غيرهم، ثم تلاحق الباقون، ولم ينبه على ذلك الحافظ في الفتح ».

(٢) الكواعب جمع كاعبة، وهي المرأة حين يبدو ثديها للنهود. سبل الهدى والرشاد ٤/ ٤٤٩.

(٣) المعجم الكبير ١١/ ٢٤٧، رقم ١١٦٣٢، والنسائي في الكبرى ١٠/ ٥٤، برقم ١١٠١٧، وقال الهيثمي: « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة ». (مجمع الزوائد ٦/ ١٢١). وقال الحافظ ابن حجر: « أخرجه النسائي وابن مردويه، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة وليس ابن عباس، ومن الطرق المرسلة أخرجه ابن أبي حاتم وغيره». (فتح الباري ٨/ ٢٢٨-٢٢٩).

٣- ولما علم أبو سفيان والمشركون بخروج المسلمين إلى حمراء الأسد انصرفوا عائدين إلى مكة، وكان الذي أعلمهم بذلك مَعْبَد الخزاعي وخوَّفهم لقاء النبي ﷺ والمسلمين -وكان يومئذٍ مشركاً، وكانت خزاعة مسلمُهم ومشركُهم موضعَ نُصْحٍ لرسول الله ﷺ- فقد لقي مَعْبَد الجهني أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى الرسول ﷺ.

فقد روى الطبري وغيره بسنده عن محمد بن إسحاق صاحب السيرة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال « ...فلما رأى أبو سفيان معبداً فقال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمدٌ، قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قط، يتحرَّقون عليكم تحرُّقا، قد اجتمع معه مَنْ كان تخلَّف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنَق عليكم شيء لم أر مثله قط! قال: ويلك! ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال: فإنّي أنهاك عن ذلك، فوالله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلتُ فيه أبياتًا من شعر، قال: وما قلتَ ؟ قال: قلت:

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي
إِذْ سَالَتِ الأَرَضُ بِالجُرْدِ الأَبَابِيلِ[1]

(١) (الجُرد) جمع أجرد، المراد بها الخيل الذي رقَّ شعرها وقصر. و(الأبابيل) الجماعات، واحدها إبِّيل.

تَـرْدِي بِأُسْـدٍ كِـرَامٍ لا تَنَابِلَـةٍ
عِنْـد اللِّقَـاء وَلا مِيـلٍ مَعَازِيـلِ[١]

... فثنَى ذلك أبا سفيان ومن معه »[٢] . فخذَّل اللهُ بذلك المشركين عن لقاء رسول الله ﷺ، وقذف في قلوبهم الرعب، وكفى المؤمنين القتال.

واتفق أبو سفيان مع رَكْبٍ من عبد القيس أن يخوفوا المسلمين ويخذِّلوهم عن وجهتهم فيرجعوا، يقول ابن إسحاق: ومرَّ به ركب من عبد القيس. فقال: أين تريدون ؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولمَ؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلِّغون عني محمّدًا رسالة أرسلكم بها، وأحمِّل لكم إبلكم هذه غدًا زبيبًا بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: « **حسبنا الله ونعم الوكيل** »[٣].

---

(١) (تَردي) أي تسرع وهي تضرب الأرض بحوافرها، من ردى يَردي رَدياً، و(التنابلة) جمع تنبل، وهو القصير، وهو معيب في المقاتل، و(الميل) جمع أميل وهو الذي لا رمح له، وقيل الذي لا ترس له، وقيل الذي لا يثبت على السرج، و(المعازيل) الذين لا سلاح معهم . (تنظر هذه المعاني في سبل الهدى والرشاد ٤/ ٤٤٩)

(٢) تفسير الطبري ٦/ ٢٤٦– ٢٤٧، ورواه ابن هشام عنه في سيرته (٣/ ٦٧–٦٨)، مع اختلاف يسير .

(٣) تفسير الطبري ٦/ ٢٤٨، وسيرة النبي ﷺ لابن هشام ٣/ ٦٩ .

ثانياً: بيان معاني الآيات وبعض ما فيها من الفوائد الدالة على فضل مَنْ شَهِدَ حمراء الأسد:

أ) قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾:

١- ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾: هو صفة للمؤمنين الذين ذكرهم الله في الآية السابقة في قوله ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، أي: « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح »[(١)]. فهذا وعد بأن الله لا يضيع أجرهم، أي لا يبطله، وإنما يحفظه لهم ويجازيهم عليه جزاء حسناً.

٢- و(القَرْح) هو الجروح والآلام، أي التي أصابتهم بأحد. ووصْفُ الصحابة بالاستجابة وهم على هذه الحالة مدح لا يخفى، فهو إشارة إلى صدقهم وإخلاصهم ؛ لأنه لا يستجيب للنداء ويتحامل على نفسه وهو على هذه الحالة إلا من تمحَّض لطلب مرضاة الله ، وهان عليه ما سواه .

٣- ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾: جمَعَ اللهُ هنا بين وصفين، وهما الإحسان والتقوى، يقول أبو السعود رحمه الله: « والمقصود من الجمع

(١) تفسير البغوي ٢/ ١٣٨، وينظر الطبري ٦/ ٢٣٨ . أي (الذين) في موضع خفض بدل من (المؤمنين)، وهذا وجه من الوجوه . ولها ثلاثة وجوه أخرى، وجهان منها في نفس المعنى السابق، وهما أن (الذين استجابوا) في موضع نصب بإضمار أعني، أو في موضع رفع على إضمار (هم) . روح المعاني ٤/ ١٢٤ .

بين الوصفين المدح والتعليل، لا التقييد ؛ لأن المستجيبين كلهم محسنون ومتقون» [١]. أي لهم أجر عظيم ؛ لأنهم أحسنوا واتقوا .

٤- يقول الزمخشري رحمه الله: « (مِنْ) في قوله ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ **للتبيين**، مثلها في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح : ٢٩]، لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا، لا بعضهم »[٢]. فالوعد فيها لجميعهم لا لبعضهم، والله تعالى أعلم .

ب) قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾.

١- المراد من (الناس) في قوله ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ جماعة بني عبد القيس أو نعيم بن مسعود . والمراد من (الناس) في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ أبو سفيان ومن معه[٣] .

٢- في هذه الآية بيان لشدة إخلاصهم رضي الله عنهم، وثبات يقينهم في الله تعالى، حيث لم يلتفتوا إلى تخويف من خوفهم، ثقة في الله وتوكلاً عليه، فهذا ما في قلوبهم[٤]، وهو ما أفاده أيضاً التفويض في قولهم:

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ١١٣، وينظر روح المعاني ٤/ ١٢٥ .

(٢) الكشاف ١/ ٤٤١ . وينظر الكلام على آية سورة الفتح في ص ٩٧ من هذا البحث .

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٤، وأبي السعود ٢/ ١١٤، وفتح القدير ١/ ٤٠٠ . واقتصر صاحب المحرر على ركب عبد القيس. وينظر تفسير الطبري ٦/ ٢٤٤ .

(٤) ينظر تفسير أبي السعود ٢/ ١١٤ .

﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ . وكل ذلك من فضل الله عليهم ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾.

٣- في هذه الآية بيان بأن إيمان هؤلاء الصحابة في زيادة وترقٍّ، وأن الشدائد التي مرت بهم لم تضعف إيمانهم بل أصقلته، وزادتهم يقيناً على يقينهم.

يقول الطبري رحمه الله: « ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾، يقول: فزادهم ذلك ؛ من تخويف مَنْ خوَّفهم أمرَ أبي سفيان وأصحابه من المشركين يقينًا إلى يقينهم، وتصديقًا لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم، ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالسير فيه، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه، وقالوا ثقة بالله وتوكلاً عليه، إذ خوَّفهم من خوَّفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾، يعني بقوله: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾، كفانا الله، يعني: يكفينا الله ﴿ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾، يقول: ونعم المولى لمن وليَه وكفَله »[(١)].

ج- قوله تعالى: ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾.

١- في هذه الآية بيان بأن الله منَّ عليهم بأربعٍ: (بالنعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع الرضا). يقول القرطبي رحمه الله: « قال علماؤنا: لما فوضوا أمورهم إليه، واعتمدوا بقلوبهم عليه، أعطاهم من الجزاء أربعة

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٢٤٥ .

معان: النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع الرضا. فرضَّاهم عنه، ورضي عنهم»[١]. فما أعظم هذه الجزاء!

٢- وفي تنوين (نعمة) بيان لفخامة هذه النعمة، أي فرجعوا بنعمة عظيمة لا يُقادر قدرها، ووصفها بأنها (من الله) فخامة أخرى تؤكد الفخامة التي أفادها التنكير. يقول أبو السعود بعد أن بيّن ذلك: « والنعمة: هي العافية، والثبات على الإيمان، والزيادة فيه، وحذر العدو منهم »[٢]. وأما الفضل فقيل: هو ما تفضل الله به عليهم من الأجر، وقيل: ربح تجارة قاموا بها في خرجتهم هذه[٣].

٣- وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ بيان لرضا الله عن فعلهم هذا[٤]، وأنهم في استجابتهم على هذه الحال وفي كل ما أَتَوا في هذه الغزوة من قول أو فعل قد أتوا بما يرضي الله تعالى، واتباع رضوان الله هو أقصى ما يأتي به الساعون، وتحصيل رضوانه هو غاية ما يفوز به العاملون ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

فهذا ما أثبته الله تعالى لهم وما وصفهم به، فماذا ثبت لمن لم يقدُرْهم قدَرهم؟! أو زاغ فانتقصهم؟! فليلزم امرؤٌ حدَّه، وليعرف قدرَه .

(١) تفسير القرطبي ٤/ ٢٨٢ .

(٢) تفسير أبي السعود ٢/ ١١٤ .

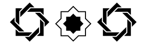
(٣) ينظر الكشاف ١/ ٤٤٢، وأبي السعود ٢/ ١١٤، وفتح القدير ١/ ٤٠٠.

(٤) ينظر تفسير الطبري ٦/ ٢٥٣ .

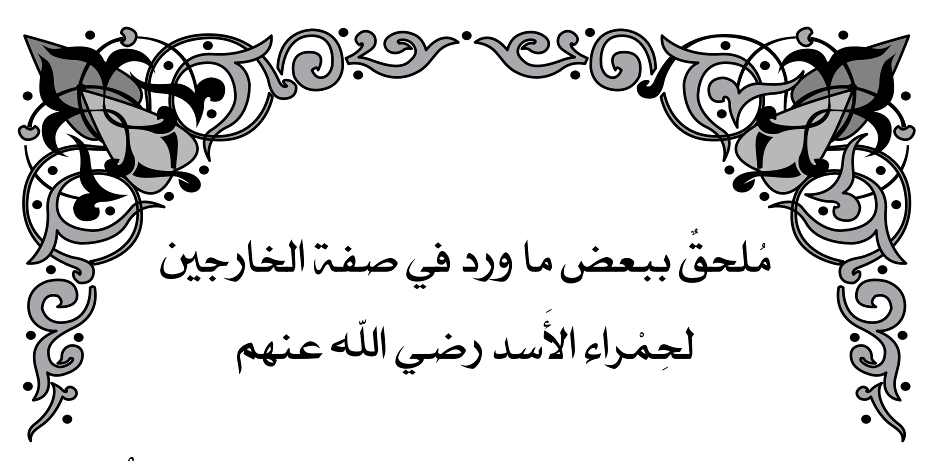
٤- ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾: هــذه خاتمــة فيهــا التذكير بأن الفضل كله منه تعالى، وفيها تَرْجيةٌ لهم رضي الله عنهم بالمزيد، فهو الذي وفَّقهم، وصرف عنهــم عدوّهم، وأنعم من فضله عليهــم في هذه الغزوة بما أنعم، وهو الذي يُنْتَظر منه في الدنيا والآخرة فوق ما يأملون .

٥- **وآخــراً**: فـإذا تأملنــا المطابقة بين ما يسـتبشر به الشــهداء في قوله تعــالى: ﴿ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ ﴾ [آل عمـران: ١٧١]، وبـين مـا أُعطي هؤلاء المستجيبون لله والرسول من النعمة والفضل في قوله تعالى: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ ﴾ عرفنا أن هؤلاء من جنس هؤلاء، وأنهم في الإخلاص سـواء، وأن هذه البشارات كالمقدمة لما ينتظر المستجيبين في الآخرة من رفيع الدرجات .

وبعــد: فهذا بعض ما في هذه الآيـات الكريمات من المعاني والفوائد واللطائف، تبين فضل أهل غزوة حمراء الأسد، وهم مَنْ بقي من الصحابة الذين شهدوا أحداً، والذين عاتب الله تعالى فيها بعضهم، بعد أن مدح الله في الآيات السابقة عليها شهداءهم، فتأمل !!. تعرف الفضل لهم.







مُلحقٌ ببعض ما ورد في صفة الخارجين لحِمْراء الأَسد رضي الله عنهم

١- أخرج الطبري بسنده عن عكرمة قال: «كان يومُ أُحد يومَ السبت للنصف من شوال، فلما كان الغدُ من يوم أُحد، يوم الأحد لستَّ عشرةَ ليلة مضت من شوال، أذَّن مؤذِّن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأذَّن مؤذِّنه أن: «**لا يخرجنَّ معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس**». فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال: يا رسول الله، إنّ أبي كان خلَّفني على أخواتٍ لي سَبعٍ، وقال لي: يا بني، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولستُ بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي! فتخلَّفْ على أخواتك، فتخلفتُ عليهن. فأذِنَ له رسول الله ﷺ، فخرج معه. وإنما خرج رسول الله ﷺ مُرْهبًا للعدوّ، ليبلغهم أنه خرج في طلبهم، ليظنوا به قوة، وأنّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم»[١].

٢- وأخرج الطبري بسنده عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان: «أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل، كان شهد

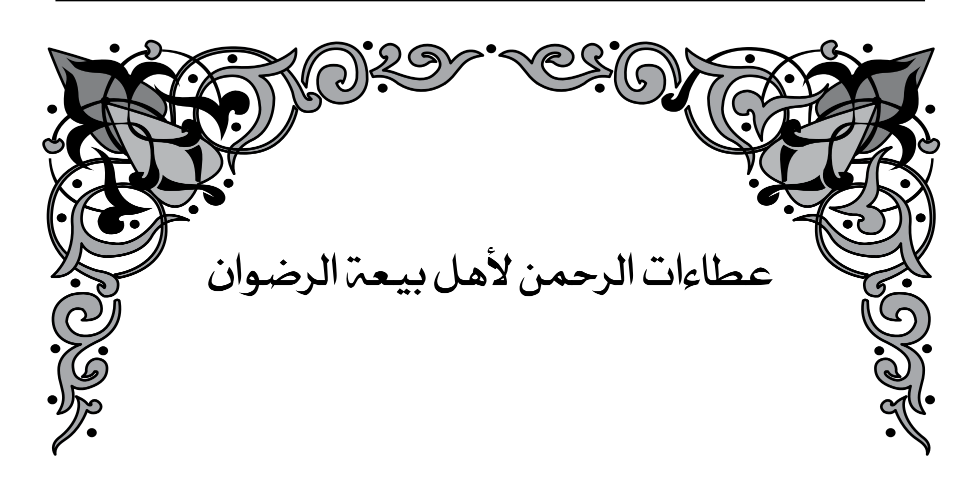
(١) تفسير الطبري ٦/ ٢٤٠، وقد رواه من طريق ابن إسحاق، ونحوه في سيرة ابن هشام ٣/ ٦٥- ٦٦.

أحدًا قال: شـهدتُ مع رسول الله ﷺ أحدًا، أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين: فلـما أَذَّنَ [مؤذن] رسـول الله ﷺ بالخروج في طلب العـدوّ، قلت لأخي، أو قـال لي: أتفوتنا غزوةٌ مع رسـول الله ﷺ ؟ والله مـا لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل! فخرجنا مع رسـول الله ﷺ، وكنت أيسر جرحـاً منه، فكنتُ إذا غُلب حملته عُقبة ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسـلمون، فخرج رسـول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسـد، وهي من المدينـة عـلى ثمانية أميال، فأقام بهـا ثلاثًا، الاثنين والثلاثـاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة »(١).

فهــذا بعـض ما ورد في أحوالهـم، ذكرته لأنه من تمـام بيان فضلهم، والله تعالى أعلم .



(١) تفسير الطبري ٦/ ٢٤٠- ٢٤١، وقد رواه من طريق ابن إسحاق، ونحوه في سيرة ابن هشام ٣/ ٦٦- ٧٦ .



عطاءات الرحمن لأهل بيعة الرضوان

١- يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ١٠].

٢- ويقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾. [الفتح: ١٨، ١٩].

٣- ثم قال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٦].

تمهـيد:

تضمنت هذه الآيات ثناءً عظيماً من الله تعالى على أهل بيعة الرضوان، وشهادات وبشريات كثيرة من الله تعالى لهم.

١ - فقد أسبغ الله تعالى رضوانه عليهم، وأثبت رضاه عنهم، وتلك هي الغاية العليا، وكل من رضي الله عنه فقد فاز، وأخبر الله عن صدقهم ورسوخ إيمانهم وأن ظواهرهم كبواطنهم، وأنهم شركاء لرسول الله ﷺ تعالى في نزول السكينة - وهي الطمأنينة والسكون - عليهم، واستقرارها في قلوبهم، وأخبر أن كلمة التقوى لازمة لهم غير منفكة عنهم، وأنهم نالوا ذلك عن جدارة، فكانوا أحق بكلمة التقوى وأهلها، وليس بعد شهادة الله تعالى لهم شهادة، فمن اعتقد في حقهم غير هذا فعقيدته باطلة مخالفة للقرآن [1].

٢ - وإذا كان لهذه البيعة من جهة فضل عظيم، فإن من كانت بسببه كذلك له فضل كبير، وهو عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.

٣- يقول الإمام أبو بكر الجصاص في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: « فيه الدلالة على صحة إيمان الذين بايعوا النبي ﷺ بيعة الرضوان بالحديبية، وصِدْقِ بصائرهم، فهم قوم بأعيانهم ... فدلّ على أنهم كانوا مؤمنين على الحقيقة، أولياء الله، إذ غير جائز أن يخبر الله برضاه عن قوم بأعيانهم إلا وباطنهم كظاهرهم في صحة البصيرة وصدق الإيمان، وقد أكد ذلك بقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: الصبر بصدق نياتهم، وهذا يدل على أن

(١) ينظر إظهار الحق لرحمة الله الهندي ٣/ ٩٣٤ .

التوفيق يصحب صدق النية، وهو مثل قوله: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ [النساء:٣٥] »[1].

٤- وقد احتج بآية الرضا عن أهل بيعة الرضوان كثير من العلماء، على من ساء فهمه فوقع في شيء من انتقاص أحد من أهل بيعة الرضوان[2]، وساقوها كذلك رداً على بعض المبتدعة، وغيرهم؛ بأنه قد بلغنا عنه تعالى أنه رضي عنهم وعلم ما في قلوبهم، ولم يبلغنا عنه أنه سخط عليهم أو على أحدهم، فالرضا عنهم ثابت، لم يتغير، وبنحو هذا الاحتجاج احتجوا على رضا الله عن أهل بدر وعفو الله في الآخرة عنهم بسبب ما قدموا[3]،

---

(١) أحكام القرآن ٥/ ٢٧٣ .

(٢) يقول الحافظ العلائي في هذه الآية: « وهي خاصة بأهل بيعة الرضوان منهم. بخلاف الآيات المتقدمة، فإنها تعم جميع الصحابة رضي الله عنهم. ولكنها -أعني هذه الآية- مفيدة التمسك بها في حق من لابس الفتن من أهل الحديبية. فقد تقدم فيهم الخلاف مطلقاً. والله سبحانه وتعالى أخبر أنه قد رضي عمن بايع تحت الشجرة فيستصحب هذا الحكم فيهم إلى أن يتبين خلافه عن الله تعالى». (تحقيق منيف الرتبة ص ٧٧-٧٨) .

(٣) ورد نحو ذلك فيما روى عمرو بن ميمون عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث ضعيف الإسناد وفي بعضه غرابة، قال: « إني لجالسٌ إلى ابن عباس أتاه تسعة رهط ... قال: أَخبرَنَا اللهُ عز وجل في القرآن أنه قد رضي عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم، هل حدثنا أنه سخط عليهم بعد؟ ! قال: وقال نبي الله ﷺ لعمر حين قال: ائذن لي فلأضرب عنقه قال: **أَوَكنتَ فاعلاً ؟ وما يدريك، لَعَلَّ الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم** » . رواه أحمد في المسند ١/ ٣٣٠، والطبراني في الكبير ١٢/ ٩٧، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٣٢ . وانظر تعليق محقق المسند طبعة مؤسسة الرسالة ٥/ ١٨١-١٨٨ .

وقد ذكر ابن الأثير في الكامل (٥/ ١٧) - والعهدة عليه- عن عمر بن عبد العزيز =

وأوردوا في ذلك نصوصاً كثيرة، وأشهر ما احتجوا به قول رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: « **وما يدريك لعلّ الله اطلع عليهم فقال: اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنة** »(١).

وبعد هذا التمهيد: نتناول هذه الآيات من خلال التعريف ببيعة الرضوان، ثم فضائل أهلها كما شهدت بها الآيات، ونورد معها بعضاً من نصوص العلماء وتعليقاتهم على آية الرضا عنهم واستدلالاتهم بها، ثم نذكر بعض ما ورد في فضل أهل بيعة الرضوان في السنة، ونختمه بذكر إجماعٍ لأهل السنة يتعلق بأهل هذه البيعة.

أولاً: التعريف ببيعة الرضوان:

كانت بيعة الرضوان بالحديبية في العام السادس من الهجرة، بعد أن خرج رسول الله ﷺ في أربعمائة وألف من المسلمين من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من العرب يقصدون البيت الحرام للعمرة،

= في سبب محبته علياً رضي الله عنه وكان عمر إذ ذاك شاباً، أنه قال: « كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود - [وهو أحد فقهاء المدينة السبعة] - فبلغه عني شيء من ذلك، -[يعني من الوقوع في حق عليٍّ رضي الله عنه]- فأتيته يوماً وهو يصلي، فأطال الصلاة، فقعدت أنتظر فراغه، فلما فرغ من صلاته التفت إليَّ فقال لي: متى علمت أن الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم؟ قلت: لم أسمع ذلك. قال: فما الذي بلغني عنك في علي؟ فقلت: معذرة إلى الله وإليك! وتركت ما كنت عليه ».

(١) صحيح البخاري ٦/ ٢٥٤٢، برقم ٦٥٤٠ .

وساق رسول الله ﷺ معه الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً، وبلغ النبيَّ ﷺ استعداد قريش لقتاله وتعاهدهم ألا يدخلها عليهم رسول الله ﷺ والمسلمون أبداً[(١)].

فلما وصل رسول الله ﷺ إلى الحديبية دعا عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال السهيلي: « فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت، ومعظماً لحرمته، قال ابن إسحاق: فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلَّغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ وما أرسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: « **لا نبرح حتى نُناجِز القوم** » فدعا رسول الله ﷺ النّاس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس

---

(١) ينظر الروض الأنف ٦/ ٤٥٢، ٤٥٣.

يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفر .

فبايع رسول الله ﷺ الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته، قد ضبأ إليها، يستتر بها من الناس. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذُكر من أمر عثمان باطل »[١].

وقد بايع النبي ﷺ بنفسه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، كما جاء عند البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: « وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: « **هذه يد عثمان** » . فضرب بها على يده فقال: « **هذه لعثمان** » [٢].

ثانياً: من فضائل أهل الحديبية، وهم أهل بيعة الرضوان ومنن الله تعالى عليهم، كما شهدت بها الآيات:

أ) جعل الله تعالى صلح الحديبية فتحاً مبيناً [٣]، وذلك باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه من فتح مكة[٤]، وانتشار الإسلام،

---

(١) الروض الأنف ٤/ ٤٦٠ . وينظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٣١٧- ٣١٨ .

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٥٣٢، برقم ٣٤٩٥ .

(٣) هذا هو قول الجمهور، وبعضهم قال: إن المراد بالفتح فتح مكة، ينظر تفسير ابن كثير ٧/ ٣٢٥، وروح المعاني ٢٦/ ٨٤. والتحرير والتنوير ٢٦/ ١٤٥ .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير ٧/ ٣٢٥ .

ودخول القبائل في دين الله بعد أن وضعت الحرب بين المسلمين وقريش، قال الزهري: «فلقد دخل في تلك السنتين -[أي ما بين الصلح وفتح مكة]- مثلُ مَن كان دَخَل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر»[١] .

وقد كان هذا الصلح مرتَّباً على هذه البيعة المباركة، فما أعقبه من نتائج هو إكرام من الله تعالى لرسول الله ﷺ، وثمرةُ الصدق الذي أبداه أصحابه، وما علمه الله في قلوبهم رضي الله تعالى عنهم من الخير، فعن البراء قال: « تعدون أنتم الفتحَ فتحَ مكةَ، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية» [٢].

وجعل الله عاقبة هذا الفتح أموراً عظيمة في حق رسوله ﷺ ، فمنها:

١- غفران الله تعالى لنبيه ما تقدم من ذنبه وما تأخر- أي إن كان له ﷺ ذنب، وهو لا يخرج عن خلاف الأولى بالنظر إلى مقامه الشريف - وفي هذه الخصوصية إعلاء لمنزلته ﷺ، فإن أحواله ﷺ كلها جارية على البر والاستقامة، التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة[٣] .

٢- إتمام الله تعالى نعمته على رسوله ﷺ، وذلك بإعلاء الدين

---

(١) فتح الباري ٧/ ٤٤١ .

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٥٢٥، برقم ٣٩١٩ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٧/ ٣٢٨ .

وانتشاره في البلاد وغير ذلك مما أفاضه الله تعالى عليه ﷺ من النعم الدينية والدنيوية[١] .

٣- هدايته ﷺ الصراط المستقيم، قال ابن كثير: « أي: بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم »[٢]. وإلا فالهداية إلى الصراط المستقيم ثابتة للنبي ﷺ من وقت بعثته، ولكنها تزداد بزيادة بيان الشريعة[٣].

٤- نصر الله تعالى لرسوله نصراً عزيزاً، أي نصراً قوياً منيعاً لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع[٤]، قال الطاهر بن عاشور: « فهو ما كان من فتح مكة وما عقبه من دخول قبائل العرب في الإسلام بدون قتال، وبعثهم الوفود إلى النبي ﷺ ليتلقوا أحكام الإسلام ويعلِّموا أقوامهم إذا رجعوا إليهم »[٥] .

وكل ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح: ١- ٣].

---

(١) روح المعاني ٢٦/ ٩١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ٣٢٨ .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٦/ ١٤٨ .

(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي سورة الفتح، الآية: ٣، (٢٦/ ١٩٩ ط١)، وينظر تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٣ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٦/ ١٤٨.

٥- وفي هـذه الحادثـة أعلم اللهُ تعالى أنَّ كلَّ بيعةٍ لرسـول الله ﷺ هي بيعـةٌ لله تعالى، وأنها ليسـت مقصـورةً عـلى المبايعة تحت الشـجرة، وهذا مستفاد من عموم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[1]، وفي هـذا إعـلاء لمقامه ﷺ، وأما الرضا في قولـه تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾، فهو خاص بأهل هذه البيعة. وسيأتي مزيد بيان لذلك .

وأمّـا الأمـور العظيمـة التي ترتبت عـلى هذا الفتـح في حق أصحاب رسول الله ﷺ، فمنها :

- وعـد الله تعـالى أصحـاب بيعـة الرضوان الجنـة وأن يكفـر عنهم سـيئاتهم، كما في قوله تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٥].

وعـن أنـس بن مالك قـال: « لما نزلت هذه الآية عـلى النبي ﷺ ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ مَرْجِعَه من الحديبيـة وهم مخالطهم الحُـزن والكآبة وقد نُحر الهـدي بالحديبية، فقال: « **لقـد أُنزلـت آيةٌ هي أحـبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً** »، قالوا: يا رسـول الله قد علمنا ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فأُنزلت ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ

(١) استفدته من شيخنا البحياوي جزاه الله عنّا خيراً، جواباً لسؤال سألته عنه .

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾»[1].

وفي رواية البخاري: « قال أصحابه: هنيئاً مريئاً، فما لنا ؟ فأنزل الله: ﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾»[2].

ب) ومن منن الله تعالى عليهم أنه أنزل السكينة في قلوبهم:

وتلك فضيلة عظيمة حيث جعل الله قلوبهم مقراً للسكينة والطمأنينة، فثبتوا بذلك حين تقلق النفوس وتدحض الأقدام، وهذا الإنزال من لطف الله تعالى وعنايته بهم ليتحملوا وقع صدهم عن البيت ورجوعهم دون أداء العمرة، وتَعَنّت قريش وما أصرت عليه من الشروط الجائرة في صلح الحديبية، ولتسهل عليهم أيضاً طاعة النبي ﷺ في أمر يحز في نفوسهم، وذلك حين أمرهم أن يتحللوا من إحرامهم بحلق شعورهم وذبح هديهم بعد أن صدوا عن البيت، فلم يك إنزال السكينة ليزيل شكاً يطعن في إيمانهم، وإنما كما قال تعالى: ﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ أي يقيناً مع يقينهم، يخفف وقع ما لقوه ويذهب خواطر الشيطان عن بعضهم، وليزدادوا إيمانا باستجابتهم لأوامر رسول الله ﷺ[3].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢١٥، ١٣٤، ١٧٣.

(٢) أخرجه البخاري ٤/ ١٥٣٠، برقم ٣٩٣٩ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٧/ ٣٢٥، ٣٢٩، والقرطبي ٢٦/ ٢٦٤، والفخر الرازي ١٤/ ٨١-٨٢، والبيضاوي ٥/ ٢٠٠، والخازن ٦/ ١٨٩ والتحرير والتنوير ٢٦/ ١٤٩ .

وقال القرطبي وغيره في معنى زيادة الإيمان هنا: « أي تصديقاً بشرائع الإيمان مع تصديقهم بالإيمان »[١] . « فإنهم آمنوا بأن محمداً رسول الله وأن الله واحد والحشر كائن، وآمنوا بأن كل ما يقوله النبي ﷺ صدق وكل ما يأمر الله تعالى به واجب»[٢]. ففي الآية إذنْ مزيد عناية بهم ورفع في درجات إيمانهم .

ج) ألزمهم كلمة التقوى، وأخبر أنهم أحق بها وأهلها، فلا سبيل إلى الطعن في تقواهم:

فمن طعن في تقواهم، وفي تمسكهم بدينهم وطاعتهم لرسولهم، فقد تعدى وتجرأ على الله وصادم كتاب الله الذي وصفهم بأنهم ﴿ **أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا** ﴾ .

وكلمة التقوى كما يقول الفخر الرازي: « فيها وجوه، أظهرها أنها قول: لا إله إلا الله، فإنه يقع بها الاتقاء عن الشرك »[٣]. وهذا قول علي وابن عمر، وابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك، وغيرهم من أئمة التفسير، وقال عطاء الخراساني: هي: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقال الزهري: بسم الله الرحمن الرحيم[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٦/ ٢٦٤ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٤/ ٨٢

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٤/ ١٠٤ .

(٤) ينظر تفسير القرطبي ١٦/ ٢٨٩، وابن كثير ٧/ ٣٤٥- ٣٤٦ .

والمعنى: أنه تعالى ألزمهم عند الصلح كلمة التقوى، قولاً بلفظها وعملاً بمدلولها من طاعة الله ورسوله، فأطاعوا وثبتوا وتأنوا، فعصمهم بذلك من مقابلة حمية الكفار بالغضب والانتقام، وأنهم أحق بهذه الكلمة التي استكبر عنها المشركون، وأنهم هم أهلها، فهي ملازمة لا تنفك عنهم[(١)]، وبهذا شهد كتاب الله .

وقد أشار الرّازي هنا إلى معنى لطيف في قوله تعالى: ﴿ وَأَهْلَهَا ﴾ أنّه لدفع توهم المفاضلة بين المسلمين وبين المشركين؛ لأن المشركين ليسوا بأهل تقوى، وأنه لما كان هؤلاء المؤمنون عند الله أكرم الناس أُلزموا تقواه[(٢)].

فتلك شهادة من الله لأصحاب رسوله بأنهم هم أهل لا إله إلا الله وأهل تقواه، فما أعظمها من شهادة .

د) أثبت الله تعالى رضاه عنهم، وعن تلك البيعة، ومن رضي عنه فلا يعذبه أبداً :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ ﴾ ومن رضي الله تعالى عنه فقد فاز، فليس بعد رضا الله عن عبده مطلب، « فهو أعظم خير في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[التوبة: ٧٢] »[(٣)] .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٦/ ١٩٤، ١٩٥ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٤/ ١٠٤ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٦/ ١٧٣ .

وفي هـذا الرضا إعلام بأنهم يموتون على الإيمان، وأنه لا يقع منهم ما يوجب سـخط الله تعالى، وأنهم موفقون للاسـتقامة، وأن ما قد يقع منهـم أو مـن أحد من مخالفة فهي مغفورة له في الآخرة، إما بقبول توبته أو بفضل هذه السابقة، أو مكفرة عنه أو أنها لا تقاس مع هذه السابقة، التـي أوجبت لهم الرضـا، وأنهم جميعاً من أهل الجنان، شـأنهم في ذلك شـأن أهل بـدر، وتلـك خصوصية لهـم رضي الله تعالى عنهـم أجمعين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

من عيون نصوص العلماء وتعليقاتهم على آية الرضا واستدلالاتهم بها :

١ – قـال مكي بن أبي طالب رحمـه الله: « ومَن رضي الله عنه لم يدخل النار أبداً »[١].

٢ – وقال أبو بكر الإسـماعيلي رحمه الله: « ومن أثبت الله رضاه عنه لم يكن منهم بعد ذلك ما يوجب سخط الله عز وجل »[٢].

٣ – وذكر عبد القاهر البغدادي رحمه الله في رد أهل السـنة على بعض الفـرق المبتدعـة: «... وقالوا لهم إذا كان الرضا من الله تعالى عن العبد إنما يكـون على علـم أنه يموت على الإيـمان، وجب أن يكـون المبايعون تحت الشجرة على هذه الصفة »[٣].

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/ ٦٩٥٤ .

(٢) اعتقاد أئمة أهل الحديث ص ٤٨ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٧٤ .

٤- وقال ابن حزم رحمه الله: « فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان فإننا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا على الإيمان والهدى والبر، كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار البتة لقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠-١٢]، وكقوله عَزّ وجل: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

قال أبو محمد [أي ابن حزم]: فمن أخبرَنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم رضي الله عنهم وأنزل السكينة عليهم فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة »(١).

فهذه بعض تعليقات العلماء على هذه الآية الكريمة وبيان ما فيها من فضل لأهل هذه البيعة.

هـ) عظَّم اللهُ شأنَ هذه البيعة، فجعل بيعتهم لرسوله بيعة لله تعالى:

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]. فـ« بيعتهم للنبي ﷺ في الظاهر، هي بيعة منهم لله في الواقع »(٢)، فالله شاهدهم وحاضرهم يبايع عنه رسوله ﷺ.

(١) الفصل في الملل والنحل ٤/ ٢٢٥ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٦/ ١٥٨ .

وأمّا قوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ فالمقصود منه التأييد والنصرة والحفظ، وتعظيم نعمته عليهم، وإثابته لهم[١]، ويقصد بها أيضاً تعظيم هذه البيعة وتعظيم حقها الذي في أعناقهم .

قال القرطبي في معناها « قيل: يده في الثواب فوق أيديهم بالوفاء، ويده في المنة عليهم بالهداية فوق أيديهم بالطاعة.وقال الكلبيّ: معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البَيعة » [٢].

وذكر البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناها: « يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم»[٣]. فهي تأكيد على توفيتهم حقهم وزيادة. وقد باعوا أنفسهم من الله بالجنة، ولا أحد أوفى بعهده من الله .

ففي الآية ما فيها من تعظيم وتشريف هذه البيعة، وإجلال الرسول ﷺ، وتشريف المبايعين، وفيها زيادة التأكيد على وجوب الوفاء بها والثبات، وقد وفوا رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

و) ومن منن الله عليهم أنه واساهم وطيَّب خواطرهم بأن أثابهم فتحاً قريباً:

قال تعالى: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ١٨- ١٩]. قيل في تفسيرها: فعلم ما في قلوبهم من الكآبة بصد المشركين

(١) ينظر تفسير الفخر الرازي ١٤/ ٨٨ .

(٢) تفسير القرطبي ٢٦/ ٢٧٧ . وينظر تفسير الفخر الرازي ١٤/ ٨٨ .

(٣) تفسير البغوي ٧/ ٣٠٠ .

إياهـم، ووقـوع الصلح بعـد أن تحفزوا لقتال المشركـين، فعوضهم عن ذلـك فتحـاً قريباً ينتظرهـم، وهو فتح خيـبر، فقد كان قريبـاً من البيعة بنحو شهر ونصف[١].

وقـال ابن الجـوزي وغيره في معنـى الآية: « فعلم مـا في قلوبهم، أي مـن الصدق والوفاء، والمعنى: علم أنهم مخلصون فأنزل السـكينة عليهم، يعنـي الطمأنينـة والرضا حتى بايعوا عـلى أن يقاتلوا ولا يفـروا، وأثابهم أي عوضهـم على الرضا بقضائه والصبر على أمره فتحاً قريباً، وهو خيبر، ومغانم كثيرة يأخذونها، أي من خيبر؛ لأنها كانت ذات عقار وأموال»[٢].

ففـي هذه المنَّـة بيان لعلو قدرهـم، ومزيد عنايـة الله تعالى بهم، وفي الآية شـهادة كبرى من الله بإخلاصهم، وتمام صدقهم، وتزكية لما انطوت عليه قلوبهم، فهنيئاً لهم، وبُعداً وسُحقاً لمن انتقصهم .

ثالثاً: فضل أهل بيعة الرضوان في السنة:

١- أخبر النبي ﷺ أنهم يومئذ خير أهل الأرض:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: « **أنتم خير أهل الأرض** ». وكنا ألفاً وأربعمائة [٣].

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٦/ ٢٧٨، والتحرير والتنوير ١٦/ ١٧٥، ١٧٦ .

(٢) زاد المسير ٧/ ٤٣٤- ٤٣٥، وذكر نحوه القرطبي في تفسيره ٢٦/ ٢٧٨ .

(٣) أخرجه البخاري ٤/ ١٥٢٦، برقم ٣٩٢٣ .

وفي صحيح مسلم: عن جابر قال: كنّا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا النَّبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « **أنتم اليوم خير أهل الأرض** »[١].

٢- أخبر رسول الله ﷺ أنه لا يدخل النارَ أحدٌ منهم:

فعن أمّ مبشِّر أنّها سمعت النّبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول عند حفصة: « **لا يدخل النّار إن شاء الله من أصحاب الشّجرة أحدٌ، الّذين بايعوا تحتها** » قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها. فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾؟ فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « **قد قال الله عزّ وجلّ:** ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ »[٢].

٣- أخبر ﷺ أنه لا يبلغ أحدٌ بعدهم منزلَتهم:

فعن أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ لما كان يوم الحديبية قال: « **لا توقدوا ناراً بليل**»، قال: فلما كان بعد ذاك قال: « **أوقدوا واصطنعوا، فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم** »[٣].

---

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٤٨٣، برقم ١٨٥٦.
(٢) أخرجه مسلم ٤/ ١٩٤٢، رقم ٢٤٩٦.
(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٢٦، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح ٧/ ٤٤٣ .

رابعاً: إجماع أهل السنة على أنهم من أهل الجنة:

قال الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه (الفَرق بين الفِرق): « وأجمع أهل السنة على أن من شهد مع رسول الله بدراً مِنْ أهل الجنة وكذلك كلَّ من شهد معه بيعة الرضوان بالحديبية »[١] .

وبعـــد: فهـذه بعض فضائـل أهل بيعـة الرضوان كـما صرحت بها الآيات أو أشارت إليه، وبعض ما استنبطه العلماء منها، وبعض الأحاديث النبوية في ذلك.

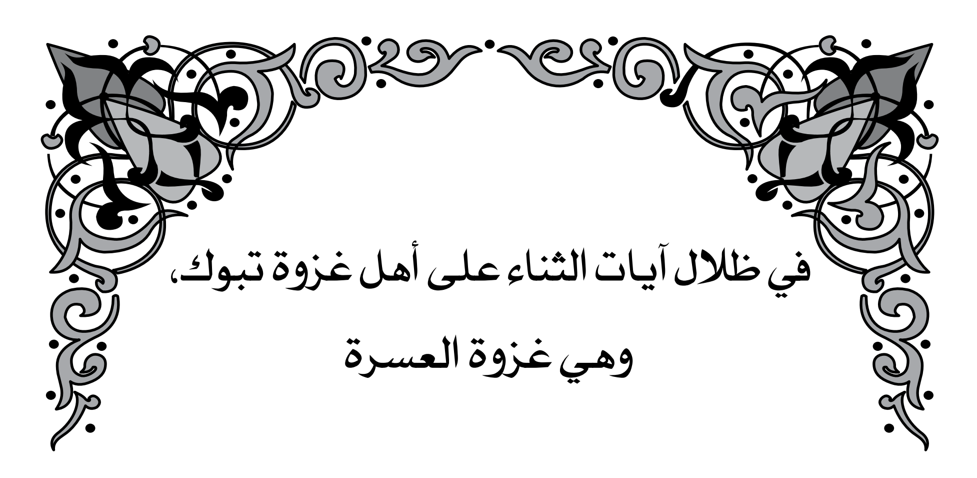
وآخــراً: فيقول الآلوسي رحمه الله عقب تفسيره لآية البيعة:

« **فينبغـي لكل مَنْ يدَّعي الإسـلام حبُّهم وتعظيمهـم والرضا عنهم، وإن كان غير ذلك لا يضرهم بعد رضا الله تعالى عنهم** »[٢] .



(١) الفرق بين الفرق ص ٣٥٣ .

(٢) روح المعاني ٢٦/ ١٠٨ .



في ظلال آيات الثناء على أهل غزوة تبوك، وهي غزوة العسرة

١- يقول الله عز وجلَّ في فضل أهل غزوة العسرة: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

٢- ويقول عز وجل في مدح الخارجين إلى هذه الغزوة بعد أن ذم المتخلفين عنها بغير عذر: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٨٨- ٨٩].

٣- وفي أثناء ذم الله هؤلاء القاعدين وبيان طوائفهم، وبيان توبة الله تعالى على بعض المؤمنين الذين لم يخرجوا إليها يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] . مما يفهم منه أن هذا بيان لطوائف الخارجين إليها، فمنهم السابقون الذين لا يلحقهم أحد في الفضل، ومنهم تابعون لهم سائرون على طريقهم.

٤- وقال تعالى في آخر الكلام عن هذه الغزوة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

وسوف نتناول الكلام على هذه الآيات الكريمات من خلال: التعريف بغزوة العسرة وشدة الابتلاء فيها، ثم بيان فضل الخارجين إليها، ثم شهادات هذه الآيات ودلالاتها على فضل من نزلت فيهم، ثم فضل أفراد فيها بأعيانهم فازوا فيها كعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ونصيب أهل الأعذار منها، وما جرى في أعقابها من توبة الله تعالى على ثلاثة من المؤمنين تخلفوا عنها.

أولاً: التعريف بغزوة العسرة وشدة الابتلاء فيها:

التعريف بالغزوة:

كانت غزوة العسرة آخر غزوات النبي ﷺ، وقد خرج لها في رجب من العام التاسع الهجري لقتال أهل الروم بالشام بعد أن بلغ النبيَّ ﷺ أنهم جمعوا جموعاً لقتاله مستنصرين بقبائل شديدة من العرب كلَخْم وجُذام وعَامِلة وغَسّان وغيرهم من متنصرة العرب فأراد النبي ﷺ أن

يغزوهــم قبل أن يغـزوه[١]. فخـرج ﷺ وأصحابه حتى نزلـوا عين تبوك بالأردن، وأقام بها شعبان وأياماً من رمضان، وبث سراياه وصالح أقواماً على الجزيــة[٢].

وكان الاستنفار لهذه الغزوة العظيمة استنفاراً عاماً، فبعث رسول الله ﷺ إلى القبائـل وإلى مكة يسـتنفرهم لذلك[٣]، كما قـال تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة ٤١][٤].

قـال ابن كثـير: « أمر الله تعالى بالنفير العام مع الرسـول صلوات الله وسـلامه عليه عام غزوة تبوك، لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتـاب، وحَتَّـم عـلى المؤمنين في الخـروج معه عـلى كل حال في المَنْشَـط والمَكْرَه والعسر واليسر »[٥].

---

(١) ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٢٥، وسبل الهدى والرشاد للصالحي ٥/ ٦٢٦، وينظر البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢.

(٢) ينظر تفسير القرطبي ٨/ ٢٨٠ .

(٣) ينظر مغازي الواقدي ص ٩٩٠ .

(٤) قال ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ٢٧٢، في سبب نزولها: « نزول ذلك في غزوة تبوك إلى الروم، وكانت غزوة بعيدة في وقت شـديد من حمارة القيظ، وعدوا كثيراً، استنفر لها الناس كلهم ».

(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ١٥٦.

وقد خرج مع النبي ﷺ في هذه الغزوة أكثر من ثلاثين ألفاً [١]، وقيل كانوا سبعين ألفاً [٢].

شدة الابتلاء في هذه الغزوة:

- كانت هذه الغزوة كاسمها غزوة عُسرة، مُحِّصَ فيها المؤمنون وابتلوا ابتلاء شديداً ظهر فيه صدقهم، فقد كانت في حرٍّ شديدٍ، وسفر بعيد، وقلة مؤنة، وقلة فيما يركبون ويحملون عليه زادهم، وفي مواجهة عدوٍّ قويٍّ ذي عدد كثير، « ولم يكن عدو أخوف عند المسلمين منهم، وذلك لما عاينوا منهم - إذ كانوا يقدمون عليهم تجاراً - من العدد والعدة والكُراع»[٣]، ولذلك أعلن النبي ﷺ عنها وإلى أي وجهة يتوجه ليتجهز الناس لها بكل ما أمكنهم من قوة، وليستعدوا لظروف الوقت وبُعد المسافة، وهذا العدو الذي سيلقونه .

- وزاد من شدة الابتلاء فيها أنها كانت في وقتٍ طابت فيه الثمار وأُحِبَّت فيه الظلال، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه[٤].

---

(١) ينظر المغازي للواقدي ٣/ ٩٩٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٦٣١،-٣٣٦، وسبل الهدى والرشاد ٥/ ٦٢٩ .

(٢) ينظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٦٣٨.

(٣) مغازي الواقدي ٣/ ٩٩٠ .

(٤) ينظر المغازي للواقدي ٣/ ٩٩٢، والبداية والنهاية ٥/ ٣، وينظر حديث كعب بن مالك في صحيح البخاري ٤/ ١٦٠٤، رقم ٤١٥٦، وصحيح مسلم ٨/ ١٠٥، رقم ٧١٩٢ .

أخرج البيهقي عن عبد الله بن محمد بن عقيل في قوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾، قال: « خرجوا في غزوة تبوك، الرجلان والثلاثة على بَعير واحدٍ، وخرجوا في حرٍّ شديدٍ فأصابهم في يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها، فكان ذلك عُسرةً في الماء وعُسرةً في النفقة وعُسرة في الظهر »[١] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى أن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرَّحْلَ فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى أن الرجل لينحر بعيره، فيعتصر فَرْثَه فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده »[٢].

- وكادت الأزواد أن تنفد حتى همَّ بعضهم بنحر بعض حمائلهم، قال قتادة: « ... ذُكِر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم، يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم »[٣].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٢٢٧، وينظر البداية والنهاية ٥/ ٩ .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل ٥/ ٢٣١. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٩: « إسناده جيد ».

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٨ .

ثانياً: فضل الخارجين لغزوة تبوك :

يتضح جلياً فضل الخارجين إلى هذه الغزوة وشرفهم من أمور، منها:

- كثرة الآيات الواردة في مدحهم، وبذلك وردت أيضاً الأحاديث.

- شدة ذم الله تعالى وتوعده القاعدين بغير عذر بالعذاب في آيات عدة.

ففضلهم رضي الله عنهم إذنْ جاء من طريقين: طريق النص وطريق المفهوم من ذم القاعدين .

فقد قال تعالى في ذم القاعدين عنها: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة:٨١- ٨٢]. ويستمر هذا الذم الشديد لهم على اختلاف طوائفهم إلى الآية الخامسة والتسعين وما بعدها من هذه السورة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٩٥-٩٦].

وعاتب الله المؤمنين الذين تخلفوا عنها عتاباً شديداً، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾[1] [التوبة: ٣٨- ٣٩].

ثالثاً: في ظلال آيات غزوة تبوك وشهاداتها ودلالاتها على فضل أصحابها، وبعض ما ورد في فضلهم ومواقفهم من الأحاديث والآثار:

أ) فاز في هذه الغزوة هؤلاء الصادقون الذين خرجوا، وأهل الإنفاق في سبيل الله الذين جهزوا هذه الغزوة، فظهر فيها فضلهم وفضل أشخاص بأعيانهم ممن أنفقوا نفقات غير مسبوقة، وكذا من أقعده رسول الله ﷺ بالمدينة ليكون خليفة على أهل بيت رسول الله ﷺ.

ب) وصف الله عز وجل هؤلاء الصحابة الذين خرجوا إليها بوصف الصدق، وذلك بعد أن عاتب بعض المؤمنين من أهل المدينة ومن الأعراب الذين لم يخرجوا إليها، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]. وتلك شهادة عظيمة بصدق إيمانهم وأعمالهم، وهو لقب لهم لا يزال تاجاً من الله على رؤوسهم، فتأمل!

---

(١) قال ابن العربي في أحكام القرآن (٤/ ٢٦١) في الآية (٣٨): «لا خلاف بين العلماء أن المراد به غزوة تبوك»، وينظر تفسير القرطبي ٨/ ١٤٠- ١٤٣، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٥٣.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك أي: « مع الذين صدقت نياتهم، واستقامت قلوبهم وأعمالهم، وخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك بإخلاص ونية »[١].

وقال الفخر الرازي في معنى هذه الآية: « ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في مخالفة أمر الرسول ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ يعني مع الرسول وأصحابه في الغزوات، ولا تكونوا متخلفين عنها وجالسين مع المنافقين في البيوت »[٢].

وعن نافع قال: « مع النبي ﷺ وأصحابه »[٣]، فالصحابة هم معدن الصدق وأهله، « قوم اتقوا الله فصدقوا في إيمانهم وجهادهم فرضي الله عنهم »[٤]، فمن قال غير ذلك فقد ضادَّ كتابَ الله تعالى.

وكون المقصود بالصادقين في الآية السابقة الصحابةَ الخارجين إليها أمر واضح من ملاحظة سياق الآيات وسبب نزولها، فالآية قطعاً دالة على شرفهم وصدقهم، وإن كان عموم لفظها باقياً في كل زمان بأن نلزم صحبة الصادقين ونلزم طريقهم والاقتداء بهم في كل عصر، وأولهم المهاجرون الذين وصفهم الله بالصدق، وهؤلاء الصحابة الذين نزلت في حقهم هذه الآيات.

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٠٩ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ٨/ ٢٢٦، وينظر تفسير القرطبي ٨/ ٢٢٨ .

(٣) تفسير الطبري ١٢/ ٦٨ .

(٤) التحرير والتنوير ١١/ ٥٤ .

ج) ومن فضائل أهل غزوة العسرة أن الله وعدهم الخيرات على إيمانهم وجهادهم، ووصفهم بأنهم هم المفلحون[(١)]:

فبعد أن فضح الله المنافقين في آيات سورة التوبة بيَّنَ أن من دلائل نفاقهم فرحُهم بالتخلف عن رسول الله في غزوة تبوك ودعوتُهم غيرهم لئلا ينفروا في الحرِّ، ثم توعَّدهم الله بِحَرِّ جهنم، وفرض الله على رسوله أحكاماً تتعلق بهؤلاء المنافقين، ثم أعاد القرآن توبيخهم على رضاهم بالقعود عندما يُدْعَون إلى الجهاد، وبعد هذا كله بيَّن الله أن المؤمنين على خلاف ذلك فقال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

وهذا الوعد وإن كان عاماً لكل من جاهد من المؤمنين مع رسول الله ﷺ إلا أن سياقه يدل دلالة واضحة على أن أول مَن يدخل فيه ويتبادر الذهن إليه أهل غزوة العسرة، فهي بشارة ظاهرة لهم، كما أنها بشارة لغيرهم .

د) وفاز رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار في هذه الغزوة بمزيد من الاختصاص والإكرام، وذلك بأن الله تعالى تاب عليهم، وأنه تعالى بهم رؤوف رحيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ

(١) سبق الكلام على معنى الخيرات والفلاح في هذه الآية موسعاً في الفصل الثاني ...

مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧]. وتخصيص هؤلاء المهاجرين والأنصار بذلك لأنهم كانوا أسوة لغيرهم من القبائل[(١)].

إيضاح وبيان للتوبة في هذا الآية الكريمة، وما فيها من المعاني والفوائد:

١- قبل الدخول في تفاصيل دلالة الآية على فضل هؤلاء المهاجرين والأنصار، وما تحمله من بشرى عظيمة لهم يجب أن ننبه إلى أمرين:

أولاً: أن التوبة المذكورة كانت عن مقاربة أمر لا عن فعله، وهو معنى قوله تعالى: (كاد)، فهي توبة تتناسب مع مقامهم رضي الله عنهم . يقول الفخر الرازي: « فهذه التوبة المذكورة توبة عن تلك المقاربة »[(٢)].

ثانياً: أن معنى الزيغ هو الميل، فقوله تعالى: ﴿ كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي كادوا لا يثبتون على اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام في تلك الغزوة لشدة العسرة، ولكنهم ثبتوا.

يقول الطاهر بن عاشور: « ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ أي اتبعوا أمره بعد أن خامر فريقاً منهم خاطر التثاقل والقعود والمعصية بحيث يشبهون المنافقين، فإن ذلك لا يتصور وقوعه بعد الخروج، وهذا الزيغ لم يقع ولكنه قارب الوقوع »[(٣)].

(١) ينظر التحرير والتنوير ١١/ ٥٠ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ٨/ ٢٢١ .

(٣) التحرير والتنوير ١١/ ٥٠ .

٢- هـذه الآيـة تحمل نهايـة المـدح والتقديـر للمهاجريـن والأنصار الذين خرجوا لغزوة تبوك، فالمتأمل في التعبير « بالعسرة » ووصف الحال باقـتراب زيغ بعض القلوب، يجد أنه بيان وتصوير لتناهي ما وقع لهم من الشـدة وبلوغها الغاية القصوى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ فـلا ذم فيهـا ولا تبكيت، بل مدح وتعظيم على الصبر على هذا الاتباع في هذه الحالة الشديدة[1]، فلتتأمل ! .

٣- وفي ضَمِّ الله تعالى النَّبيَّ ﷺ إليهم في هذه التوبة تنبيه إلى علو شأنها وأنها توبة عظيمة، وفي هذا الضم أيضاً تنبيه وبيان لعلو مرتبتهم رضي الله عنهم، بحيث بلغوا درجة استحقوا معها أن يضموا إلى رسول الله ﷺ[2]. فلتتأمل ! .

- وقـد ذكرت الآيـة توبتين مؤكدتـين، التوبـة الأولى في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ ﴾ وهـي بشـارة مطلقـة بالرضا عن هـؤلاء المهاجرين والأنصـار، مؤكـدة بــ(لام القسـم) و(قد)التـي تفيـد التحقيـق والفعل المـاضي (تاب) الـذي يفيد حصول هـذا الأمر والانتهاء منـه، وفي تقديم ذكرها مبادرة إلى تطييب قلوبهم.

والتوبـة الثانيـة: في قوله تعـالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ وهي بشـارة

(١) ينظر تفسير الفخر الرازي ٨/ ٢٢١، وروح المعاني ١١/ ٤٠ .

(٢) ينظر تفسير الفخر الرازي ٨/ ٢٢٠، وروح المعاني ١١/ ٣٩، وتفسير التحرير والتنوير ١١/ ٤٩.

بالعفو عن هذا الفريق الذي كادت تزيغ قلوبهم من تلك الشدائد، وتأكيد على الرضا عن الجميع، والله تعالى أعلم [(١)].

قال بعض العلماء: إن التوبة الثانية هي تثبيت الله تعالى لهم وتداركه لقلوبهم حتى لم تزغ، يقول القرطبي رحمه الله في كلام عالٍ نفيسٍ: « وكذلك سُنَّةُ الحق مع أوليائه إذا أشرفوا على العَطَبِ ووطنوا أنفسهم على الهلاك، أمطر الله تعالى عليهم سحائب الجود فأحيا قلوبهم »[(٢)].

٤- وظاهر التوبة هنا أنها عفو عن ذنب، والمتأمل يجد أن حقيقتها مدح وثناء لهم جميعاً وطمأنة لقلوب بعضهم بأنه تعالى لا يؤاخذ مَنْ وقع في نفسه هاجسٌ أو وسواس مِن شدة ما لاقى في سفره، ولا يؤاخذ من حصل له ترددٌ في الخروج إليها بسبب بُعد السفر وشدة الحر وملابسات هذه الغزوة، فعالج الله عز وجل تخوُّف مَن حصل له شيء من ذلك، وبيَّن أنه تعالى غفر لهم ومحا سيئاتهم كلها - حتى العوارضَ النفسية التي حسبوها سيئة واجتهدوا في دفعها - وأنها في دائرة العفو بسبب ما قدموه، فليطمئنوا، بعد أن بُشِّروا بأن لهم الخيرات، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، وأنه سيجزيهم بما تحملوا وبما أنفقوا أحسن ما كانوا يعملون، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا

---

(١) ينظر تفسير الفخر الرازي ٨/ ٢٢١- ٢٢٢، والتحرير والتنوير ١١/ ٤٩، ٥١ .

(٢) تفسير القرطبي ٨/ ٢٨١ .

إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٠ - ١٢١]، وبذلك أتم الله عليهم فرحهم دون منغصات. فلتتأمل!

٥- ومن جهة أخرى فإن هذا التّخَوفَ منهم رضي الله عنهم مقامٌ عالٍ في الإخلاص، يدل على علو مرتبتهم رضي الله عنهم في تعاملهم مع الله عز وجل ومحاسبة أنفسهم في أمر الهواجس التي لا يؤاخذ بمثلها المكلفون. فعاد معنى الآية إلى المدح بالصدق والإخلاص وإلى البشارة بمحو الهفوات ورفع الدرجات، والله تعالى أعلم[1].

يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله: «معنى التوبة على النبيِّ والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه أن الله لا يؤاخذهم بما قد يحسبون أنه يسبب مؤاخذة»[2].

ويقول النيسابوري في تفسيره بعد أن ذكر أنه ما مِنْ مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة؛ لأنه لا ينفك عن هفوة، قال: «ولعله وقع في قلوب المؤمنين نوعُ نُفْرةٍ من تلك السَّفْرة لما عاينوا المتاعب، ولا أقلَّ

(١) ويقول الفخر الرازي في تفسيره ٨/ ٢٢١، في بيان أحد الوجوه في المقصود بساعة العسرة، وأنها جميع ساعاتها في تبوك والخندق وغيرها: «المقصود منه وصف المهاجرين والأنصار بأنهم اتبعوا الرسول عليه السلام في الأوقات الشديدة والأحوال الصعبة، وذلك يفيد نهاية المدح والتعظيم».

(٢) التحرير والتنوير ١١/ ٤٩.

من الوسـواس والهواجس، فأخبر اللهُ سـبحانه أن تلك الشـدائد صارت مكفرة لجميع الزلات التي صدرت عنهم في ذلك السفر الطويل، بل مدة عمرهم، وصارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالإخلاص»[١].

وقد سـبق الإمـام الـرازي إلى بيـان المعنى الـذي ذكره النيسـابوري وغـيره، وأطـال في بيان معنى التوبة هنا وأنها كانت عن خواطر لم تسـتقر في القلـوب، وأنهـم اجتهدوا في التوجه إلى الله في إزالتها فقال: « لما اشـتد الزمـان في هذه الغـزوة على المؤمنين ... فربما وقع في قلبهـم نوعُ نُفرةٍ عن تلك السفرة، وربما وقع في خاطر بعضهم أنا لسنا نقدر على الفرار. ولست أقول عزموا عليه، بل أقول وساوس كانت تقع في قلوبهم، فالله تعالى بيَّن في آخر هذه السورة أنه بفضله عفا عنها »[٢].

٦- وإنْ فُـرِضَ أنَّ التوبة على المهاجرين والأنصار كانت عن معصية وقعـت من بعضهم في هذه الغـزوة فقد غفرها الله تعالى لهم، بل غفر جميع سيئاتهم، فهنيئاً لهم بهذه البشرى في آخر غزوة لهم مع رسول الله ﷺ.

وخلاصة ما سـبق: أن الآيـة بشرى لهم بأنهم عادوا مـن هذه الغزوة وقـد غفـر الله لهم ذنوبهـم، وأنها ثناء عـلى صبرهم في سـبيل الله على هذه الشدائد التي بلغت أقصاها.

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٩/ ٣٢.
(٢) تفسير الفخر الرازي ٨/ ٢١٩-٢٢٠.

٧ـ وأما توبة الله على رسوله ﷺ فهي رفع في درجاته، وترقية له ﷺ في رتب الكمال[١]، لأنّه معلوم أنّه ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ففي الآية أيضاً تأكيد على ذلك.

٨- وفي هذه الآية أيضاً تأكيد رفع العتاب عن النبيِّ ﷺ، إن فرض أنه ﷺ وقع منه خلاف الأولى في هذه الغزوة، وهو إذنه للمنافقين والمتثاقلين بالتخلف عن الخروج، كما في قوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [التوبة:٤٣] فإنْ تصَوَّر البعض ذلك فقد عفا الله عنه فلا عتاب عليه . والحقُّ أنَّ الله تعالى بيَّنَ للمؤمنين صواب فعله ﷺ، يقول ابن العربي: « أمّا أنه قد قيل: إنه يدخل في التوبة من إذنه للمنافقين في التخلف فعَذَره الله في إذنه لهم، وتاب عليه وعذَرَه، وبين للمؤمنين صواب فعله بقوله: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ [التوبة: ٤٧] »[٢].

٩- وليس في تخصيص المهاجرين والأنصار بالتوبة عليهم قَصْرُ الفضل عليهم، بل بيانٌ لعلو منزلتهم - كما سبق - وأنهم استحقوا ذلك جزاء ما قدموا حتى تأسى مَنْ بعدهم بهم، لا أنَّ فضل الجهاد في هذه الغزوة مقصور عليهم، وهذا أمر ظاهر:

---

(١) ينظر نظم الدرر ٩/ ٣٥

(٢) أحكام القرآن ٢/ ٥٩٥ .

– فقد وصف الله الخارجين لها بالصدق، ووعدهم جميعاً على ذلك الخيرات.

– وجاءت الآيتان العشرون والحادية والعشرون بعد المائة من هذه السورة تبشران الخارجين لها بأن الله سيجزيهم أحسن ما عملوا جزاء تحملهم وصبرهم مع رسول الله ﷺ[(١)].

– وجاء في الحديث ما يدل على عِظَم أجرهم جميعاً، فعن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ: رجع من غزوة تبوك فَدَنَا من المدينة فقال: « **إنَّ بالمدينة أقواماً ما سِرْتُم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلّا كانوا معكم** »، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة ؟! قال: « **وهم بالمدينة، حَبَسَهم العُذر** »[(٢)]. فليس الفضل مقصوراً على المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، وإن كانوا أعظمهم أجراً.

– وإذا كان من جاء بعد المهاجرين والأنصار فاتتهم الهجرة والنُّصرة

---

(١) وهما قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

(٢) أخرجه البخاري ٤/ ١٦١٠، برقم ٤١٦١، ومسلم عن جابر بنحوه ٣/ ١٥١٨، برقم ١٩١١، وقال: « **حبسهم المرض** ».

في أول الإسلام، فإنهم لَم يَفُتهم الجهادُ والنيَّة والنَّفيرُ عند الاستنفار، وهو المطلوب منهم كما قال ﷺ: « **لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيَّة، وإذا استُنفرتم فانفروا** »[(١)] . فسبحان من فتح باب الفضل للجميع .

هـ) ومن فضائل أهل غزوة تبوك أن الله تعالى نوَّه بما لاقوه من الشدائد في تلك الغزوة، وصبرهم عليها، وبما قدموا من نفقات، وبما يترتب على ذلك من تثبيت هذا الدين وإظهار مهابته، وسجل ذلك في كتاب وعدَّده، ويتضح بأدنى تأمل أن في ذلك إظهاراً لشرفهم ولرضا الله عنهم وقبوله لعملهم، وذلك في الآيات التي نزلت تلوم المتخلفين عن رسول الله وصونهم أنفسهم عن التعرض لما يتعرض له رسول الله من الأهوال وهو أعزُّ نفس عند الله وأكرمها عليه، وتَحَسُّرُهم على ما أضاعوا على أنفسهم من ثواب مكابدة ما لقي إخوانهم من المشقات، وتغريهم بعدم التخلف فيما بعد مهما كانت المشقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٠- ١٢١]. والنَّصَبُ هو التعب، والمخمصة هي المجاعة .

---

(١) أخرجه البخاري ٣/ ١٠٢٥، برقم ٢٦٣١، ومسلم ٣/ ١٤٨٨، برقم ١٨٦٤، وغيره.

و) ومـن فضائـل أهلها أن الله أراهـم من الآيات مـا يُثَبتهم ويزيد في إيمانهم، ونشر عليهم رحمته بعد أن ضاقت الأحوال بهم:

١ - فمـن بـركات مـا وقـع لهم أنهـم لما قَـلَّ فيهـم الزاد، واشـتد بهم العطش ونحروا إبلهم ليشربوا من الماء الذي في بطونها، ما رواه مسلم عن أبي هريـرة قـال: لمّـا كان غـزوةُ تبـوك أصـاب النّـاسَ مجاعـةٌ. قالـوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنَحَرْنا نواضِحَنا فأكلنا وادّهنّا. فقال رسول الله ﷺ: « **افعلوا** ». قال: فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إنْ فعلتَ قلَّ الظهرُ، ولكـن ادعهم بفضـل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليهـا بالبركة لعلّ الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: « **نَعَمْ** ».

قـال: فدعـا بِنِطَعٍ[1] فبسـطه، ثم دعـا بفضل أزوادهـم، قال: فجعل الرجـل يجـيء بكَـفِّ ذرة، قـال: ويجـيء الآخر بكـفٍّ تمر، قـال: ويجيء الآخـر بكـسرة حتـى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسـير، قـال: فدعا رسـول الله ﷺ عليه بالبركة ثم قال: « **خذوا في أوعيتكم** ». قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسـكر وعـاءً إلا ملأوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: « **أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يَلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيُحجب عن الجنة** »[2].

---

(١) أي بسـاط من جلد، وفي ضبط (نطع) أربع لغات مشـهورة، هذا أشـهرها، كما ذكر النووي في شرح مسلم ٢/ ١٧٢.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤٢، رقم ١٤٨ .

٢- ومن بركات ما وقع لهم: المطرُ الذي نزل لهم خاصة بحيث لم يتعدَّ المكانَ الذي هم فيه، وذلك بعدما اشتد بهم العطشُ حتى ظنوا أنهم سيهلكون من ذلك، فطلب الصديق من رسول الله ﷺ الدعاء للمسلمين، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « خرجنا إلى تبوكَ في قَيْظٍ شديدٍ، فنزلنا مَنْزِلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أنَّ رقابنا ستَنقطع، حتّى أَنْ كان الرَّجلُ ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى إنَّ الرجل ينحر بعيرَه فيعصرُ فَرْثَهُ فيشربُه، ويجعلُ ما بقي على كَبِده[1]، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إنَّ الله قد عوَّدك في الدعاء خيراً، فادْعُ لنا. فقال: « **أتحبُّ ذلك ؟**» قال: نعم. فرفع يده فلم يُرجِعهما حتى قالتِ السماءُ فأَظلمتْ، ثم سَكبَت فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جازت العسكر»[2].

وهكذا أراهم الله الآيات التي تدلُّ على عنايته تعالى بهم، وتصديق الله لرجائهم فيه سبحانه، والتي هي مظهر من مظاهر قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ .

ز) ومن فضائل أهل هذه الغزوة أن الله وصفهم بالإحسان، وضَمِنَ لهم أحسن الأجر، وذلك في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ ،

(١) أي ليرطب به كبده من شدة الحر .

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١/ ٥٢، برقم ١٠١، وابن حبان ٤/ ٢٢٣، برقم ١٣٨٣، والضياء المقدسي في المختارة ١/ ٢٧٨، برقم ١٦٨.

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، وهذا الوعد مستمر أيضاً لكل من كان كذلك إلى يوم القيامة.

ح) وممن فازوا في هذه الغزوة فوزاً عظيماً عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد حصل له من قوله عز وجل: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢١] حظٌّ وافر ونصيب عظيم، وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة، فقد أنفق فيها ألف دينار، وجهز ثلاثمائة بعير، ومن العلماء من قال: تسعمائة وأربعين بعيراً وستين فرساً أتم بها الألف[(١)]، فكُتِبت له بذلك المغفرة لما تقدم وما تأخر، وكتبت له الجنة .

عن عبد الرحمن بن سمرة قال: « جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فصبّها في حجر النبي ﷺ فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: « **ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم** ». يرددها مراراً[(٢)].

وجاء بيان هذه النفقة العظيمة في حديث عثمان عندما حوصر في بيته

---

(١) روي ذلك عن الزهري، ينظر الرياض النضرة ٣/ ١٦ – ١٧، في خصائص عثمان، ذكر اختصاصه بتجهيز جيش العسرة .

(٢) سنن الترمذي ٣٧٠١، ومسند أحمد ٥/ ٦٣ .

وهو يدافع عن نفسه ويحاول درء الفتنة، يستشهد بكبار الصحابة حيث قال: « أَنشُدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال: « **مَنْ يجهز هؤلاء غفر الله له** » فجهزتهم حتى ما يَفقِدون خِطاماً ولا عِقالاً ؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثم انصرف »[١].

وعند البخاري قال عثمان لهم: « ألستم تعلمون أنه - [أي رسول الله ﷺ]- قال: « **مَنْ جهّز جيش العسرة فله الجنة** » فجهزتهم؟ قال: فصدقوه »[٢].

وجاء بيانها أيضاً في حديث عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال: شهدتُ رسولَ الله ﷺ، وهو يَحُثُّ على تجهيز جيش العسرة، فقام عثمانُ ابنُ عفان، فقال: يا رسولَ الله، عليَّ مائةُ بعير بأَحْلاسِها وأَقْتَابِها[٣] في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمانُ فقال: يا رسولَ الله، عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان بن عفان، فقال: عليَّ ثلاثمائةِ بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيتُ

---

(١) سنن النسائي ٦/ ٤٦، ٢٣٤، ومسند أحمد ١/ ٧٠ واللفظ له، وصحيح ابن حبان ١٥/ ٣٦٢ .

(٢) صحيح البخاري ٧/ ١٨٣، برقم ٢٧٧٨ .

(٣) الأحلاس: جَمع حِلْس وهو الكِسَاء الذي يَلِي ظَهْر البعير تحت القَتَب. والقَتَب الكساء أو الرَّحْلُ الصغير على قدر سنام البعير. (النهاية، مادة حلس، والمعجم الوسيط مادة قتب).

رسولَ الله ﷺ ينزل عن المنبر، وهو يقول: « **ما على عثمانَ ما فَعل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه** »(١).

ط) وفاز في هذه الغزوة غير عثمان بقية أصحاب رسول الله ﷺ الذين أنفقوا فيها، رجالاً ونساءً، فكانت لهم نفقات عظيمة، كُلٌّ حسب سعته ومقدرته:

فقد روى الواقدي عن جمعٍ من شيوخه جامعاً لحديثهم عن هذه الغزوة قالوا: « حَضَّ رسول الله ﷺ المسلمين على القتال والجهاد ورغَّبهم فيه وأمرهم بالصدقة فحملوا صدقات كثيرة، فكان أولَّ من حَمَل أبو بكر الصديق رضي الله عنه جاء بماله كلِّه أربعة آلاف درهم، فقال له رسول الله ﷺ: « **هل أبقيت شيئاً ؟** » قال: الله ورسوله أعلم، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، فقال له رسول الله ﷺ: « **هل أبقيت شيئاً ؟** » قال: نعم، نصف ما جئت به . وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر فقال: ما استبقنا إلى الخير إلا سبقني إليه .

وحَمل العباسُ بن عبد المطلب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ مالاً، وحمل طلحة بن عبيد الله إلى النبي ﷺ مالاً، وحَمَل عبد الرحمن بن عوف إليه مالاً، مائتي أوقية.

(١) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٦٢٥، رقم ٣٧٠٠، ورواه أحمد بنحوه ٤/ ٧٥، والطيالسي في مسنده ١/ ١٦٤.

وحمل سعد بن عبادة إليه مالاً، وحمل محمد بن مسلمة إليه مالاً . وتصدَّق عاصم بن عدي بتسعين وسقاً تمراً . وجهَّزَ عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلث ذلك الجيش، فكان من أكثرهم نفقة حتى كفى ذلك الجيش مئونتهم، حتى إن كان ليقال ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شُنُقَ[١] أسقيتهم. فيقال: إن رسول الله ﷺ قال يومئذ: « **ما يضر عثمانَ ما فعلَ بعد هذا** ».

ورغب أهل الغنى في الخير والمعروف واحتسبوا في ذلك الخير، وقوَّى ناسٌ دون هؤلاء مَنْ هو أضعفُ منهم حتى إن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول: هذا البعير بينكما تعتقبانه، ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض مَنْ يخرج.

حتى إنْ كُنَّ النساءُ ليُعِنَّ بكلِّ ما قدَرنَ عليه، لقد قالت أم سنان الأسلمية: لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة فيه مَسْكٌ[٢] ومعاضد وخلاخل وأقرطة وخواتيم وخدمات[٣] مما يبعث به النساء يعنَّ به المسلمين في جهازهم »[٤] .

---

(١) الشُنُق: جمع شناق، وهو الخَيط أو السَّير الذي تُعلَّق به القِرْبة والخَيْط الذي يُشَدُّ به فمُها. (النهاية، مادة شنق).

(٢) المَسْك: جمع مَسَكة، وهي: السِّوارُ من قُرون الأوْعالِ، وقيل: جلودُ دابّة بحْرِيَّة . (النهاية، مادة مسك) .

(٣) الخدمات: جمع خَدَمَة يعني الخلْخَالَ. والمعاضد: جمع معضد، وهي حلية تشد على العضد، وتسمى الدُّملج. (النهاية: مادة خدم، ولسان العرب، مادة عضد).

(٤) المغازي للواقدي ٣/ ٩٩٠- ٩٩٢، وتاريخ دمشق ٢/ ٣٤- ٣٥ .

فهـذه بعـض نفقات من قـال الله تعالى فيهـم: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾. فرضي الله تعالى عنهم أجمعين .

ي) وفاز في هذه الغزوة أناس مخصوصون كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث أبان رسـول الله ﷺ قرب منزلته عنده واختصاصه بمؤاخاته، حين خلَّفه النبي ﷺ ليرعى أهله ويتولى شـؤونهم في هذه الغيبة الطويلة، « وأما المدينة فاستخلف رسول الله ﷺ عليها محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنـه »[1]، وتكلَّـم المنافقون في حق عليٍّ رضي الله عنه فردَّ عليهم رسـول الله ﷺ بما يقطع ألسـنتهم، وبيَّن أنه منه بمنزلة هارون من موسى عليهـما السـلام، فكـما اسـتخلف نبي الله موسـى أخـاه هـارون على بني إسرائيل عندما ذهب لمناجاة ربه في الطور، اسـتخلف رسول الله ﷺ عليّاً على أهله، ولكن اسـتخلاف هارون عليه السـلام كان عاماً، واستخلاف علي رضي الله كان خاصاً .

ففـاز عليٌّ رضي الله عنه في هذه الغـزوة بأمرين: بثواب المجاهدين في الأجر، وبهذه المنزلة من رسول الله ﷺ في القرب .

ففـي الصحيحـين عـن سـعد بـن أبي وقـاص رضي الله عنـه: « أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليّاً، فقال: أتخلفني في الصبيان

---

(١) ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٢٥، ٣/ ٣٣٨ .

والنساء؟ قال: « **ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي** »[(١)].

وعند أبي يعلى وغيره عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « لمّا غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك خلَّف علياً بالمدينة فقال الناس: ملَّه وكره صحبته، فبلغ ذلك عليّاً فخرج حتى لحق بالنبي ﷺ فقال: يا رسول الله خلَّفتني بالمدينة مع النساء والصبيان والذراري حتى قال الناس: ملَّه وكره صحبته ؟ فقال: « **يا عليُّ، إنما خلّفتك على أهلي، أمَا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟** »[(٢)] اهـ. فقال عليٌّ رضي الله عنه كما في رواية أخرى: « رضيت، رضيت »[(٣)].

ك) وفاز في هذه الغزوة ممن لم يخرج إليها أصحابُ الأعذارِ الحقيقيةِ من العَجَزة والشُّيوخ والمرضى والفقراء الذين تمنَّوا أن يكونوا مع المجاهدين، وكذلك الذين أقعدهم النبي ﷺ بأمر منه، إذا أدوا ما عليهم من النصيحة لله ولرسوله، فرَفَعَ اللهُ العتابَ عنهم، وبيَّن رسول الله ﷺ أنهم شركاء في الأجر.

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري ١٠/ ٥٠٢، رقم ٤٤١٦، وصحيح مسلم ٤/ ١٨٧٠، رقم ٢٤٠٤ .

(٢) مسند أبي يعلى ٢/ ٨٦، رقم ٧٣٨، والسنن الكبرى للنسائي ٧/ ٣٠٧، رقم ٨٠٨٢.

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٥/ ٤٢٧، رقم ٤٢٧، ومسند أبي يعلى ٢/ ٦٦، رقم ٧٠٩، وأخرجه أحمد ٣/ ٩٧ بنحوه.

وطيَّبَ الله قلوب أقوام منهم خاصة بما يُشْعر بمزيد المدح، وهم الفقراء الأصحاء الذين لم يتمكنوا من الخروج لعدم القدرة على الإنفاق عليهم، ولعدم وجود ظهر يركبون عليه ولو تباعاً، وجاء تصوير آيات القرآن لهذا الموقف تصويراً يبين قمة إخلاصهم لله ولرسوله، كل ذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩١- ٩٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ رسول الله رجع من غزوة تبوك فَدَنَا من المدينة فقال: « **إنَّ بالمدينة أقواماً ما سِرْتُم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلاَّ كانوا معكم** »، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟! قال: « **وهم بالمدينة، حَبَسَهم العُذر** »[1].

ل) وفي أعقاب هذه الغزوة تاب الله على ثلاثة من أهل الإيمان تباطؤوا عن الخروج غير شاكين، فأقعدهم تباطؤهم، وذلك بعد أن صَدَقوا في توبتهم وكاد الندم أن يقتلهم، فتاب الله عليهم ليتوبوا، وكان في ذلك درس بليغ لكل مؤمن غير معذور لئلا يتخلف عن رسول الله فيما بعد، يقول

---

(١) أخرجه البخاري ٤/ ١٦١٠، برقم ٤١٦١، ومسلم عن جابر بنحوه ٣/ ١٥١٨، برقم ١٩١١، وقال: « **حبسهم المرض** ».

كعـب بن مالك، وهو أحد هؤلاء الثلاثـة: « وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً[١] عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء »[٢] .

ووقـف الصحابـة مـن هؤلاء الثلاثـة موقفـاً أبان عن شـدة ولائهم وطاعتهم لله ولرسوله، فلم يتهموهم بنفاق بل قاطعوهم حتى يفصل الله عـز وجـل في أمرهم، كما قـال ﷺ في أحدهم: « **أمّا هـذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك** »[٣] وظلُّوا مقاطعين لهم خمسـين ليلة، حتى أعلم الله تعـالى بتوبته عليهـم[٤]، وهكذا كان مجتمعهم رضي الله عنهم شـدة طاعة وولاء لله ولرسوله .

وبعـــد: فقد بانَ لنـا فضلُ أهل غزوة العسرة، وبعض ما حملته آياتها مـن القواطع واللطائـف، وظهر لنـا أن بركاتها كانت بـركات كثيرة وأن ظلالها ظلال وفيرة، ولذلك أطلنا الكلام عنها نوعاً ما.

ويكفي مِن بركاتها أن الله تعالى قدَّرَها على هذا النحو من النَّفير العامِّ

(١) قـال ابـن حجر « أي مطعوناً عليه في دينه متهما بالنفاق، وقيل معناه مسـتحقرا» . فتح الباري ٨/ ١١٨.

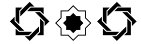
(٢) أخرجه البخاري ٤/ ١٦٠٣، برقم ٤١٥٦، ومسلم ٤/ ٢١٢٠، برقم ٢٧٦٩.

(٣) التخريج السابق .

(٤) ينظر صحيح البخاري ٦/ ٤٦٤٠، برقم ٦٧٩٨.

ليدخلَ فيها جَمعٌ عظيم من المسلمين ممن أسلموا بعد الحديبية وبعد الفتح من أهل مكة الذين قال لهم رسول الله ﷺ: « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** »، وأهل الطائف وغيرهم من القبائل لينالوا شرف الجهاد مع رسول الله ﷺ بالأنفس والأموال في آخر حياته ﷺ، وليدخلوا في هذه البشارة العظيمة في قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

فرضي الله عنهم وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ.



الفصل الرابع
في ظلال آيات الثناء
على جماعات من الصحابة

ويشتمل على:

ما جاء في فضل الإمام عليٍّ وفاطمة الزهراء والحسنين رضي الله عنهم.

الثناء على الإمام عليٍّ بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهم.

فضل أهل بيت النبي ﷺ (زوجاته وقرابته).

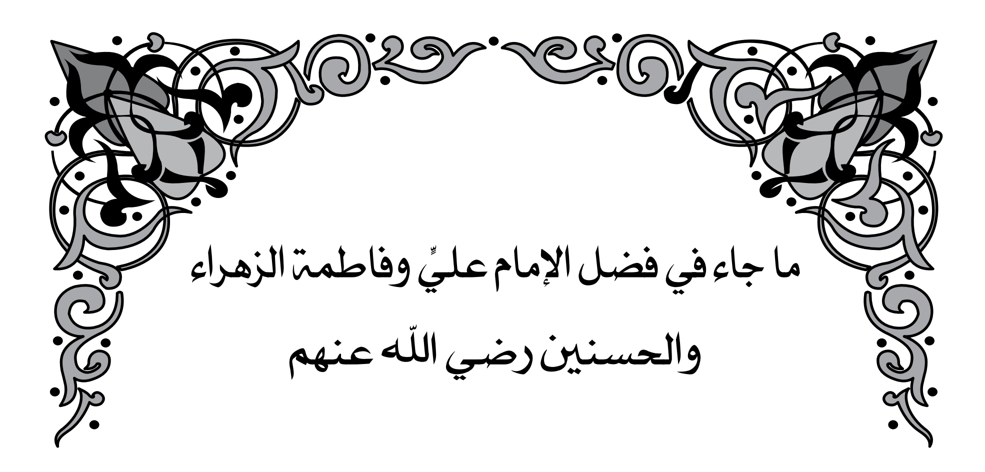
ما جاء في فضل فقراء الصحابة وضعفائهم.

ما جاء في فضل بني حارثة وبني سَلِمة الأنصاريين.

ما جاء في الثناء على أهل قُباء.

فضل من أسلم من أهل الكتاب من أصحاب رسول الله ﷺ.





ما جاء في فضل الإمام عليٍّ وفاطمة الزهراء والحسنين رضي الله عنهم

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩- ٦١].

الآية الثالثة من الآيات السابقة، هي الآية المعروفة بآية المباهلة، وفيها فضيلة واضحة لآل بيت رسول الله ﷺ [(١)].

يقول الحافظ ابن كثير في سبب نزول هذه الآية: « وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران، أن النصارى حين قدموا فجعلوا يُحَاجّون في عيسى، ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية، فأنزل الله صَدْرَ هذه السورة رَدّاً عليهم »[(٢)].

---

(١) ينظر روح المعاني ٣/ ١٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٩- ٥٠ .

وسوف نتناول هذه الآية بما يبين دلالاتها على فضل أهل البيت رضي الله عنهم من خلال ثلاثة أمور، أولاً: بيان معناها، ثانياً: بعض ما ورد في المباهلة من أحاديث وآثار، ثالثاً: دلالاتها.

أولاً: معنى الآية الكريمة :

معنى الآية: أي فإن جادلك أهل الكتاب يا محمد في شأن عيسى من بعد أن أخبرك ربك بما هو الحق من أمره فقل لهم ﴿ **تَعَالَوْاْ** ﴾ أي أقبِلوا أيها المجادلون إلى أمر يُعرف فيه الحق من الباطل، وهو أن ندعو نحن وأنتم الأبناء والنساء ثم نجتمع جميعاً في مكان واحد، ثم نتضرع إلى الله ونبتهل إليه بأن يجعل لعنته على الكاذبين في دعواهم، المنحرفين عن الحق في اعتقادهم[1].

ثانياً: بعض ما ورد في المباهلة من الأحاديث والآثار الدالة على فضل آل البيت رضي الله عنهم:

١ - روى مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ولما نزلت هذه الآية: ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ** ﴾، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: « **اللهم هؤلاء أهلي** »[2].

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٣/ ١٧١ .

(٢) ٤/ ١٨٧١، رقم ٢٤٠٤ .

٢- وذكر ابن كثير في تفسيره عن أبي بكر بن مردويه بسنده، عن الشعبي، عن جابر رضي الله عنه، قال: « قدم على النبي ﷺ العاقبُ[(١)] والطيب، فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة، قال: فغدا رسول الله ﷺ، فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيبا وأقرّا له بالخراج، قال: فقال رسول الله ﷺ « **والذي بعثني بالحق لو قالا: لا، لأمطر عليهم الوادي ناراً** » . قال جابر: وفيهم نزلت: ﴿ **نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ** ﴾، قال جابر: ﴿ **أَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ** ﴾: رسول الله ﷺ وعليُّ بن أبي طالب، ﴿ **أَبْنَآءَنَا** ﴾: الحسن والحسين، ﴿ **وَنِسَآءَنَا** ﴾: فاطمة »[(٢)].

٣- وروى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال: « جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا . قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً . فقال: « **لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حق أمين** » .

---

(١) العاقب هو لقب لأمير وفد نجران وصاحب مشورتهم، وكان اسمه المسيح . (ينظر تفسير ابن كثير ٢/ ٥٠) .

(٢) ٢/ ٥٥، وقال ابن كثير: « وهكذا رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٩٣-٥٩٤)، عن علي بن عيسى، عن أحمد بن محمد الأزهري عن علي بن حُجْر، عن علي بن مُسْهِر، عن داود بن أبي هند، به بمعناه. ثم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. هكذا قال. وقد رواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن المغيرة عن الشعبي مرسلاً، وهذا أصح، وقد روي عن ابن عباس والبراء نحو ذلك ».

فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: « **قم يا أبا عبيدة بن الجراح** »، فلما قام قال رسول الله ﷺ: « **هذا أمين هذه الأمة** » (١).

ثالثاً: من دلالات الآية على فضل آل بيت رسول الله ﷺ:

قوله عز وجل: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾.

يقول الزمخشري رحمه الله في الكشاف: « فيه دليل لا شيء أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء »(٢). وهم عليٌّ وفاطمة والحسنان رضي الله عنهم.

١-فهذه الآية وما فُسّرت به من فِعل النبي ﷺ فيها دلالةٌ على أن عليّاً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم هم أخصُّ أهله ﷺ وأعزهم عليه، وأقربهم إلى قلبه، ولذلك اختار السيدة فاطمة من بين نسائه، وعليّاً مِن بين مَن هم بمنزلة نفسه ﷺ . فضلاً عن أن مقام المباهلة يقدم فيه الأخص على غيره تأكيداً على الثقة واليقين بالصدق(٣).

(١) ٤/ ١٥٩٢، رقم ٤١١٩ . السيد هو لقب لصاحب رِحال وفد نجران وصاحب مجتمعهم ورئيسهم في ذلك، واسمه الأيهم. (ينظر فتح الباري ٧/ ٩٤)

(٢) الكشاف ١/ ٣٧٠ . وقد سموا بأهل الكساء لأن النبي ﷺ جللهم معه بكسائه ودعا لهم .

(٣) يقول أبو السعود رحمه الله (٢/ ٤٦): « وتقديمهم على النفس في أثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومظانّ التلَف مع أن الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للإيذان بكمال أمنه عليه الصلاة والسلام وتمام ثقته بأمره وقوة يقينه بأنه لا يصيبهم في ذلك شائبة مكروه أصلاً ».

وعلى نحو ما سبق جاءت أقوال كثير من المفسرين، يقول أبو السعود في هـذه الآيـة: « أي: ليدع كل منا نفسـه وأعزَّة أهلـه وألصقهم بقلبه إلى المباهلة، ويحملهم عليها »[١].

٢- وفيها أن الحسن والحسين رضي الله عنهما يقال لهما (ابنا النبي ﷺ) مع أنهما ابنا بنته رضي الله عنها[٢]، و هذا تشريفٌ غايةَ التشريف، وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة .

٣- قال ابن قتيبة في معنى: ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ «أي: إخواننا وإخوانكم »[٣]. وقال أبو جعفر النحاس: « قيل: يعني بالأنفس ها هنا أهل دينهم » [٤]. وفيها فضيلة ظاهرة لعلي رضي الله عنه، إذ اختاره النبي

---

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ٤٦ . وينظر غرائب القرآن للنيسابوري ٢/ ٢١٣ .

(٢) ينظر تفسير الرازي ٤/ ٩٠ . ومن العلماء من جوز إدخال عليٍّ رضي الله عنه في الأبناء على سبيل المجاز، يقول الآلوسي (٣/ ١٨٩): « ... والعرف يعد الختن ابناً من غير ريبة » .

قال الشوكاني وغيره في قوله تعالى ﴿ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾ : « اكتفى بذكر البنين عن البنات إما لدخولهن في النساء أو لكونهم الذين يحضرون ». (فتح القدير ١/ ٣٤٧).

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٠٦ .

(٤) معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس ١/ ٤١٤ . وفسر البغوي (أنفسنا) بالإخوان، وقيل هو على العموم الجماعة أهل الدين. (تفسير البغوي ٢/ ٤٨) .

قال ابن عطية موافقاً لهذا المعنى: « وظاهر الأمر أن النبي عليه السلام جاءهم بما يخصه، ولو عزموا استدعى المؤمنين بأبنائهم ونسائهم، ويحتمل أنه كان يكتفي بنفسه وخاصته فقط ». (المحرر الوجيز ٣/ ١٥٣).

وقد جاء لفظ النفس في القرآن لمعان عدة، منها: القريب، والشريك في الدين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾ أي أهل دينهم، =

ﷺ من بين أقاربه. وفي التعبير عن الأخوة بالنفس، تنزيل لها منزلة النفس، وفيها من تشريف عليٍّ وعلو مقامه مالا يخفى، إذ اختاره النبي ﷺ من بين من يمكن أن يصدق عليه أنه بمنزلة نفسه ﷺ، وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال لعليٍّ: « **أنت منِّي وأنا منك** »[(١)].

قال البغوي رحمه الله: « قيل ... (وأنفسنا) : عنى نفسه وعليّاً رضي الله عنه. والعربُ تسمي ابنَ عمِّ الرجل نفسه »[(٢)] .

٤- يقول الـمُلّا علي القاري رحمه الله صاحب مرقاة المفاتيح في هذه الآية: « دعا رسول الله ﷺ علياً فنزَّله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والأخوة، وفاطمة - أي لأنها أخص النساء من أقاربه - وحسناً وحسيناً فنزلهما منزلة ابنيه ﷺ »[(٣)].

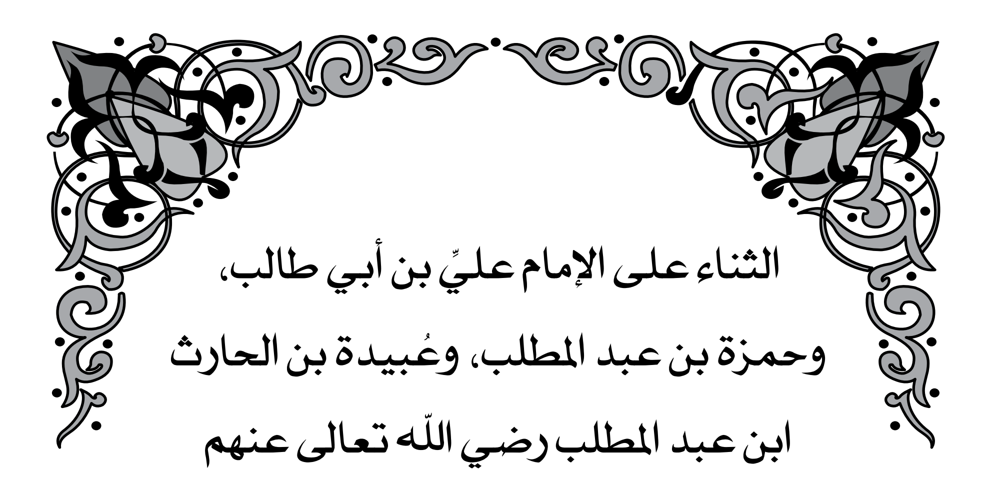
فهذه بعض دلالات الآية على فضل آل بيت رسول الله ﷺ .

= ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾، ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرًا﴾. وقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي: فابدأوا بالسلام على أهلها، الذين هم منكم، الذين هم بمنزلة أنفسكم؛ لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية أو النَّسَبِيَّةِ، فليس معنى النفس مقصوراً على ذات الشخص، يقول الآلوسي رحمه الله بعد أن بين ذلك: « فلعله لما كان للأمير -[يقصد علياً]- رضي الله عنه اتصال بالنبي ﷺ في النسب والمصاهرة واتحاد الدين عبَّر عنه بالنفس» . (روح المعاني ٣/ ١٨٩) . وينظر البحر المديد ١/ ٣٦٣ .

(١) ٢/ ٦٩٠، ٤/ ١٥٥١، برقم ٢٥٥٢، ٤٠٠٥.

(٢) تفسير البغوي ٢/ ٤٨ .

(٣) مرقاة المفاتيح ٥/ ٥٨٩ .



الثناء على الإمام عليٍّ بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعُبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهم

يقول الله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾. [الحج: ١٩- ٢٢].

روى البخاري ومسلم في هذه الآية عن قيس بن عباد قال: « سمعت أبا ذر يُقْسِم قَسَماً: إنَّ هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعُبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة »[١].

وعن قيس بن عباد عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: « أنا أولُ من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة . وقال قيس ابن

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٤٥٩، رقم ٣٧٤٨، ومسلم ٦/ ٣٠٣٣، رقم ٣٠٣٣، وهذا لفظ البخاري.

عبـاد وفيهم أنزلـت: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ﴾ . قال: هم الذين تبـارزوا يـوم بدر: **حمزة وعلي وعُبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث**، وشـيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة »[١].

بعض دلالات هذه الآيات على فضل هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم:

سـبق الـكلام عـلى هـذه الآيـات الكريـمات في الثنـاء على أهـل بدر رضي الله تعالى عنهم، ونزيد هنا أن:

١ – في هذه الآيات ما فيها من الثناء على فريق أهل الإيمان الذين بارزوا المشركين مبارزة مستقلةً قبل بَدءِ القتال ببدر نصرةً لربهم سبحانه وتعالى، فما كان اختصامهم كلاماً ولكن تصديقاً ببذل النفس في سبيل الله.

٢ – في قولـه تعالى: ﴿ فِى رَبِّهِمْ ﴾ بيان للحامل لهم على هذا القتال بأنه في الله تعالى، وشهادة بصدقهم وإخلاصهم رضي الله عنهم لربهم سبحانه وتعالى .

٣– تسجيل الله تعالى لهذا الموطن على سبيل الإشادة به ، لأنهم فضلاً عما ذكرنا سـابقاً كانـوا أول المبارزين في سـبيل الله، ولأنهم بذلك صاروا قدوة لمن بعدهم.

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٤٥٨، رقم ٣٧٤٧ .

٤- وسجَّل الله تعالى هذا الموقف أيضاً لأنه بشرى من بشريات النصر التي ثَبّتَ الله تعالى بها المؤمنين، وجاءت هذه البشرى على يد هؤلاء الثلاثة الكرام.

٥- وفي هذه الآيات إشارة بالبشارة لهؤلاء الثلاثة أنهم من أهل الجنة، فإذا كان الله قَطَّع للكافرين ثياباً من نار ... إلى آخر ما أعده لهم في جهنم، فأول الداخلين في هذا الوعيد هذا الفريق الذي بارز من الكافرين -وهذا باعتبار سبب نزول الآيات وسياقها- وكذلك فإنه تعالى إذا كان أعدَّ للمؤمنين جنّته - كما بيَّن في هذه الآيات - فأول الداخلين هؤلاء المؤمنين الذين اختصموا في ربهم بمبارزة الكافرين، والذين نزلت الآيات بسببهم: عليٌّ وحمزةُ وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم. فهذا ترتيب ما في الآيات من إنذار وبشرى، والله أعلم.

وهذا بعض ما تدل عليه الآيات من فضل هؤلاء الثلاثة رضي الله تعالى عنهم .







فضل أهل بيت النبي ﷺ

(زوجاته وقرابته)

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

هذه الآية الكريمة نص على فضائل ظاهرة لأهل بيت رسول الله ﷺ، ومزيد عناية بهم رضي الله تعالى عنهم، ففيها « تكريم بالغ من الله لأهل بيت نبيه الأطهار، من حيث إن الله الذي في قبضته ملكوت السماوات والأرض يريد لهذا البيت أن يذهب عنه كل ما تعافه النفس ويأنفه الطبع، ويريد كذلك أن يطهرهم ... تطهيراً مؤكداً نقياً »[(١)].

المراد بأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية:

اختلف العلماء في المراد بأهل بيته ﷺ في هذه الآية[(٢)]، يقول الزجاج رحمه الله: « قيل: يراد به نساء النبي ﷺ، وقيل: يراد به نساؤه وأهله الذين هم أهل بيته »[(٣)].

---

(١) من أسرار التعبير القرآني، د. محمد محمد أبو موسى (ص ٢٩٥).

(٢) تنظر الأقوال في ذلك في زاد المسير ٦/ ٣٨١- ٣٨٢ .

(٣) تفسير القرطبي ١٤/ ١٨٢ . ويقول الرازي رحمه الله (١٣/ ٢١٠) في إحدى تخريجاته: =

والظاهر من سياق هذه الآية وسبب نزولها، أنها في زوجات النبي صلى الله عليه وآله سلم، وقد وردت أحاديث في الصحيح وغيره تدل على أن المراد أعم من ذلك[1]، فيدخل فيها زوجاته ﷺ وأهل الكساء: عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً. وهؤلاء جميعاً أهل بيته الذين كانوا يساكنونه في بيوته ممن يعدون من أهله ﷺ.

يقول ابن عطية رحمه الله في هذه الآية: « فأهل البيت: زوجاته، وبنته، وبنوها، وزوجها »[2].

ويقول الإمام الرازي رحمه الله في ذلك: « واختلفت الأقوال في أهل البيت، والأولى أن يقال: هم أولاده وأزواجه، والحسن والحسين منهم، وعليٌّ منهم ؛ لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته ببنت النبي عليه السلام، وملازمته للنبي ﷺ »[3].

= « ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم ». اهـ. وينظر قريب من ذلك في تفسير أبي السعود ٩/ ١٠٣ .

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٦/ ٤١١ .

(٢) المحرر الوجيز ١٢/ ٦٢ .

(٣) تفسير الرازي ١٣/ ٢١٠ . ويزاد على ما ذكر في حق عليٍّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ آخاه.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله (١٤/ ١٨٢- ١٨٣): « وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت، من هم؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصة، لا رجل معهن. وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي ﷺ، لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾. وقالت فرقة منهم الكلبي: هم عليٌّ وفاطمة والحسن =

ويقـول ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: « وهذا نصٌّ في دخول أزواج النبـي ﷺ في أهـل البيـت ها هنا ؛ لأنهن سـبب نزول هذه الآية، وسـبب

= والحسـين خاصة، وفي هذا أحاديث عن النبي عليه السلام، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ بالميـم ولـو كان للنسـاء خاصة لكان (عنكن ويطهركن)، إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل، كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك، أي امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، قال الله تعالى: ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾. والـذي يظهر من الآية أنهـا عامـة في جميع أهل البيـت من الأزواج وغيرهـم، وإنما قـال: ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾ لأن رسـول الله ﷺ وعليّاً وحسـناً وحسـيناً كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكـر، فاقتضت الآية أن الزوجات مـن أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام. والله أعلم» .

ثـم قال القرطبي (١٤/ ١٨٣): « والصحيح أن قوله: ﴿ وَاذْكُرْنَ ﴾ منسـوق عـلى ما قبله. وقـال ﴿عَنكُمُ ﴾ لقوله ﴿أَهْلَ ﴾ فالأهل مذكر، فسـماهن وإن كن إناثا باسـم التذكير فلذلك صار ﴿ عَنكُمُ ﴾. ولا اعتبار بقول الكلبي وأشـباهه، فإنه توجد له أشياء في هذا التفسير ما لو كان في زمن السلف الصالح لمنعوه من ذلك وحجـروا عليه. فالآيات كلها من قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ﴾- إلى قوله- ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحـزاب: ٢٨: ٣٤] منسـوق بعضهـا على بعض، فكيف صار في الوسـط كلامـا منفصلاً لغيرهن! وإنـما هذا شيء جرى في الأخبـار أن النبي عليه السلام لما نزلت عليه هذه الآية دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين، فعمد النبي ﷺ إلى كسـاء فلفها عليهم، ثم ألوى بيده إلى السـماء فقال: « **اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهـم أذهـب عنهم الرجـس وطهرهم تطهـيراً** ». فهذه دعوة من النبـي ﷺ لهم بعد نزول الآية، أحبَّ أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج، فذهب الكلبي ومن وافقه فصيرها لهم خاصة، وهي دعوة لهم خارجة من التنـزيل». وينظر كلام الطاهر ابن عاشور في ذلك في التحرير والتنوير ٢٢/ ١٤- ١٧ .

النـزول داخـل فيـه قولاً واحـداً، إمَّـا وحده على قَـولٍ، أو مـع غيره على الصحيح »[١].

وقـال ابن كثير أيضـاً: ولكـن إذا كان أزواجه من أهل بيتـه، فقرابته أحق بهذه التسمية، كما تقدم في الحديث: « **وأهلُ بيتي أحق** »[٢].

معنى الآية الكريمة وبعض ما فيها من اللطائف الدالة على فضلهم رضي الله عنهم:

هـذه الآية تعليل لما تضمنته الآيات السـابقة مـن الأوامر والنواهي، يقول الشـوكاني رحمه الله تعالى في قوله تعـالى: « ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ** ﴾ أي: إنـما أوصاكـن الله بـما أوصاكـن من التقـوى، وأن لا تخضعـن بالقـول، ومـن قـول المعـروف، والسـكون في البيـوت، وعدم التبرج، وإقامة الصلاة، وإيتـاء الزكاة، والطاعة، ليذهب عنكم الرجس أهل البيت »[٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤١١). وينظر تفسير أبي السعود (٩/ ١٠٣) .

ويقول الطاهر بن عاشور رحمه الله (٢٢/ ١٦): « وبهذا يتضح أن أزواج النبي ﷺ هن آل بيته بصريح الآية، وأن فاطمة وابنيْها وزوجها مجعولون أهل بيته بدعائه أو بتأويل الآية على محاملها. ولذلك هُمْ أهل بيته بدليل السنة، وكلُّ أولئك قد أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، بعضه بالجعل الإلهي، وبعضه بالجعل النبوي».

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٤١٥- ٤١٦ .

(٣) فتح القدير ٤/ ٢٧٨ .

ويقـول الطاهـر بـن عاشـور رحمـه الله في معنى هـذه الآيـة أي: « ما يريـد الله لكُنَّ مما أمركـن ونهاكن إلا عصمتكن مـن النقائص، وتحليتكن بالكمالات ودوام ذلك، أي لا يريد من ذلك مقتاً لكُنَّ ولا نكاية »(١).

والرِّجس هو الإثم، وكل ما يستقذر مروءةً. يقول ابن عطية رحمه الله: « الرجـس: اسـم لمـا يقع على الإثـم والعـذاب والنجاسـات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت »(٢).

ويقول الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: « والرجس في الأصل: القَذَرُ الذي يلوث الأبدان، واستعير هنا للذنوب والنقائص الدينية ... واستعير التطهير لضد ذلك، وهو تجنيب الذنوب والنقائص ... واستعير الإذهاب للإنجـاء والإبعاد »(٣). وفي هذه الاسـتعارات ترغيب لأصحاب الطباع السليمة، والعقول المستقيمة في الطاعة، وتنفيراً لهم عن المعصية (٤).

ثـم قـال الطاهر بن عاشـور: « وكل أولئـك - [أي الزوجات وأهل الكساء] - قد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ...»(٥).

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ١٥، وقال الآلوسي نحو هذا في تفسيره (٢٢/ ١٩).
(٢) المحرر الوجيز ١٢/ ٦١ . وينظر زاد المسير ٦/ ٣٨١ .
(٣) التحرير والتنوير: ٢٢/ ١٤ . وينظر الكشاف ٣/ ٥٣٨ .
(٤) ينظر نظم الدرر ١٥/ ٣٤٦ .
(٥) السابق ٢٢/ ١٦ .

من فوائد هذه الآية ولطائفها الدالة على فضل أهل البيت:

١- يقـول الآلوسي رحمه الله تعالى في بيـان دلالة الآية على مدح أهل البيـت: « ويظهـر هذا المدح مـن جهة الاعتناء بشـأنهم، وإفادتِهم محبةَ الله تعالى لهم هذا الأمرَ الجليل الشأن، ومخاطبتِهِ سبحانه إياهم بذلك، وجعله قرآناً يتلى إلى القيامة »[١]. ولا شك أن كل واحدة من هذه الدلالات منقبة عظيمة لهم .

٢- وفي قولـه تعـالى ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ هكـذا بحـذف حـرف النـداء إشـعار بالتقريب والتكريـم، وأن خطاب الله تعالى لهم هـو خطاب قُرْبٍ وملاطفة[٢] .

٣- وفي إسـناد أفعال هذه الجملة كلها إلى الله، أي يريد الله، ويذهب عنهـم الله الرجـس، وينقي قلوبهم ونفوسـهم بيـده القـادرة، وهو الذي يطهركـم بنفسـه تطهـيراً، في هذه الإسـنادات إليه سـبحانه مزيـد تكريم وتأكيد على حصوله[٣] .

٤- وفي التعريـف باللام في قوله تعالى ﴿ ٱلْبَيْتِ ﴾ إشـارة إلى أنه بيت متعـالم مشـهور، لا ينـصرف الذهن على غـيره، والإضافـة في قوله تعالى:

---

(١) روح المعاني ٢٢/١٨ .

(٢) ينظر من أسرار التعبير القرآني ص ٢٩٥ . وهو على تقدير نصب (أهل) على النداء .

(٣) ينظر السابق ص ٢٩٥- ٢٩٦ .

﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ تفيد التعظيم والتشريف، أي: يا أهل البيت القائم في العالمين رمز الهداية والرشاد، والطهر والنور[١].

٥- وفي إضافة (أهل) إلى (البيت) أي البيت النبوي، إشارة إلى أن هذا التكريم من أجل النبي ﷺ، وببركة انتسابهم إليه .

٦- وهذا المعنى السابق مستفاد أيضاً - كما ذكر بعض العلماء - من مجيء ضمير الجمع في (عنكم) وفي (ويطهركم) رغم أن الخطاب لزوجات النبي، تغليباً لوجود النبي ﷺ بينهن. يقول الطاهر بن عاشور: « وفي هذا التغليب إيماء إلى أن هذا التطهير لهنّ لأجل مقام النبي ﷺ لتكون قريناته مشابهات له في الزكاء والكمال، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ [النور: ٢٦] يعني أزواج النبي للنبي ﷺ، وهو نظير قوله في قصة إبراهيم: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [هود: ٧٣] ، والمخاطب زوج إبراهيم وهو معها »[٢].

فهذه بعض ما في الآية من دلالات ولطائف تدل على فضل آل بيت النبي ﷺ .

---

(١) السابق ص ٢٩٦ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ١٤ .

بعض ما روي في هذه الآية من الروايات الدالة على فضل أهل الكساء، وفضل زوجاته رضي الله عنهن، وفضل أهل بيته عامة:

١- روى الإمام مسلم في صحيحه عن صفية بنت شيبة عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرط مُرَحَّلٌ من شعر أسودَ، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[1].

٢- وروى الترمذي عن شهر بن حوشب عن السيدة أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ جلَّل على الحسن والحسين وعليٍّ وفاطمة كساءً ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصَّتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**». فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله، قال: «**إنّكِ إلى خير**»[2]. قال الترمذي: حديث حسن، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب .

٣- روى الإمام أحمد في مسنده عن شداد أبي عمار قال: دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا عليّاً، فلما قاموا قال لي: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ ؟ قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة رضي الله تعالى

---

(١) صحيح مسلم، ٥/ ١٨٨٣، رقم ٢٤٢٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٤٧، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم . وأخرجه الحاكم أيضا ٣/ ١٤٧ أيضاً عن واثلة بن الأسقع بلفظ قريب، وهو حاضر في بيت علي وفاطمة، وقال الذهبي: على شرط مسلم .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٦٩٩ .

عنها أسـألها عن عليٍّ، قالت: توَجّه إلى رسـول الله ﷺ، فجلسـتُ أنتظره حتى جاء رسـول الله ﷺ ومعه عليٌّ وحسنٌ وحسين رضي الله تعالى عنهم آخـذٌ كلَّ واحد منهما بيده حتى دخل، فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسـهما بين يديه وأجلس حسـناً وحسـيناً كل واحد منهما على فخـذه، ثم لفَّ عليهم ثوبه أو قال كسـاء ثم تلا هذه الآيـة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وقـال: « **اللهـم هؤلاء أهل بيتي، وأهلُ بيتي أحق** »[1].

٤- وفي الصحيحـين عن عبـد الرحمن بن أبي ليلى قـال: لقيني كعب ابن عُجرة فقال: ألا أُهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ ؟ فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سـألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكـم أهـل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسـلم عليكم ؟ قال: « **قولوا: اللهـم صـلِّ عـلى محمد وعـلى آل محمد كما صليـت على إبراهيـم وعلى آل إبراهيـم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد** »[2].

وقد فسر الآل في حديث آخر بالأزواج والذرية.

٤- جـاء في الصحيحـين وغيرهما، عن أبي حميد السـاعدي رضي الله عنه: أنهم قالوا: يا رسـول الله كيف نصلي عليك ؟ فقال رسـول الله ﷺ:

---

(١) المسند ٤/ ١٠٧ .

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٢٣٣، رقم ٣١٩٠، ومسـلم ١/ ٣٠٥، رقم ٤٠٦ . وهذا لفظ البخاري .

« قولـوا اللهم صل على محمـد وأزواجه وذريته كما صليـت على إبراهيم، وبـارك على محمد وأزواجـه وذريته كما باركت عـلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[١].

قـال النـووي رحمه الله تعـالى: « (وبارك على محمـد وعلى آل محمد)، قيـل: البركة هنا الزيادة من الخـير والكرامة، وقيل: الثبات على ذلك، من قولهم: بركت الإبل أي ثبتت على الأرض، ومنه بركة الماء، وقيل: التزكية والتطهير من العيوب كلها »[٢].

٧- وأخـرج الإمـام مسـلم عن يزيـد بن حيـان قـال: « انطلقت أنا وحُصين بن سَـبرة وعمر بن مسـلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسـنا إليه قال له حصين: لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً: رأيتَ رسـول الله ﷺ ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلَّيتَ خلفه، لقد لقيتَ يا زيد خيراً كثيراً، حدِّثنا يا زيدُ ما سـمعتَ من رسـول الله ﷺ، قال: يا ابن أخـي، والله لقد كبِرَتْ سـنِّي، وقَدِمَ عهدي، ونسـيتُ بعضَ الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفونيه.

ثـم قـال: قام رسـول الله ﷺ يومـاً فينا خطيباً بمـاء يُدعـى خُمّاً بين مكـة والمدينـة فحمـد الله وأثنى عليـه ووعظ وذكَّـر، ثم قـال: « **أمَّا بعدُ: ألا أيهـا النـاس، فإنـما أنا بـشر يوشـك أن يأتي رسـول ربي فأجيـب، وأنا**

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٢٣٢، حديث رقم ٣١٨٩، ومسلم ١/ ٣٠٦، حديث رقم ٤٠٧ .
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٤/ ١٢٤ .

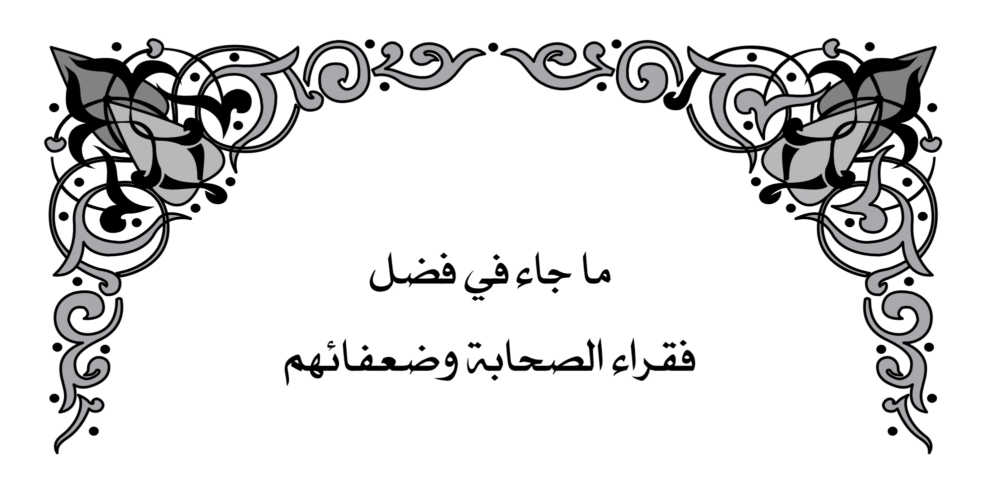
تـارك فيكـم ثَقَلـين، أولهـما كتاب الله فيـه الهـدى والنور، فخـذوا بكتاب الله واستمسـكوا بـه »، فحـثَّ عـلى كتـاب الله ورغَّـب فيـه، ثـم قـال: **« وأهـلَ بيتـي، أُذكِّركـم الله في أهـل بيتـي، أُذكركـم الله في أهـل بيتـي، أُذكركم الله في أهل بيتي »**. فقال له حصين: ومَنْ أهلُ بيته يا زيد؟، أليس نسـاؤه من أهل بيته ؟ قال: نسـاؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته مَن حُرِم الصدقةَ بعده. قال: وهم ؟ قال: هم آلُ عليٍّ، وآل عَقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال: نعم »[1] .

وبعــد: فهذه بعض الأحاديث في فضائل أهل بيته ﷺ، والتي يستفاد منهـا أيضـاً بيـان مَنْ هم أهل بيتـه ﷺ، وإن كان المراد بأهـل البيت في آية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ – كما ذكرنا –: زوجاته ﷺ وأهل الكساء ؛ عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً .



(١) صحيح مسلم ٥/ ١٨٧٣، رقم ٢٤٠٨.





ما جاء في فضل فقراء الصحابة وضعفائهم

١- يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام ٥١- ٥٤].

٢- وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

معنى الآيات الكريمات، وبعض ما فيها من المعاني الدالة على فضل فقراء الصحابة وضعفائهم:

هذه آيات كريمات نزلت إثر دعوةٍ من بعض عظماء المشركين لرسول الله ﷺ أن يُخليَ مجلسه ممن حوله من الفقراء والضعفاء والعبيد الذين أسلموا، وأن يجنبهم إن هم جالسوه أَنَفَةً منهم أن يجلسوا في مجلس فيه أمثال هؤلاء، فأجابهم النبي ﷺ طمعاً في إيمانهم، فأنزل الله هذه الآيات تؤكد على النبي ﷺ ملازمته لهؤلاء، وتنهاه عن الاستجابة لدعوة متكبري المشركين وإن كرهوا، وأن هؤلاء الضعفاء الذين يخافون حساب ربهم، ويدعونه بالغداة والعشيِّ طلباً لمرضاته هم أولى بمجلسه ﷺ في كل وقت، وأمرت النبي ﷺ أن يحتفي بهم، ويقابلهم بالسلام، ويبشرهم برحمة الله تعالى.

فهذه آيات تصف ما عليه هؤلاء الصحابة من الإخلاص، وقوة الإيمان بإظهار الدين رغم ما يلاقونه من قومهم، وتمدح صلاتهم وطاعتهم التي يتقلبون فيها خلال يومهم كله، وتصفهم بأنهم الشاكرون الذين شكروا ربهم على إرساله محمداً ﷺ فاتبعوه، وشكروه على هدايته لهم فأطاعوه، وليسوا كالكافرين المتكبرين الذين جاءوا النبي ﷺ لا ليطلبوا هداية ولكن جاءوا مرائين يطلبون سمعة ومكانة، وليسوا كمن لم يُقدِّر نعمة الله بإرساله محمداً ﷺ فكذَّبوه وأعرضوا عنه، فهم ليسوا كهؤلاء، ولذلك

مَنّ الله عليهم بالهداية وزادهم فيها، فكل ما في هذه الآيات شهادات لهم ومناقب، تبين علو مقامهم عند ربهم .

يقول ابن كثير رحمه الله: « وقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ أي: لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفة عنك، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك، كما قال: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ »[1] [الكهف: ٢٨].

ويقول الطاهر بن عاشور رحمه الله في هذه الآية: « والمعنى: أن رسول الله ﷺ لحرصه على إيمان عظماء قريش ليكونوا قدوة لقومهم ولعلمه بأن أصحابه يحرصون حرصه ولا يوحشهم أن يقاموا من المجلس إذا حضره عظماءُ قريش لأنهم آمنوا يريدون وجه الله، لا للرياء والسمعة، ولكن الله نهاه عن ذلك وسماه طرداً تأكيداً لمعنى النهي، وذلك لحكمة، وهي كانت أرجح من الطمع في إيمان أولئك، لأن الله اطلع على سرائرهم فعلم أنهم لا يؤمنون، وأراد الله أن يظهر استغناء دينه ورسوله عن الاعتزاز بأولئك الطغاة القساة، وليظهر لهم أن أولئك الضعفاء خير منهم، وأن الحرص على قربهم من الرسول ﷺ أولى من الحرص على قرب المشركين »[2] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٩ .

(٢) التحرير والتنوير ٧/ ٢٤٦- ٢٤٧ .

بعض ما روي في سبب نزول هذه الآيات الكريمات، وتسمية من نزلت فيهم:

١- روى الإمام مسلم عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « كنا مع النبي ﷺ ستةَ نفرٍ، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء، لا يجترئون علينا. قال: وكنتُ أنا وابنُ مسعود ورجلٌ من هذيل وبلال ورجلان لست أُسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدَّثَ نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ »(١).

٢- وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد أرضيتَ بهؤلاء، فنزل فيهم القرآن: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام: ٥١] إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٨]»(٢).

٣- ورواه البزار بلفظ آخر عن عبد الله بن مسعود، قال: « مرَّ الملأ من قريش على رسول الله وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا محمد اطردهم، أرضيت هؤلاء من قومك!

---

(١) صحيح مسلم ٥/ ١٨٧٨، برقم ٢٤١٣.

(٢) المسند ١/ ٤٢٠ . وقال الهيثمي: « رواه أحمد والطبراني ... ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة». (مجمع الزوائد ٦/ ٣٨٤).

أفنحن نكون تبعاً لهؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم من بيننا ! فلعلَّ إن طردتهم أن نأتيك، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾»[1].

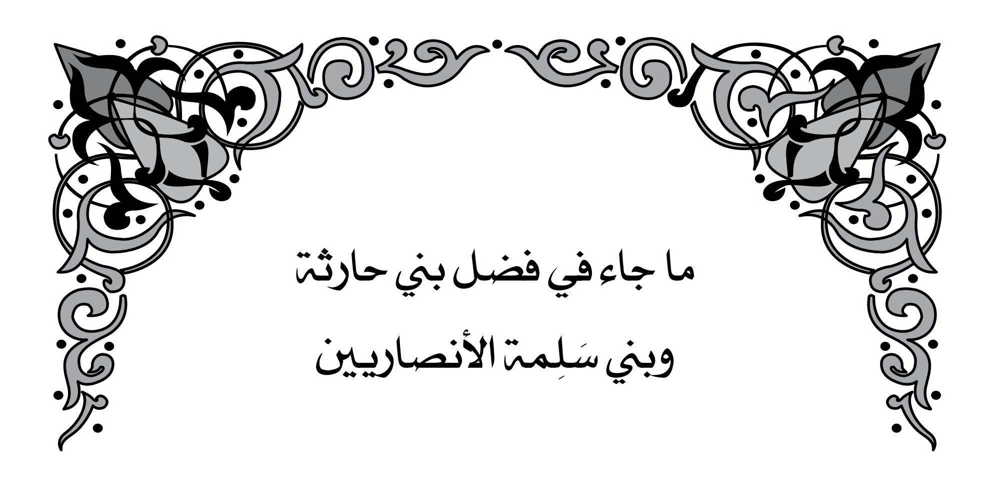
٤- وروى ابن ماجه عن خبّاب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال: « جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري . فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلالٍ وعمّار وخبّابٍ قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقَروهم فأتوه فخلوا به وقالوا: إنّا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تَعْرِف لنا به العرب فضلَنا، فإنَّ وفودَ العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إنْ شئتَ. قال: « **نعم** »، قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بصحيفة، ودعا عليّاً ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال:

(١) مسند البزار (البحر الزخار) ٥/ ٤٠٩ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾. ثم قال: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾، قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا. فأنزل الله: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٨] – ولا تجالس الأشراف – ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ – يعني عيينة والأقرع – ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾، قال: هلاكاً، قال: أمْرُ عيينة والأقرع. ثمَّ ضرب لهم مثلَ الرجلين ومثلَ الحياة الدنيا، قال خباب: فكنا نقعد مع النبي ﷺ، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها، قمنا وتركناه حتى يقوم »[1].



(١) سنن ابن ماجه ٢/ ٣٩٦، وقال البوصيري في الزوائد: « إسناده صحيح ورجاله ثقات ».



ما جاء في فضل بني حارثة وبني سَلِمة الأنصاريين

يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢١- ١٢٢] .

هاتان آيتان من آيات عدّة نزلت عقب غزوة أحد، تصف ما حدث فيها، وتوْقِفُ المؤمنين على أسباب تحول الدائرة عليهم بعد أن كانت لهم، وما في أحداثها من حِكَمٍ خفية، وألطافٍ إلهية، ليعتبروا بها .

والذي يتعلق بفضل بني حارثة وبني سَلِمة الأنصاريين، هو أن الله تعالى أثبت في الآية الثانية ولايته لهما، والولي هو الناصر والحافظ والمعين، وإثبات ولاية رب العالمين لهما شرف غاية الشرف، ينطوي على صفات فيهم هي غاية في الثناء.

وكان من أثر هذه الولاية أن عصم الله هذين الحيين من الأنصار

من أمر عظيم، فبعد أن رجع عبد الله بن أُبي بن سلول رأسُ المنافقين يوم أحد بثلث الجيش، فصار عدد جيش المسلمين سبعمائة، بينما كان عدد المشركين ثلاثة آلاف، ورأى المسلمون ذلك همّت بنو سَلِمة وبنو حارثة من المسلمين بالانخزال عن اللقاء، لعارضِ ضعفٍ ووَهَنٍ أصابهما من غير شكٍّ منهم في الإسلام ولا نفاق، وإنما تأثراً بما فعله عبد الله بن أُبيٍّ وجماعته، ثم عصمهم الله فثبتوا مع الرسول ﷺ[1]، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

يقول الطاهر بن عاشور: « ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: أي ناصرهما على ذلك الهمِّ الشيطاني، الذي لو صار عزماً، لكان سبب شقائهما، فلعناية الله بهما برأهما الله من فعل ما همتا به »[2].

معنى الآية، وما فيها من المعاني الدالة على فضل هذين الحيّين من الأنصار:

أ) قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾:

الفشل: هو الجبن والخور والضعف[3].

(١) ينظر تفسير الطبري ٦/ ١٥، ١٦ والتحرير والتنوير ٤/ ٧٠.

(٢) التحرير والتنوير ٤/ ٧٠.

(٣) ينظر تفسير البغوي ٢/ ٩٧، والرازي ٤/ ٢٢٧.

والمعنى كما يقول الطبري: « همَّا أن يضعُفا ويجبُنا عن لقاء عدوّهما »[١]. ولم يتم ذلك بل حفظ الله قلوبهما عن تحقيق هذا الهم[٢].

والهمُّ: ما همَّ به الإنسان في نفسه قبل أن يفعله[٣]، فهو حركة قوية في النفس، وهو الدرجة التي تسبق العزم، والعزم هو عَقدُ القَلبِ على إِمْضَاءِ الأَمْرِ[٤]، فقلوب هاتين الطائفتين لم تصل درجة العزم .

يقول الآلوسي رحمه الله: « والظاهر أن هذا الهمَّ لم يكن عن عزم وتصميم على مخالفة النبي ﷺ ومفارقته ؛ لأن ذلك لا يصدر مثله عن مؤمن، بل كان مجرد حديث نفس ووسوسة »[٥].

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ١٥ .

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ١٨٦ .

(٣) ينظر المفردات للراغب: (همم)، والتعريفات للجرجاني (الهم) .

ويقول الرازي رحمه الله في تفسير (٤/ ٢٢٧): « الهمُّ قد يراد به العزم، وقد يراد به الفكر، وقد يراد به حديث النفس، وقد يراد به ما يظهر من القول الدال على قوة العدو وكثرة عدده ووفور عدده، لأن أي شيء ظهر من هذا الجنس صحَّ أن يوصف من ظهر ذلك منه بأنه هم بأن يفشل من حيث ظهر منه ما يوجب ضعف القلب، فكان قوله: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ لا يدل على أن معصية وقعت منهما، وأيضاً فبتقدير أن يقال: إن ذلك معصية لكنها من باب الصغائر لا من باب الكبائر، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ فإن ذلك الهمَّ لو كان من باب الكبائر لما بقيت ولاية الله لهما ».

(٤) المفردات للراغب: (عزم) .

(٥) روح المعاني ٤/ ٤٣ . وقال الحافظ في الفتح ٧/ ٣٥٧: « لأن ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم» .

ب) وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ فوائد:

١- فيه تشريف الله تعالى للطائفتين بأنه هو وليهما، وناصرهما، وحافظهما، وهذا شرف أيُّما شرفٍ، وكلُّ من تولاه اللهُ لا يشقى ولا يضيع أبداً.

٢- إثبات الله تعالى ولايته لهم ينطوي على صفات غاية في الثناء: فهو إشارة إلى صدق إيمانهم، وصلاحهم في أنفسهم، وتقواهم، لأن ولايته سبحانه إنما تكون لمن كانت هذه صفاتهم، فقد قال عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقال: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٩]. فهذه شهادات عظيمة لهم أفادتها هذه الولاية.

٣- وفيه بيانٌ أن هذه الهَمَّةَ لم تخرجهم عن ولاية الله تعالى[1]، ودلالة « على أن ذلك الهمَّ ليس معصيةً، لأن إتباع المعصية بولاية الله لذلك العاصي إغراءٌ على المعصية »[2].

(١) تفسير الرازي ٤/ ٢٢٨ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٣/ ٥٩.

يقول الشيخ محمد الأمين بن عبد الله الهرري في تفسيره المسمى « حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن »: (٥/ ١٠٦- ١٠٧ : « وهذا الهمُّ لم يكن عزيمة ممضاة، ولكنها كانت حديث نفس، وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض هَلَعٍ، فإن ساعدها صاحبها ذُمَّ، وإن ردها إلى الثبات والصبر فلا بأس بما فعل ... ».

ج) **قولـه تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾**، فيه كما يقول الرازي رحمه الله: « إشـارة إلى أنه ينبغي أن يدفع الإنسـان ما يَعْرِضُ له من مكروهٍ وآفةٍ بالتوكل على الله، وأن يصرف الجزعَ عن نفسه بذلك التوكل »[1].

د) فرح الأنصار بهذه الآية، وبعض ما ورد في ذلك:

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « فينا نزلـت: ﴿ **إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا** ﴾. قال: نحن الطائفتان: بنـو حارثة، وبنو سـلمة، وما نحب « أو: وما يـسرني » أنها لم تنزل؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا** ﴾ »[2].

وإنما قالت الأنصار: « (وما نحب أنها لم تنزل) رغم ما في الآية من عتاب لفرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله تعالى، وإنزاله فيهـم آية ناطقة بصحة الولاية، وأن تلـك الهمة ما أخرجتهم عن ولاية الله تعالى »[3].

قـال الحافظ في الفتح معلقـاً على هذه الحديـث: « نزلت هذه الآية فينا: أي في قومه بني سَـلِمَة، وهـم من الخزرج، وفي أقاربهم بني حارثة

(١) تفسير الرازي ٤/ ٢٢٨ .

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٤٨٨، حديث رقم ٣٨٢٥، ٤/ ١٦٦٠، رقم ٤٢٨٢، وصحيح مسلم ٤/ ١٩٤٨ برقم ٢٥٠٥.

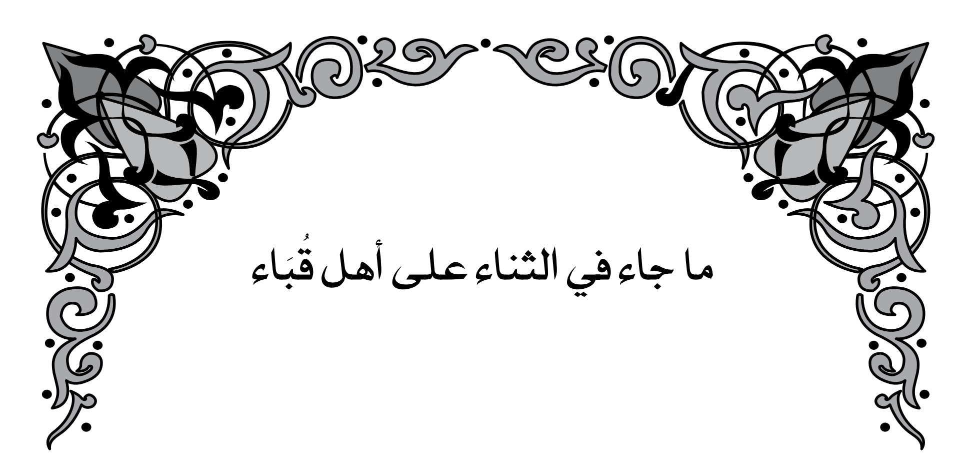
(٣) السابق .

وهـم مـن الأوس. قوله: (ومـا أحب أنها لم تنـزل) والله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ أي: وإن الآية وإن كان في ظاهرها غضٌّ منهم، لكن في آخرها غايةُ الشرف لهم »[١].

فهذا ما اشتملت عليه الآية من منقبة عظيمة لهذين الحَيّيْن من الأنصار رضي الله تعالى عنهم أجمعين.



(١) فتح الباري ٧/ ٣٥٧ .



ما جاء في الثناء على أهل قُبَاء

يقول الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨] .

في هذه الآية الكريمة ذمٌّ لمسجد نُهي النبيُّ ﷺ عن الصلاة فيه، وإشادةٌ ومدح لمسجد آخر أُسس على التقوى من أول يوم، ومدحٌ لأهله، الذين يحبون أن يتطهروا .

والمسجد الذي أُسس على التقوى هو مسجد قُباء على قول جمهور أهل العلم، وقيل هو مسجد المدينة(١) .

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٢٤٥): « وقد اختُلف في المراد بقوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾، فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء هذا، وهو ظاهر الآية ». اهـ

ثم أورد الحافظ عدة أحاديث تؤيد ما ذهب إليه بعض أهل العلم في أن المراد به مسجد المدينة، وهو مسجد رسول الله ﷺ، ثم قال: « والحق أن كلا منهما أسس =

أمّا المسـجد الذي نهى الله تعالى رسـوله ﷺ أن يصلي فيه فهو المسجد المعروف بمسـجد الضرار، وهو مسجد بنته جماعة من منافقي أهل المدينة بجوار مسـجد قُباء الذي أسسـه النبي ﷺ بنفسه، بنوه تفريقاً بين المؤمنين الذين كانوا يجتمعون بمسـجد قبـاء، وليكون مَقراً مُعـدّاً لمن يحاربون الله ورسوله من داخل المدينة، ولاستقبال من يأتي من خارجها [١].

بيان ثناء الآية على أهل قُبَاء :

وأمّا الثناء على أهل قباء - وهم بنو عمرو بن عوف الأنصاريون[٢] -

---

= على التقوى، وقوله تعالى في بقية الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ يؤيد كون المراد مسـجد قباء، وعند أبي داود بإسـناد صحيح عن أبي هريـرة عن النبي ﷺ قال: « نزلت ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ في أهل قباء » .

وعـلى هـذا فالسر في جوابه ﷺ بأن المسـجد الذي أُسـس على التقوى مسـجده رفعُ توهمِ أن ذلك خاصٌّ بمسجد قباء، والله أعلم.

قـال الـداودي وغيره: ليس هذا اختلافاً ؛ لأن كلاً منهما أسـس عـلى التقوى. وكذا قال السهيلي، وزاد غيره أن قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ يقتضي أنه مسجد قباء ؛ لأن تأسيسه كان في أول يوم حلَّ النبي ﷺ بدار الهجرة. والله أعلم » . انتهى كلام الحافظ.

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٤/ ٢١١ .

(٢) يقـول ابـن إسـحاق في هجـرة النبـي ﷺ: « فأقام رسـول الله ﷺ بقبـاء في بني عمرو ابن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسـس مسجده » (السيرة لابن هشام ٢/ ١١٧).

ويقـول الحافـظ ابن حجـر: « وبنو عمرو بن عوف بطن كبير مـن الأوس فيه عدة =

فقـد:

١ - أثنـى الله عليهم بأنهـم رجال، يعني حازوا أعـلى معاني الرجولة وصفاتها.

٢ - أثنـى الله تعـالى عـلى تطهرهـم، والتطهر يشـمل تطهـر الأبدان والقلوب، والتطهر من المعاصي والخصالِ الذميمةِ مرضاةً لله سبحانه.

٣- أخـبر الله تعـالى أنه يحبهم ويـرضى عن أفعالهم هـذه ؛ لأنه يحب المطهرين، فهذه فضائل لهم إثر فضائل .

بعض ما رُوي في الثناء على أهل قُباء:

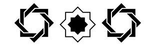
١ - عـن أبي صالح عـن أبي هريرة رضي الله عنه عـن النبي ﷺ قال: « نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾ . قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية » [1].

٢ - وعـن أبي أيـوب الأنصـاري وجابـر بـن عبـد الله وأنـس بـن

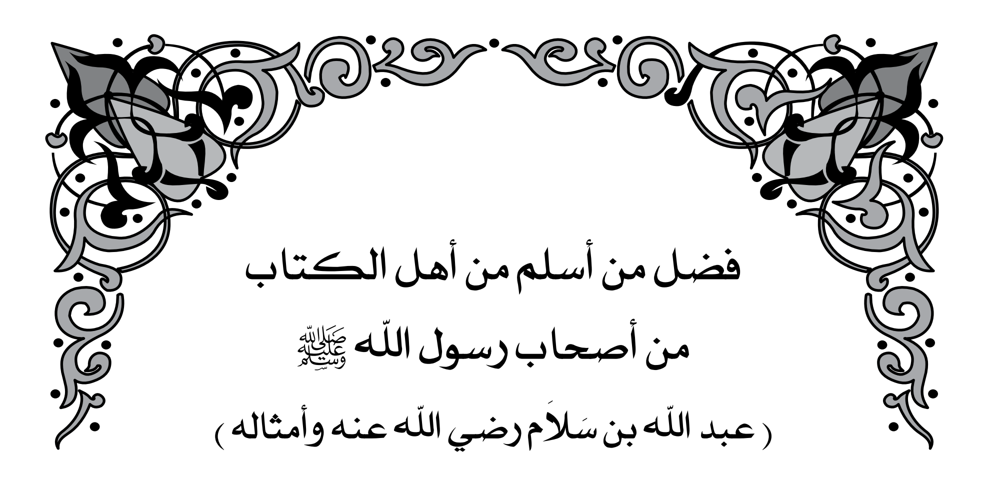
= أحيـاء كانـت منازلهـم بقبـاء منهم بنـو أمية بن زيد بـن مالك بن عـوف بن عمرو ابـن عـوف، وبنو ضبيعـة بن زيـد، وبنو ثعلبـة بن عمرو بـن عوف ». (فتـح الباري ٢/ ١٦٧).

(١) أخرجـه أبـو داود ١/ ١١، برقـم ٤٤، والترمـذي ٥/ ٢٨، برقـم ٣١٠٠، وابن ماجه ١/ ٢٥٧، برقم ٣٥٧. وصحح الحافظ إسناد أبي داود (الفتح ٧/ ٢٤٥).

مالك: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾، قال رسول الله ﷺ: « **يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم في الطُّهور فما طُهوركم؟** » قالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستنجي بالماء. قال: « **فهو ذاك فعليكموه** »[(١)].



(١) أخرجه ابن ماجه ١/ ١٢٧، برقم ٣٥٥، والحاكم في المستدرك ١/ ١٥٥، وصححه، ووافقه الذهبي.



فضل من أسلم من أهل الكتاب من أصحاب رسول الله ﷺ (عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه وأمثاله)

يقول الله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران ١١٣ – ١١٥].

نزلت هذه الآيات الكريمات تبين أن من أهل الكتب أقواماً استقاموا على الحق ولزموه، وقد نزلت هذه الآيات بعد آيات سبقتها من سورة آل عمران بينت انحراف أهل الكتاب عن الحق، ونَعَتْ عليهم كثيراً من قبائحهم، وكان ختام هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ

مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠-١١٢]. « ولما كان السياق ربما أفهم أنهم كلهم كذلك استأنف الله عز وجل الكلام مبيناً أنهم ليسوا كذلك، بل منهم جماعة (قائمة) أي مستقيمة على ما أتاها به نبيها في الثبات على ما شرعه، متهيئة بالقيام للانتقال عنه عند مجيء الناسخ الذي بشر به ووصفه[١]، غير زائغة بالإيمان ببعضه والكفر ببعضه »[٢].

وهذا الفريق الذي حافظ على الحقِّ هم خلاصةٌ من أقوام شاع بينهم الكفر والفسوق وسوء الأخلاق، ومحافظتُهم على دينهم وهم في هذه الأوساط يدل على قوة إيمانهم وعلوِّ مقامهم عند الله عز وجل.

سبب نزول هذه الآيات، وبيان مَنْ نزلت فيهم :

نزلت هذه الآيات الكريمات في عبد الله بن سلام اليهودي رضي الله عنه وأمثاله ممن آمَنَ من أحبار أهل الكتاب برسول الله ﷺ، تمدحهم وتعدد محاسنهم وترد افتراءات اليهود عليهم، هذا هو المشهور عند المفسرين، وهو ما أخرجه ابن إسحاق والطبراني والبيهقي وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

---

(١) وهو سيدنا محمد ﷺ الذي نسخ الشرائع التي قبله.

(٢) نظم الدرر ٥/ ٣١ بتصرف يسير.

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٢/ ١٠٥، وروح المعاني ٤/ ٣٣.

فعن ابن عباس قال: « لما أسلم عبد الله بن سَلَام، وثعلبة بن سَعْيَةَ، وأُسَيْد بن سَعيةَ، وأسد بن عُبيد، ومَن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدَّقوا ورغبوا في الإسلام، ورسخوا فيه، قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا تَبِعه إلا أشرارنا! ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله: ﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ »[1].

ومن العلماء من أدخل في هذه الآية من آمن من أهل الكتاب كالنجاشي ومن آمن من النصارى، يقول الآلوسي رحمه الله: « والمراد من هذه الأمة من تقدم في سبب النزول، وجعل بعضهم (أَهْل الْكِتابِ) عاماً لليهود والنصارى، وعدَّ مِنَ الأمة المذكورة نحو النجاشي وأصحابه ممن أسلم من النصارى »[2].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٥/ ٦٩١، أبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ٣٩٤، برقم ١٣٩٨، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٣٣٧، والطبراني في الكبير ٢/ ٧٨، برقم ١٣٨٨، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٥٣٤، وقال الهيثمي: « رواه الطبراني ورجاله ثقات» . (مجمع الزوائد ٦/ ٣٢٧)

(٢) روح المعاني ٣/ ٣٣ .

في ظلال هذه الآيات الكريمات ودلالاتها على فضل هؤلاء الأصحاب:

ننعم في ظلال هذه الآيات من خلال بيان بعض ما اشتملت عليه من المعاني واللطائف والفوائد التي تدل على فضل هؤلاء الأصحاب رضي الله عنهم:

أ) قوله تعالى: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ﴾: «الضميرُ في (ليسوا) لأهل الكتاب جميعاً، لا للفاسقين منهم خاصة ... والمرادُ بنفي المساواةِ نفيُ المشاركةِ في أصل الاتصافِ بالقبائح المذكورةِ لا نفيُ المساواةِ في مراتب الاتصافِ بها مع تحقق المشاركة في أصل الاتصافِ بها، أي: ليس جميعُ أهل الكتابِ متشاركين في الاتصاف بما ذُكر من القبائح والابتلاءِ بما يترتب عليها من العقوبات»[1]. فشتان ما بين الفريقين.

ب) وقد وصف الله هؤلاء الأصحاب الذين آمنوا من أهل الكتاب بأوصاف هي قمة في أوصاف أهل الصلاح، تبين فضلهم، ومباينتهم لغيرهم من اليهود:

١- منها أنهم ﴿ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي كتابه ﴿ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ يتدبرون ما فيه من العبر والمواعظ، ويتفكرون فيه[2].

٢- ومنها أنهم ﴿ يَسْجُدُونَ ﴾ أي يصلون صلاة في غاية الخشوع،

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ٧٣.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٥/ ٦٩٥.

قال أبو السعود رحمه الله: « وتخصيصُ السجودِ بالذكر من بين سائر أركانِ الصلاةِ لكونه أدلَّ على كمال الخضوعِ ... والمرادُ بصلاتهم التهجدُ، إذ هو أدخلُ في مدحهم »[1]. فهي كقوله تعالى في مدح عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾، وهي من جنس قوله تعالى في سورة الفتح في مدح أصحاب رسول الله ﷺ عامة: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩].

٣- وفي مدحهم بصيغة الجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ دلالة على أنهم مستمرون في سجودهم هذا، مكثرون منه، وهذا ما تفيده الجملة الاسمية[2]، فهو مدح من أعظم المدائح.

٤- هذه التلاوة للآيات والتفكر فيها، والقيام بها - صلاةً وتهجداً - هي التي أثمرت ترسيخ الإيمان في قلوبهم، وهذا المعنى من المعاني المستفادة من تأخير ذكر وصفهم بالإيمان بالله واليوم الآخر عما قبله من التلاوة والسجود، في قوله تعالى: ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ... ﴾ الآية[3].

٥- وهذه العبادة وهذا الإيمان القوي هما السر في جعلهم ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ على أمر الله، مستقيمين عليه، وهما الحامل لهم على ذلك[4].

---

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ٧٣، وينظر روح المعني ٣/ ٣٣، ٣٤.
(٢) ينظر السابق ٢/ ٧٣.
(٣) ينظر السابق.
(٤) ينظر نظم الدرر ٥/ ٣١.

٦- وفي مدح هؤلاء الأصحاب بالإيمان بالله واليوم الآخر، إشارة - كما ذكر المفسرون - إلى أن إيمانهم بهما جاء على الوجه الذي نطق به الشرع، مطابقاً له، وفيه تعريض ببقية اليهود أن إيمانهم بهما جاء على وجه مخالف للشرع، فقد قالوا إن عزيراً ابن الله، وكفروا ببعض الكتب والرسل، فإيمانهم كالعدم[١] . فالفريقان ليسوا سواء .

٧- وفي وصف الله هؤلاء الأصحاب بأنهم ﴿ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ بيان بأن نفعهم لا يقتصر على أنفسهم، بل يتعداه إلى إصلاح غيرهم، فكما هم منشغلون بتكميل أنفسهم بالتلاوة والصلاة منشغلون أيضاً بتكميل غيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو بخلاف ما عليه عامة اليهود من المداهنة في الدين، وفعلِ عكس ذلك من إضلال الناس وصدِّهم عن سبيل الله، فالفريقان ليسوا سواء[٢].

٨- **ووصفهم الله بأنهم** ﴿ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ أي: يبتدرون فعل الخيرات والطاعات، ويستكثرون منها، خشية أن يفوتهم ذلك بمجيء الموت، فهم في شدةٍ رغبةٍ في ذلك - لأن من رغب في شيء سارع إليه[٣] - قد تحققت فيهم الاستجابة لأمر الله تعالى في قوله: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وهذه الصفة كما يقول أبو السعود رحمه الله: « صفة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس والغير»[٤]. فما أعظم حالهم رضي الله عنهم .

(١) ينظر تفسير أبي السعود ٤/ ٧٤، وروح المعاني ٤/ ٣٤ .
(٢) ينظر تفسير أبي السعود ٤/ ٧٤ .
(٣) ينظر تفسير الطبري ٥/ ٦٩٩، وأبي السعود ٤/ ٧٤، والتحرير والتنوير ٤/ ٥٧ .
(٤) تفسير أبي السعود ٢/ ٧٤، وينظر روح المعاني ٣/ ٣٤ .

٩- ويستفاد من ذكر هذه الأعمال أن إيمان هؤلاء الأصحاب رضي الله عنهم إيمانٌ صادقٌ، له ما يشهد له من العمل الصالح[(١)] .

١٠- **ووصفهم الله تعالى بأنهم من الصالحين**، في قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي في عِداد من صلحت عند الله أحوالهم، واستحقوا رضا الله وثناءه[(٢)]، وفي هذا الوصف - أيضاً - كما يقول الآلوسي رحمه الله: « ردٌّ لقول اليهود: ما آمن به إلا شرارنا »[(٣)] .

١١- ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ أي: لا يحرمهم الله أجر أي عمل من أعمالهم، فهو تعالى منزه عن أن يضيع أجر العاملين. وهو سبحانه عليم بالمتقين فلا يفوز عنده إلا أهل التقوى، وهؤلاء الأصحاب منهم.

١٢- وَهَؤُلَاءِ الصحابة الذين آمنوا من أهل الكتاب « هُمُ المَذْكُورُونَ فِي آخِرِ السُّورَةِ: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ

---

(١) ينظر نظم الدرر ٥/ ٣٢ .

(٢) يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله: « والإشارة بـ(أولئك) إلى الأمّة القائمة الموصوفة بتلك الأوصاف. وموقع اسم الإشارة التنبيه على أنّهم استحقوا الوصف المذكور بعد اسم الإشارة بسبب ما سبق اسمَ الإشارة من الأوصاف». (التحرير والتنوير ٤/ ٥٨)، وينظر الطبري ٥/ ٦٩٩، وأبي السعود ٢/ ٧٤ .

(٣) روح المعاني ٣/ ٣٥.

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ »[1] [آل عمران:١٩٩]. فالآيات كثيرة في مدحهم رضي الله عنهم.

وبعـــد: فهذه بعض أوصاف وأحوال هذه الطائفة من الصحابة الذين أسلموا من أهل الكتاب، وبعض ما اشتملت عليه هذه الآيات من المعاني والفوائد الدالة على فضلهم وعلو مقامهم رضي الله تعالى عنهم، وهو مثل من أمثلة أصحاب رسول الله ﷺ الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فرضي الله عنهم وأرضاهم.

بعض ما روي في فضل من آمن برسول الله ﷺ من أهل الكتاب:

يقول رسول الله ﷺ - فيما رواه البخاري- في فضل مَنْ آمن به من أهل الكتاب، وفي مضاعفة أجرهم: « **ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ...** » الحديث[2].

وفي رواية مسلم عن أبي بُردة بن أبي موسى عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: « **ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه، وصدَّقه فله أجران...** » الحديث[3].

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٠٥ .
(٢) صحيح البخاري ١/ ٤٨، رقم ٩٧، وغيره.
(٣) صحيح مسلم ١/ ١٣٤، رقم ١٥٤.

الفصل الخامس
في ظلال آيات الثناء على أفراد من الصحابة

ويشتمل على :

ما جاء في فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ما جاء في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ما جاء في فضل عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

ما جاء في فضل عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه .

ما جاء في فضل صُهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه .

ما جاء في فضل زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه .

ما جاء في فضل ضَمرة بن جُندب رضي الله عنه.

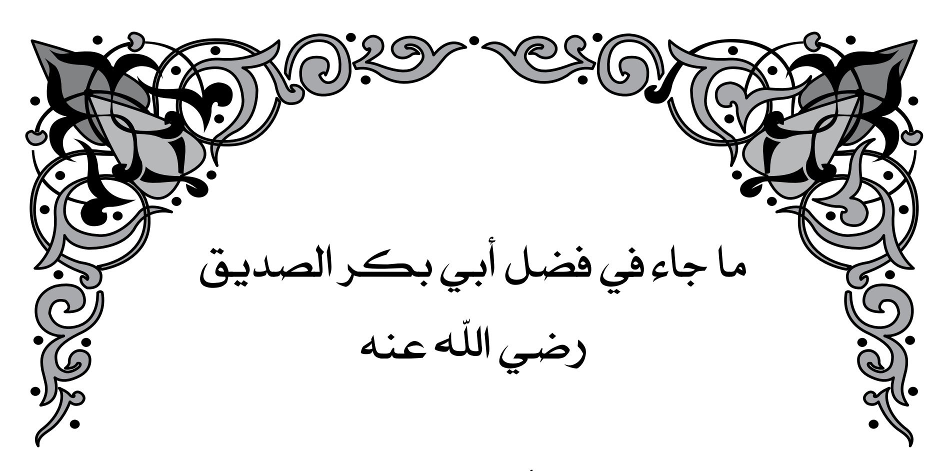
ما جاء في فضل زَيد بن أَرقم رضي الله عنه .

ما جاء في فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

جاء في فضل أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها .

ما جاء في فضل رجل وامرأة من الأنصار .





ما جاء في فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

١- يقول الله عز وجل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

٢- ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

٣- ويقول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧- ٢١].

هـذه آيات كريمات وردت في فضـل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وسوف نتناولها تفصيلاً إن شاء الله تعالى[1]:

---

(١) وهناك آيات جاءت في فضله على قولٍ في تأويلها، وذلك مثل: =

أولاً: الكلام على آيات سورة التوبة:

قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

يقول القرطبي رحمه الله في هذه الآية: « قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ هذه الآية تضمنت فضائل الصديق رضي الله عنه. روى أصبغ وأبو زيد عن ابن القاسم عن مالك: (﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ

= ١- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]. فقد روي في تفسير هذه الآية أربعة أقوال، منها أن الذي جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ، والذي صدق به هو أبو بكر الصديق. (تنظر الأقوال في تفسير الطبري ٢٠/ ٢٠٤- ٢٠٦، وزاد المسير ٧/ ١٨٢) .

٢-وقوله تعالى في آيات الوصية بالوالدين التي نزلت في حق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾. [لقمان: ١٥]، فقد روي عن ابن عباس قال: « إنه يريد بمن أناب أبو بكر». ذكره الآلوسي في تفسيره، وذكر رواية الواحدي لذلك عن ابن عباس، ثم قال الآلوسي: « وابن جريج يقول، كما أخرج عنه ابن المنذر: من أناب محمد عليه الصلاة والسلام، وغير واحد يقول هو ﷺ والمؤمنون، والظاهر هو العموم ». روح المعاني ٢١/ ٨٨، والخبر أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٣٣)، ولم يذكره السيوطي في لباب النقول. والله تعالى أعلم .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ هـو الصِّدِّيـق). فحقّـق الله تعـالى قولـه لـه بكلامـه ووصف الصحبة في كتابه»[١].

والمقصـود بـ ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ النبـيُّ ﷺ وأبو بكر الصديق، بتواتر الخبر، وإجماع المسلمين كلهم[٢].

وقد نزلت هذه الآية تذكِّر المسـلمين بنصر الله لرسوله في هجرته من مكـة إلى المدينة، وذلك في سـياق حثِّ الله تعـالى المؤمنين على الخروج مع رسـول الله ﷺ إلى غـزوة تبـوك لقتال عدوٍّ ذوي عدد وهـم الروم، وكان سفراً طويلاً في زمن شدة حرٍّ وعُسرة[٣].

معنى الآية وبعض دلالاتها على فضل أبي بكر[٤]:

أ) يقـول البغـوي رحمـه الله: « قولـه تعـالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾، هـذا إعـلامٌ مـن الله عزّ وجـلّ أنه المتكفّل بنصر رسـوله وإعـزاز دينـه، أعانـوه أو لم يعينوه، وأنه قد نصره عند قلّـة الأولياء وكثرة الأعـداء، فكيـف به اليـوم وهو في كثرة مـن العدد والعـدد ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ مـن مكّة حـين مكروا به وأرادوا تبييتـه وهمّوا بقتله،

---

(١) تفسير القرطبي ٨/ ١٤٦ .

(٢) التحرير والتنوير ١٠/ ٢٠٣ .

(٣) ينظر تفسير البغوي ٢/ ٣٤٨.

(٤) ذكـر الرازي في تفسـير (٨/ ٦٥- ٦٧) في هذه الآيـة اثني عشر وجهاً دالاً على فضيلة أبي بكر الصديق .

﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ أي: هو أحد الاثنين، والاثنان أحدهما رسول الله ﷺ والآخر أبو بكر الصديق رضي اللهّ عنه، ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾، وهو نقب في جبل ثور بمكة، ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ »[1].

ويقول القرطبي رحمه الله: « ومعنى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ أي بالنصر والرعاية والحفظ والكلاءة »[2].

ب) شرَّف الله أبا بكر في هذه الآية بأن جعله ثانياً مع رسول الله ﷺ، بنصِّ القرآن، وهذا تخصيص في معرض التعظيم، وهو معية الله تعالى، وهي منقبة تفرد بها أبو بكر رضي الله عنه.

- يقول الإمام الباقلاني رحمه الله: « ولا أفضل من اثنين ثالثهما الله تعالى ». وقد استدل بهذه الآية وغيرها من الآيات على أن أبا بكر الصديق أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين[3].

---

(١) تفسير البغوي ٢/ ٣٤٨- ٣٤٩.

(٢) تفسير القرطبي ٨/ ١٤٦.

(٣) يقول الباقلاني رحمه الله في الإنصاف (ص ١٠٠): « ويجب أن يُعلم: أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين ومقدَّم خلق الله أجمعين من الأنصار والمهاجرين بعد الأنبياء والمرسلين: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لقوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠] ولا أفضل من اثنين ثالثهما الله تعالى، ولقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤] وهو الصديق وأصحابه، لما قاتل أهل الردة. ولقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [الزمر: ٣٣] قيل في أصح التفاسير: الذي جاء بالصدق محمد ﷺ، وصدّق أبو بكر =

- ويقول الرازي رحمه الله في بعض وجوه دلالات هذه الآية على فضل أبي بكر: « أنه تعالى سماه ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ فجُعِل ثاني محمد عليه السلام حال كونهما في الغار، والعلماء أثبتوا أنه رضي الله عنه كان ثانيَ محمدٍ في أكثر المناصب الدينية:

فإنّه ﷺ لمّا أُرسل إلى الخلق وعرض الإسلام على أبي بكر آمن أبو بكر، ثم ذهب وعرض الإسلام على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة آخرين من أجلة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والكل آمنوا على يديه، ثم إنه جاء بهم إلى رسول الله ﷺ بعد أيام قلائل، فكان هو رضي الله عنه ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ في الدعوة إلى الله .

وأيضاً كلما وقف رسول الله ﷺ في غزوة كان أبو بكر رضي الله عنه يقف في خدمته ولا يفارقه، فكان ثاني اثنين في مجلسه.

ولما مرِض رسول الله ﷺ قام مقامه في إمامة الناس في الصلاة، فكان ثاني اثنين.

= الصديق؛ يؤكد صحة هذا التفسير قوله ﷺ: « **قال الناس لي كذبت، وقال أبو بكر صدقت** »، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [الحديد: ١٠]، والصديق رضي الله عنه أولُ من أنفق على رسول الله ﷺ، يؤكد هذا قوله ﷺ: « **إنّ أمنَّ الناس عليَّ في نفسٍ ومالٍ أبو بكر الصديق، ما نفعني مالٌ ما نفعني مالُ أبي بكر** ... » .

ولما توفي دفن بجنبه، فكان ثاني اثنين هناك أيضاً »[١].

ج) ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ أي في شدة عظيمة، يشارك فيها أبو بكر رسول الله ﷺ .

د) أثبت الله تعالى لأبي بكر الصديق في هذه الآية صحبته للنبي ﷺ بنص كتابه. وهذه إشارة إلى حيازته رضي الله عنه أعلى مقامات الصحبة، وتمام القرب من رسول الله ﷺ، وقد كان النبي ﷺ يشير إلى ذلك، فيسميه صاحبه، رغم أن جميع الصحابة أصحابه، كما جاء في صحيح البخاري، عندما أغضب عمر أبا بكر، فقال النبي ﷺ: « **إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صَدَقَ . وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟!**». مرتين، فما أوذي بعدها [٢].

هـ) ومن دلالات وأحكام هذه الآية ما ذكره القرطبي قال: « قال بعض العلماء: من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة صاحب رسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع. ومن أنكر أن يكون أبو بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر، لأنه رد نص القرآن»[٣].

---

(١) تفسير الرازي ٨/ ٦٦ .

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٣٣٩، رقم ٣٤٦١.

(٣) تفسير القرطبي ٨/ ١٤٦، وذكر ذلك البغوي ٤/ ٤٩، والرازي ٨/ ٦٧ كلاهما من قول الحسين بن فضيل البجلي .

و) يقول البغوي وغيره في قوله عزّ وجلّ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: «لم يكن حزن أبي بكر جبناً منه، وإنّما كان إشفاقاً على رسول الله ﷺ. وقال: إن أُقتل فأنا رجل واحد، وإن قُتِلْتَ هلكت الأمّة»[1]. وقد روى الشيخان وغيرهما عن أنس بن مالك قال: حدثني أبو بكر قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدمه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله تعالى ثالثهما**»[2].

- **وفي قول النبي ﷺ لأبي بكر ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾** بيان لعناية النبي ﷺ بأبي بكر، حتى إنه ليهدئه ويطمئنه، وهو في هذا الموقف العصيب.

- وروى الحاكم وغيره عن محمد بن سيرين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فَطِنَ له رسول الله ﷺ فقال: يا أبا بكر مالكَ تمشي ساعة بين يدي وساعة

---

(١) تفسير البغوي ٢/ ٣٤٩، وينظر تفسير القرطبي ٨/ ١٤٦، والتحرير والتنوير ١٠/ ٢٠٣.
وقال القرطبي (٨/ ١٤٦): «قال ابن العربي: قالت الإمامية ...: حزن أبي بكر في الغار دليل على جهله ونقصه وضعف قلبه وخرقه. وأجاب علماؤنا عن ذلك بأن إضافة الحزن إليه ليس بنقص، كما لم ينقص إبراهيم حين قال عنه: ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ [هود: ٧٠]. ولم ينقص موسى قوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ [طه ٦٧- ٦٨]. وفي لوط: ﴿وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣]».

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٧١٢، رقم ٤٣٨٦، وغيره، ومسلم ٤/ ١٨٥٤ رقم ٢٣٨١ .

خلفي؟ فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك » [١].

ز) ومعية الله تعالى لرسوله ولصاحبه في هذا المقام، معية خاصة، لأنها معية وردت في معرض التعظيم، فهي - كما سبق - معية العناية والحفظ والنُّصرة والتأييد، وليست هي معية علمه تعالى فقط، والتي تكون للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم كما في قوله: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ** ﴾ [٢] [المجادلة: ٧]، فما أهنأ الصديق بانضمامه مع النبي ﷺ في معية واحدة، هي معية رب العالمين، وهذه منقبة تفرد بها أبو بكر على سائر المسلمين .

ح) وهذه الآية مما استدل به عمر رضي الله تعالى عنه على أن أبا بكر أولى بالخلافة بعد رسول الله ﷺ:

فقد روى البخاري عن أنس بن مالك في خطبة عمر لمبايعة أبي بكر قال: « كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يُدْبِرنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم، فإن يكُ محمد ﷺ قد مات فإنّ الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ، وإن أبا بكر صاحب

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ٦، وقال الذهبي: « صحيح مرسل». وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢/ ٤٧٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠/ ٨٠ .

(٢) ينظر تفسير الرازي ٨/ ٦٦ .

رسـول الله ﷺ ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ فإنـه أولى المسـلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه »[١].

۞ ۞ ۞

ثانياً: الكلام على آية سورة النور:

يقـول الله تعـالى: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾. [النور: ٢٢].

هذه آية نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بعد حادثة الإفك، والتي اتهمت فيها الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها بالفاحشة بهتاناً وزوراً، وكان أبو بكر الصديق ينفق على ابن خالته مِسْطَح بن أثاثة، وكان مـن فقراء المهاجرين، فلما علـم بخوضه في قضية الإفك- وإن كان الذي تولى كبرها عبد الله بن أُبيِّ بنِ سَـلول رأس المنافقين- أقسـم أبو بكر ألا ينفـق على مسـطح، فلما تاب مسـطح وتـاب الله عليه، لم يـزل أبو بكر واجداً في نفسه على مسطح، فنزلت هذه الآية[٢].

هذا هو المشـهور في سـبب نزولها، يقول الطبري في هذه الآية: « وإنما

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ٢٦٣٩، رقم ٦٧٩٣ .

(٢) التحرير والتنوير ١٨/ ١٨٨، بتصرف .

عُنـي بذلـك أبـو بكر الصديـق رضي الله عنـه في حلفه بـالله ألا ينفق على مسطح بن أثاثة »[١].

ويقـول ابـن عطية رحمه الله: « المشـهور مـن الروايـات أن هذه الآية نزلـت في قصـة أبي بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنه ومسـطح بن أثاثــة »[٢].

ويقـول الرازي رحمـه الله: « أجمع المفـسرون على أن المـراد من قوله: ﴿ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ ﴾ أبو بكر »[٣].

ما ورد في سبب نزولها:

روى البخـاري ومسـلم عن عائشـة رضي الله تعـالى عنها في حديث الإفـك، قالت: « فلما أنـزل الله هذا في براءتي قال أبـو بكر الصديق رضي الله عنـه – وكان ينفـق على مسـطح بن أثاثة لقرابته منـه وفقره– : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ قـال أبو بكر: بـلى والله إني أحبُّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسـطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً »[٤].

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٢٢٣ .

(٢) المحـرر الوجيز ١٠/ ٤٦٧، وكذا ذكر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٠٧، دون عزو إليه.

(٣) مفاتيح الغيب ١٢/ ١٨٨ .

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٧٧٧، رقم ٤٤٧٣، ومسلم ٤/ ٢١٣٦، رقم ٢٧٧٠، وهذا لفظ البخاري.

معنى هذه الآية الكريمة، ودلالاتها على فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أولاً: معنى الآية الكريمة :

١- ﴿يَأْتَلِ﴾ أي يحلف، و﴿ٱلْفَضْلِ﴾: «أصله الزيادة، فهو ضد النقص، وشاع إطلاقه على الزيادة في الخير والكمال الديني، وهو المراد هنا، ويطلق على زيادة المال فوق حاجة صاحبه، وليس مراداً هنا، لأن عطف (السَّعة) عليه يبعد ذلك»[١] .

٢- **فمعنى الآية**: أي: لا يحلف أولو الفضل منكم والسعة أيها المؤمنون ألا يعطوا ذوي قرابتهم فيصلوا به أرحامهم، ولا يحلفوا ألا يعطوا ذوي الحاجة والخلة، والمهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله، وليعفوا عما كان منهم من جرم، وليتركوا عقوبتهم على ذلك بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك، ولكن ليعودوا هم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم، ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم، فيترك عقوبتكم عليها، والله غفور لذنوب من أطاعه، رحيم بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة، قد استغفروا منها، وتابوا إليه من فعلها[٢] . قال ابن عطية: « ورجع إلى مسطح النفقة والإحسان الذي كان يجري عليه، قالت عائشة: وكفَّر - [أي أبو بكر] - عن يمينه »[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ١٨/ ١٨٩ .

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٢٢٣- ٢٢٤، بتصرف .

(٣) المحرر الوجيز ١٠/ ٤٦٩ .

٣- وهـذه الآية وإن كان يـراد منها ابتداءً أبو بكر ومسـطح بن أثاثة رضي الله عنهما، فهي كما يقول القرطبي: « تتناول الأمة إلى يوم القيامة بألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابرَ الدهر »[(١)] .

ثانياً: من دلالات الآية على فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

١- أول هذه الدلالات على فضل أبي بكر هو إنزالها في حقه على هذا النحـو، موجهـةً له في تلطـف، لئلا ينزل عن رتبة الفضـل والكمال اللتين تشرف بهما، فلا يسد باب معروف، ولا يقطع مواساته ولو وصل إليه من جهة من كان يصله أذىً. فهذا الإنزال وحده على هذا الوجه منقبةٌ عظيمة من مناقبه رضي الله تعالى عنه.

٢- وصفُ الله تعالى له بأنه من (أولي الفضل)، وفيه ما فيه من معاني الكمالات الدينية والأخلاقية.

٣- ومنهـا أن الله تعـالى كنَّـى عنه بضمير الجمـع في (أولو) ، مما يدل على علو شـأنه رضي الله عنه، يقول الرازي: « واعلم أن الله تعالى وصف أبا بكر في هذه الآية بصفات عجيبة دالة على علو شأنه في الدِّين، أحدها: أنه سـبحانه كنى عنه بلفظ الجمع، والواحـد إذا كُنِّي عنه بلفظ الجمع دل على علو شأنه » [(٢)].

٤- وقـال الـرازي: « إن الله تعـالى لـما أمر أبـا بكر بذلـك لقبه بأولي الفضل وأولي السعة، كأنه سبحانه يقول: أنت أفضل من أن تقابل إساءته

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٠٧ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٢/ ١٨٨ - ١٨٩ .

بشيء، وأنت أوسـع قلباً من أن تقيم للدنيا وزناً، فلا يليق بفضلك وسَعة قلبك أن تقطع برّك عنه بسـبب ما صدر منه من الإساءة، ومعلوم أن مثل هذا الخطاب يدل على نهاية الفضل والعلو في الدين » [١].

٥- وعَـدَ اللهُ تعـالى أبـا بكر في هـذه الآيـة بالمغفـرة، في مقابل عفوه وصفحـه عمـن آذاه وصلتِـه لـه، وقـد كان، فثبتـت لـه رضي الله بذلـك مغفرة الله لذنوبه.

٦- ومن هذه الوجوه ما قاله الرازي أيضاً: « ومنها أنه سـبحانه قال لمحمـد ﷺ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ﴾ [المائـدة: ١٣] وقـال في حق أبي بكر: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ﴾ فمن هذا الوجه يدل على أن أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله ﷺ في جميع الأخلاق حتى في العفو والصفح »[٢].

٧- وفي هـذه الآيـة أيضاً دلالة على أن مسـطحاً رغـم وقوعه في هذا الذنب الكبير، - وهو الخوض في عرض عائشة تبعاً لما قاله ابن سلول - لم يسقط عنه وصف كونه من المهاجرين، وبالتالي لم يبطل ثواب هجرته[٣].

هـذه بعـض دلالات الآيـة عـلى فضـل الصديـق رضي الله عنـه، وقـد استنبط الـرازي مـن هـذه الآيـة في تفسـيره وجوهـاً عِـدّةً عـلى أفضليتـه رضي الله تعالى عنه وعلى سائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فلتراجع[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب ١٢/ ١٩٠.
(٢) مفاتيح الغيب ١٢/ ١٩٠ .
(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٠٨ .
(٤) مفاتيح الغيب ١٢/ ١٨٨- ١٩١ .

ثالثاً: الكلام على آيات سورة الليل:

يقول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧- ٢١].

روى الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: « قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك. فقال أبو بكر: « يا أبت إني إنما أريد ما أريد » لما نزلت هذه الآيات فيه ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ إلى قوله عز وجل ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ »[1].

معنى الآيات الكريمات ونصوص العلماء في نزولها في أبي بكر الصديق:

١- قال ابن الجوزي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ أي: يُبعد عنها - [أي النّار] - فيجعل منها على جانب، ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ يعني أبا بكر الصديق في قول جميع المفسرين، ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ أي: يطلب أن يكون عنه الله زاكياً ولا يطلب الرياء ولا السمعة، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ أي: لم يفعل ذلك مجازاة ليَدٍ أُسديت إليه »[2].

---

(١) المستدرك (٢/ ٥٢٥)، وقال: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم » . وسكت عنه الذهبي.

(٢) زاد المسير ٩/ ١٥٢ .

وقال الإمام الطبري حاكياً أقوال أهل التفسير المأثورة: « وقالوا: نزلت في حق أبي بكر بعتقه من أعتق من المماليك ابتغاء وجه الله »[١].

٢- وقال الإمام ابن عطية: « ولم يختلف أهلُ التأويل أن المراد بـ ﴿ ٱلْأَتْقَى ﴾ إلى آخر السورة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم هي تتناول كل من دخل في هذه الصفات »[٢].

٣- روى الطبري بسنده عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال: « نزلت هذه الآية في أبي بكر الصدّيق: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ »[٣].

٤- وروى الطبري بسنده عن قتادة، في قوله: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ قال: نزلت في أبي بكر[٤].

٥- قال ابن كثير: « وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولاشك أنه داخل فيها، وأنه أولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم - وهو قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ - ولكنه مقدم الأمة وسابق

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٧٩ .
(٢) المحرر الوجيز ١٥/ ٤٨٤ .
(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٧٩
(٤) السابق .

في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صدِّيقاً تقيّاً كريماً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسوله ﷺ »[(١)] .

فهذه أقوال أئمة أهل التفسير تدل على كون هذه الآيات في أبي بكر.

بعض ما في الآية من دلالات على فضل أبي بكر رضي الله عنه:

١- وصفه الله تعالى فيها بأنه الأتقى. فلتتأمل ... !

٢- وصفه الله تعالى أنه يؤتي ماله ابتغاء وجه الله تعالى طلباً للتزكي عنده سبحانه وتعالى، لا يريد جزاءً من أحد ولا شُكوراً، فهذه قمة الإخلاص وتمام الصدق في العبودية.

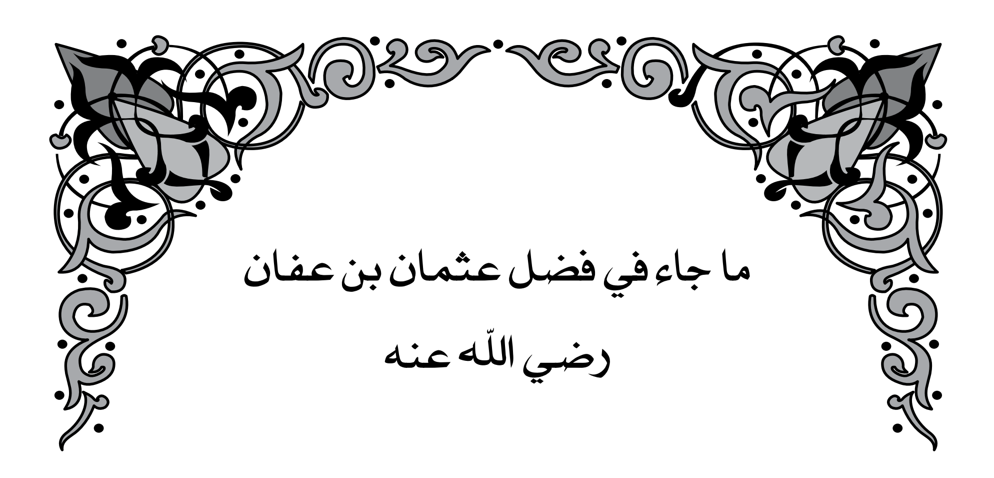
٣- وعده الله تعالى بأنه سوف يرضى، « أي بما يثيبه الله تعالى في الآخرة عِوضاً مما آتى في الدنيا في سبيله إذا لقي ربه»[(٢)]. وتلك إحدى بشرياته بالجنة، ولعلها أن تكون أولاها.

فكل هذه مناقب وفضائل للصديق رضي الله تعالى عنه .

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٤٢٢ .

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٨٠.



ما جاء في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه

١- يقول الله عز وجل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦].

٢- ويقول الله عز وجل: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

أولاً: الكلام على آية سورة النحل، ودلالاتها على فضائل لعثمان رضي الله عنه:

يقول الله عز وجل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

ذكر الطبري في المضروب به هذا المثل، **والمراد منه قولين:**

الأول: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللآلهة التي تُعبد من دونه، وهذا قول قتادة ومجاهد، والضحاك[١]. واختار الطبري هذا القول.

والثاني أنه: مثل للمؤمن والكافر، وهو مروي عن ابن عباس، وذكر الرواية عنه أنها نزلت في عثمان بن عفان، ومولى له كان يكره الإِسلام وينهى عثمان عن النَّفقة في سبيل الله، وهو الأبكم[٢] .

وزاد ابن الجوزي فيمن أُريد بهذا المَثَل: « أن المراد بالأبكم: أُبيُّ بن خَلف، وبالذي يأمر بالعدل: حمزة، وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون. قاله عطاء »[٣].

ما صحَّ في سبب نزول هذه الآية:

روي عن ابن عبّاس بسند صحيح [٤] أن هذه الآية نزلت في حقِّ عثمانَ بن عفان رضي الله عنه ومولىً له، فهي في حق المؤمن والكافر، هكذا روي عن ابن عبّاس[٥]. وهذا المثل في الأعمال والمآل، أي لا يستوي عملهما، ولا يستوي مآلهما .

---

(١) وزاد ابن الجوزي: ابن السائب، ومقاتل. زاد المسير ٤/ ٤٧٣ .

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ٣٠٩ - ٣١٣ .

(٣) زاد المسير ٤/ ٤٧٣ .

(٤) ينظر صحيح أسباب النزول ص ١٤٧ .

(٥) ينظر تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٩٣، الحديث رقم ١٢٦٠٣ .

فقـد أخرج الطبري، وغيره بسـنده عن عبد الله بـن عباس رضي الله عنهـما في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ قال: « نزلت في رجل من قريـش وعبده. وفي قولـه: ﴿مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ إلى قولـه: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قـال: هـو عثمان بـن عفـان. قـال: والأبكم الذي أينما يُوَجَّهُ لا يأت بخـير، ذاك مولى عثمان بن عفَّـان، كان عثـمان ينفق عليه ويكفلـه ويكفيه المئونـة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما »[1].

وروى الطبري بسـنده عن ابن عبـاس: « ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ إلى آخـر الآيـة، يعنـي بالأبكم الذي هـو كَلٌّ على مولاه: الكافـر، وبقوله: ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ المؤمن. وهذا المثل في الأعمال »[2].

وقال السـيوطي في الدر المنثور: « وأخرج ابن سـعد، وابن أبي شيبة، والبخـاري في تاريخه، وابن أبي حاتم، وابـن مردويه، والضياء في المختارة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ قال: عثمان بن عفان»[3].

(١) أخرجـه الطـبري في تفسـيره ١٤/ ٣١٢، وهـذا لفظه، وأخرجه الواحدي في أسباب النـزول ص (١٨٩). وعزاه السـيوطي في الدر المنثـور (٩/ ٨٧ – ٨٨) أيضاً إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر (٣٩/ ٢١٨، ٢١٩).

(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٣١١-٣١٢.

(٣) الـدر المنثـور ٩/ ٨٨، وقـد أخرجـه ابن سـعد في الطبقات ٣/ ٤٤، وابن أبي شـيبة في المصنـف ١٧/ ٨١، برقـم ٣٢٧٠٢. والبخاري في التاريـخ الكبير ١/ ٣٠٦- ٣٠٧، والضياء في المختارة ٩/ ٤٨٤.

فعلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، تكون الآية قد اشتملت على مناقب لعثمان رضي الله عنه، منها:

١ – الإشادة بكرمه وإنفاقه، وهذا شيء كان معروفاً عن عثمان.

٢ – الإشادة بكرم خلقه وصبره على هذا المولى العاجز الناقص الذي أينما يوجهه لا يأت بخير.

٣ – أنه من الآمرين بالعدل، وهذا مطلق، وقد تمثل ذلك في دعوة مولاه إلى الإسلام .

٤ – وأنه مهدي، على صراط مستقيم، فهي شهادة بإيمانه، وإشارة إلى حسن سيرته، وحسن اتباعه لهدى الله ورسوله، وأنه من أعلام الهدى .

❋ ❋ ❋

ثانياً: الكلام على آية سورة الزمر:

يقول الله عز وجل: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

روى ابن أبي حاتم، وكذا أبو نعيم من طريق شيخ ابن أبي حاتم، بإسناده عن يحيى البكّاء، أنه سمع ابن عمر قرأ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ

سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ ﴾؛ قال ابن عمر: ذاك عثمان ابن عفان، رضي الله عنه[(١)].

وزاد ابن أبي حاتم في تفسيره: « وإنما قال ابن عمر ذلك؛ لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته، حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة، كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضي الله عنه ».

ورواه ابن عساكر بسنده عن يحيى البكاء عن ابن عمر في قوله: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾ الآية، قال: « نزلت في عثمان بن عفان »[(٢)]. هكذا بالتصريح أنها نزلت فيه.

قال البغوي: « والقانت: المقيم على الطاعة. قال ابن عمر: القنوت: قراءة القرآن وطول القيام، و﴿ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾: ساعاته، ﴿ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ يعني: في الصلاة، ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ يخاف الآخرة، ﴿ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ يعني: كمن لا يفعل شيئًا من ذلك »[(٣)].

وقد حلَّى أبو نعيم عثمانَ بن عفان رضي الله عنه في الحلية بقوله:

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٤٨، رقم ١٨٣٧٨، وحلية الأولياء ١/ ٥٦ . وأورده ابن كثير عنه في تفسيره ٧/ ٨٨ عن ابن أبي حاتم وذكر إسناد ابن أبي حاتم. وذكره السيوطي في لباب النقول ص (١٨٤)، وزاد السيوطي عن ابن عباس أنها نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنهما، ولكنها من رواية الكلبي عنه . تنظر الرواية في تاريخ ابن عساكر ٤٣/ ٣٧٧ .

(٢) تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٣٢ .

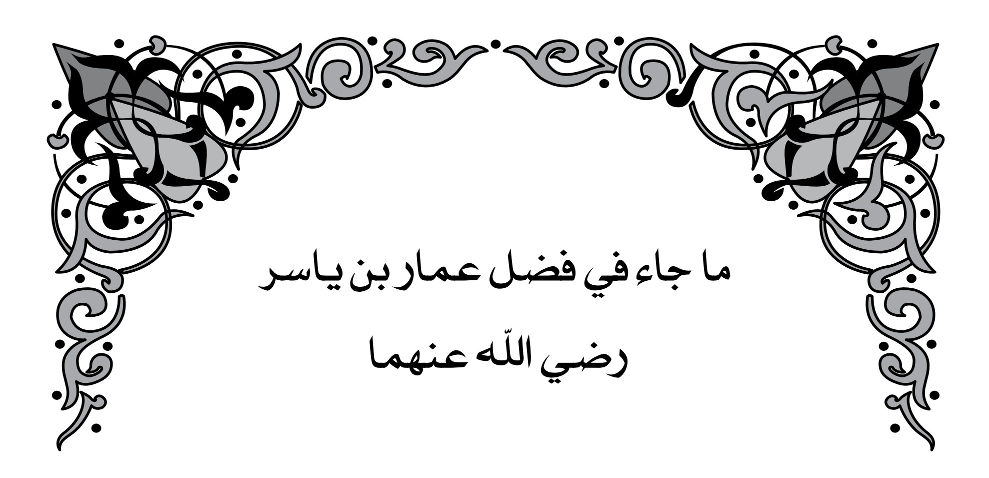
(٣) تفسير البغوي ٧/ ١١١ .

« وثالـثُ القوم: القانـتُ ذو النورين، والخائف ذو الهجرتين، والمصلي إلى القبلتـين، هـو عثمان بن عفـان رضي الله تعـالى عنه، كان مِـن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، فكان ممن هو قانت آنـاء الليل سـاجداً وقائـماً يحذر الآخـرة ويرجو رحمة ربه، غالـبُ أحواله الكـرمُ والحياء، والحذَرُ والرجـاء، حظُّه مِن النهار الجـودُ والصيام، ومِن الليل السجودُ والقيام، مبشَّرٌ بالبلوى، ومنعَّمٌ بالنجوى»[1] .

فرضي الله تعالى عنه.



(١) حلية الأولياء ١/ ٥٥ .



ما جاء في فضل عمار بن ياسر رضي الله عنهما

يقول الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: ١٠٦].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر »(١) .

أولاً: معنى الآية الكريمة:

يقول ابن كثير رحمه الله: « أخبر تعالى عمَّن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غَضب عليه، لعلمهم بالإيمان ثم عُدُولهم عنه، وأن لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة... وأما قوله: ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ فهو استثناء ممن كفر

(١) فتح الباري ١٢/ ٣١٢، بين الحافظ أنه هذا مروي من طرق مراسيل بعضها صحيح ويقوي بعضها بعضاً .

بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرهاً لما ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبى ما يقول، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله »[١].

ثانياً: ما جاء في سبب نزول هذه الآية:

١- أخرج ابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي عبيدة ابن محمد بن عمار، عن أبيه، - والطبري وابن سعد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار ولم يذكرا « عن أبيه » -: قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فلم يتركوه حتى سَبَّ النبيَّ ﷺ، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ، قال: « **ما وراءكَ شيءٌ ؟** »، قال: شرٌّ، ما تُرِكْتُ حتى نلتُ منك وذكرتُ آلهتهم بخير، قال:« **كيف تجد قلبك؟** »، قال: مطمئنٌّ بالإيمان، قال:« **إن عادوا فَعُدْ** »، فنزلت: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ**﴾ »[٢].

٢- وأخرج الطبري بسنده عن قتادة: ﴿**مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ**﴾ قال: ذُكِر لنا أنها نزلت في عمار بن ياسر، أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر ميمون وقالوا:

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٦٠٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ٧/ ٢٣٠٣، برقم ١٢٦٦٦. والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٥٧. وهذا لفظها. وتفسير الطبري ١٤/ ٣٧٤- ٣٧٥، والطبقات الكبرى ٣/ ١٨٩. وتاريخ دمشق ٤٣/ ٣٧٢٣ . وقال الحافظ في الفتح (١٢/ ٣٢١): في رواية الطبري « مرسل ورجاله ثقات أخرجه الطبري ». وذكر أن بقية الروايات مرسلة ثم قال: « وهذه المراسيل تقوي بعضها بعضاً » .

اكفـر بمحمـد، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره، فأنزل الله تعالى ذكره ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾: أي من أتى الكفر على اختيار واستحباب، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾»[1].

ثالثاً: دلالة الآية على فضل عمار بن ياسر رضي الله عنه:

١- هـذه الآية باعتبار سـبب نزولها، إشـارةٌ إلى أن مَن نزلت في حقه - وهو عمار بن ياسر رضي الله عنهما - ممتلئ إيماناً، وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان، وهذه منقبةٌ ما أعظمها من منقبة.

٢- عنايـة الله تعـالى بعمّارٍ بـأنْ أنزل في شـأنه آيةً عُـذراً له، وصارت شرعـاً إلى يـوم القيامة[2]، فهـذه منقبة ثانية، وقد كان يكفي في شـأن عمار

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٣٧٤.

وذكـر ابـن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٣، رقم ١٢٦٦٦) في أسـباب نزول هـذه الآية رواية مطولـة فيـما نال بلالاً وخبـاب بن الأرَتِّ مـن أذى قريش وصبرهما، ومـا نال ياسراً وزوجته سمية وعماراً من ذلك، وكيف قتلت سمية وزوجها ياسر رضي الله عنهم في سـبيل الله. وضعَّفه الحافظ في الفتح (١٢/ ٣١٢) فقال: «وقد أخرجه ابن أبي حاتم مـن طريق مسـلم الأعور - وهـو ضعيف - عن مجاهد عن ابـن عباس قال: «عذب المشركون عماراً حتى قال لهم كلاماً تقيةً فاشتد عليه».

(٢) قـال ابـن رجب في **جامع العلـوم والحكم** (٣/ ١١١٩): «وأمـا الإكراه على الأقوال فاتفـق العلـماء على صحته وأن من أكره على قول محرم إكراهـاً معتبراً أن له أن يفتدي نفسه به ولا إثم عليه، وقد دلَّ عليه قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمار: «**وإن عادوا** =

شهادةُ النبي ﷺ له، وترخيصُه له بالعودة إلى ذلك إن عاد الكفار إلى إيذائه

= فَعُـدْ » وكان المشركـون قد عذّبوه حتى يوافقهم عـلى ما يريدون من الكفر ففعل».
وقـال الحافـظ ابن كثير في تفسـيره (٤/ ٦٠٦- ٦٠٧): « ولهذا اتفـق العلماء على أنه يجـوز أن يُـوَالى المكرَه عـلى الكفر، إبقاءً لمهجتـه، ويجوز له أن يسـتقتل، كما كان بلال رضي الله عنـه يأبـى عليهـم ذلـك وهـم يفعلون بـه الأفاعيـل، حتى أنهـم ليضعون الصخرة العظيمة على صدره في شدَّة الحر، ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبى عليهم وهو يقـول: أَحَد، أَحَد. ويقول: والله لو أعلـم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها، رضي الله عنه وأرضاه. وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب: أتشـهد أن محمدًا رسـول الله؟ فيقول: نعم. فيقول: أتشـهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع. فلم يزل يقطعه إرْبًا إرْبًا وهو ثابت على ذلك ..... والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى قتله، كما قال الحافظ ابن عساكر، في ترجمة عبد الله بن حُذَافة السـهمي أحد الصحابة: أنه أسرته الروم، فجاءوا به إلى ملكهم، فقال له: تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي. فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العـرب، على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين، مـا فعلت! فقال: إذنْ أقتلك. قال: أنـت وذاك! فأمر به فصُلب، وأمـر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه، وهو يعرض عليه دين النصرانية، فيأبى ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بِقِدْر. وفي رواية: ببقرة من نحاس، فأحميت، وجاء بأسـير من المسـلمين فألقاه وهو ينظر، فإذا هـو عظام تلوح. وعرض عليـه فأبى، فأمر به أن يلقـى فيها، فرفع في البَكَرَة ليلقى فيها، فبكى فطمع فيه ودعاه فقـال لـه: إني إنما بكيت لأن نفـسي إنما هي نفس واحدة، تُلْقى في هذه القدر السـاعة في الله، فأحببـت أن يكـون لي بعدد كل شـعرة في جسـدي نفس تعـذب هذا العذاب في الله. وفي بعـض الروايات: أنه سـجنه ومنع عنه الطعام والشراب أياماً، ثم أرسـل إليه بخمر ولحم خنزير، فلم يقربه، ثم اسـتدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنـه قـد حَلَّ لي، ولكن لم أكن لأشـمتك فيّ. فقال له الملك: فَقَبِّـلْ رأسي وأنا أطلقك. فقال: وتطلق معي جميع أسـارى المسـلمين؟ قال: نعم. فقبل رأسـه، فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب: حَقٌّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ. فقام فقبل رأسه ».

- وخاصة أنهم كانوا في زمنٍ ضعفٍ- ففي الإنزال تخفيفٌ عنه ومزيدُ عناية به، وإعلاءٌ لشأن المستضعفين من المؤمنين.

رابعاً: ملحق ببعض ما ورد في السنة في فضل عمّار رضي الله عنه:

١- أخرج النسائي في فضائل الصحابة عن عمرو بن شرحبيل قال: حدثنا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **مُلئ عمار بن ياسر إيماناً إلى مُشاشه** »[(١)]. ورواه البزار من حديث عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ملئ إيماناً إلى مُشاشه** »[(٢)]. يعني عماراً.

والمُشاش رؤوسُ العِظام الليِّنة التي يمكن مَضغُها[(٣)]، وهو كناية عن كمال إيمانه، وتمكن الإيمان من قلبه[(٤)].

٢- وأخرج الترمذي وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **ما خُيِّرَ عمارُ بين أمرين إلا اختار أرشدهما** »[(٥)].

٣- وأخرج البخاري عن علقمة قال: « قدمت الشأم فصليتُ

---

(١) فضائل الصحابة للنسائي ص ١٥٣، برقم ١٦٨. وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٩٢): « أخرجه النسائي بسند صحيح ».

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ٢٥٢، رقم ٢٦٨٥. قال الحافظ في الفتح (٧/ ٩٢): « وإسناده صحيح ».

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (مشش).

(٤) تعليق محقق فضائل الصحابة للنسائي ص (١٥٣) على الحديث رقم ١٦٨.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٦٦٨، رقم ٣٧٩٩، قال الترمذي: « هذا حديث حسن غريب »، وأخرجه النسائي في فضائل الصحابة ص ١٥٥ن برقم ١٧١، وقال: (أشدهما) بدل (أرشدهما).

ركعتين ثم قلتُ: اللهم يسِّر لي جليساً صالحاً، فأتيت قوماً فجلست إليهم، فإذا شيخٌ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلتُ: مَن هذا ؟ قالوا: أبو الدرداء، فقلت: إني دعوت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً فيسَّركَ لي. قال: « ممن أنت؟ »، قلتُ: من أهل الكوفة. قال: « أوَليس عندكم ابنُ أمِّ عبدٍ صاحبُ النعلين والوساد والمِطهرة ؟ وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان ؟ [1] - يعني على لسان نبيه ﷺ -، أوَليس فيكم صاحبُ سرِّ النبيِّ ﷺ الذي لا يَعْلُمه أحد غيره ؟... »[2] .

والذي أُجير من الشيطان هو عمار بن ياسر رضي الله عنهما كما جاء مصرحاً به في رواية النسائي قال: « فيكم الذي أُجيرَ من الشيطان عمارُ بن ياسر » [3].

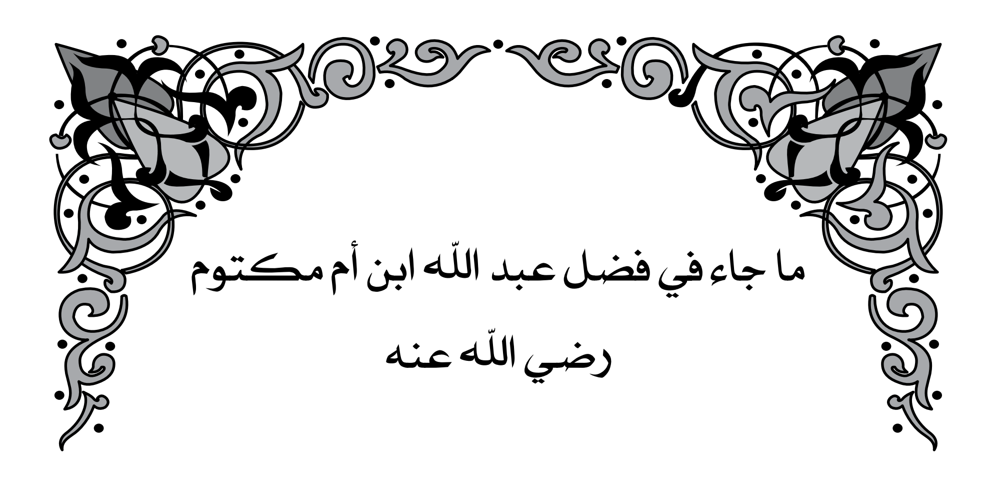
وبعد: فهذه بعض دلالات الآية على فضائل عمار بن ياسر، وبعض ما روي في مناقبه، فرضي الله عنه، وكل ذلك يدل على عناية القرآن بأصحاب رسول الله ﷺ، وعلوِّ قدرهم عند الله، فأين مَنْ ينتقصهم، ومَنْ لم ينزلهم منزلتهم، ويقدرهم أقدارهم مِن كلِّ هذا ...؟!

---

(١) ينظر الأقوال في المراد بذلك في الفتح ٧/ ٩٢ .

(٢) يقول الدكتور البغا في تعليقه على صحيح البخاري (٣/ ١٣٦٨): « (ابن أم عبد) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . (صاحب النعلين) الذي كان يحمل نعلي رسول الله ﷺ ويتعاهدهما. (الوساد) الوسادة والمخدة. (المطهرة) الإناء الذي يوضع فيه الماء ليطهر به، وكان ابن مسعود رضي الله عنه هو الذي يتولى هذه الأمور وتهيئتها لرسول الله ﷺ. (صاحب السر) أراد به حذيفة رضي الله عنه وكان أعلمه رسول الله ﷺ بالمنافقين وأحوالهم وأطلعه على بعض ما يجري لهذه الأمة بعده وجعل ذلك سرّاً بينه وبينه » .

(٣) فضائل الصحابة للنسائي ص ١٧٣، برقم ١٩٤ .



ما جاء في فضل عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه

يقـول الله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴾ [عبس: ١-١١].

هذه آيات عتاب للنبي ﷺ في حق أحد أصحابه، وهو عبد الله ابن أم مكتوم، وكان رجلاً أعمى، وهي آيات تعليم للنبي ﷺ وإرشـاد له إلى ما هو أولى عند الله، وفيها تطييب لقلب من عاتب الله فيه نبيه، وإعلاءٌ لقدر ضعفاء المؤمنين عامة، وتوهين لقدر الكافرين .

يقول ابن كثير رحمه الله في سبب نزول هذه الآيات: « ذكر غيرُ واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطبُ بعض عظماء قريش، وقد طَمع في إسـلامه، فبينـما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابـنُ أم مكتوم -وكان ممن أسـلم قديماً- فجعل يسأل رسـول الله ﷺ عن شيء ويُلحُّ عليه، ووَدَّ

النبي ﷺ أن لو كفَّ ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعاً ورغبة في هدايته، وعَبَس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله عز وجل: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾... الآيات »[1].

فضائل لابن أم مكتوم رضي الله عنه:

من فضائل ابن أم مكتوم رضي الله عنه في هذه الآيات:

١- أن ذا الجلال سبحانه وتعالى عاتب نبيه وأكرمَ خلقِه عليه في شأنه، وأنزل في ذلك قرآناً يتلى، وهذه منقبة عظيمة له رضي الله عنه .

٢- أن الله وصف حاله بأنه جاء متلهفاً إلى تعلم ما يقربه إليه سبحانه ويزكيه، حالةَ كونه يخشى ربه، يحرص على السعي إلى ذلك وهو ضرير يتعنَّى في مشيه، وهذا صدق في طلب التزكية وطلب النجاة .

وابن أم مكتوم رضي الله عنه هو ابن خال السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهو من الذين أسلموا بمكة قديماً، وقد اختلف في اسمه، فأهل المدينة يسمونه عبد الله، وأهل العراق يسمونه عمراً، وهو ابن قيس ابن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي العامري[2].

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٣١٩ .

(٢) ينظر السير ١/ ٣٦٠ .

وكان رضي الله عنه من أول المهاجرين إلى المدينة، ومن أول معلمي القرآن بها، وكان يؤذن لرسول الله ﷺ، وقد استخلفه رسول الله ﷺ ثلاث عشرة مرة في غزواته على المدينة يصلي بالناس(١) .

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « أول مَن قَدِمَ علينا من أصحاب رسول الله ﷺ: مُصعَب بنُ عُمَير، وابنُ أُمِّ مَكتوم، فجعلا يُقْرآننا القرآن، ثم جاء عَمَّار وبلالٌ وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب رسولِ الله ﷺ ...»(٢) .

ومن مناقبه رضي الله عنه: أنه نزل بسببه التصريح بسقوط فرض الجهاد عن المعذورين، وإلحاقهم بالمجاهدين في الثواب، فعن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ أملى عليه: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله). قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمِلُّها عليَّ فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان رجلاً أعمى - فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخِذُه على فخِذِي فثقلت عليَّ حتى خِفْت أن تَرُضَّ فخذي ثم سُرِّيَ عنه فأنزل الله عز و جل﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء : ٩٥] (٣) .

(١) ينظر جامع الأصول ١٢/ ٦١٧، وترجمته في الإصابة في عمر ابن أم مكتوم

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٤٢٨، رقم ٣٧١٠ .

(٣) صحيح البخاري ٢/ ١٠٤٢، رقم ٢٦٧٧ . و(تَرُضَّ فخذي) أي: تكسرها وتدقها.

كلمات في توضيح عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ في هذه الآيات:

العتاب هنا لأغراض كريمة، وقد كان لأمرين:

الأول: أنه كان لمجرد تقطب وجه النبي ﷺ لفعل رجل ضرير لا يرى ذلك، ولا يدري ما فعل النبي ﷺ، فهو عتاب مناسب لمقام من وصفه الله بأنه على خلق عظيم.

والآخر: أنه لعدم التفات النبي ﷺ -حالة إقباله على دعوة هؤلاء الكفار- إلى إجابة مؤمن هذا حاله- فقد كان معذوراً بأنه لا يرى مجلسه ﷺ، وقد جاء مقبلاً عليه متلهفاً لأن يعلمه - حتى لا ينكسر قلبه، فهو عتاب للنبي ﷺ رغم اشتغاله بطاعة وهي أداء مهمته من الدعوة والبلاغ، ومع عِلْمِه ﷺ أن تعليم ابن أم مكتوم لن يفوت، وما ذاك إلا لغرض عظيم .

أمّا الغرض من العتاب - كما هو الظاهر - فهو تعظيم شأن فقراء المؤمنين وضعفائهم، وتهوين شأن الكافرين المستغنين عن التزكي، وإعلام بأن الله غني عنهم، وأنه ما عليه ﷺ إلا البلاغ، وإرشاد النبي ﷺ إلى الاجتهاد في تطييب قلوب فقراء المؤمنين الذين هم أهل الإخلاص وحزب الله[١] . لا لأن النبي ﷺ وقع في معصية، حاشاه .

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٠/ ٢٨ .

يقول النيسابوري في قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾: « يعني: أيُّ وبالٍ عليك، أو ليس عليك بأس في أن لا يتزكى ذلك المستغني، إن عليك إلا البلاغ، فما الموجب للحرص والتهالك على إسلامه، حتى تكسر قلوب الفقراء بالعبوس والإعراض »(١).

يقول القاضي عياض رحمه الله: « وأما قوله: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ ... الآيات: فليس فيه إثبات ذنب له ﷺ، بل إعلام الله أن ذلك المتصدي له ممن لا يتزكى، وأن الصّواب والأوْلى كان - لو كشف لك حال الرجلين - الإقبال على الأعمى، وفعل النبي ﷺ لما فعل وتصديه لذاك الكافر كان طاعة لله وتبليغاً عنه واستئلافاً له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له، وما قصَّه الله عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده، والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله: ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ »(٢).

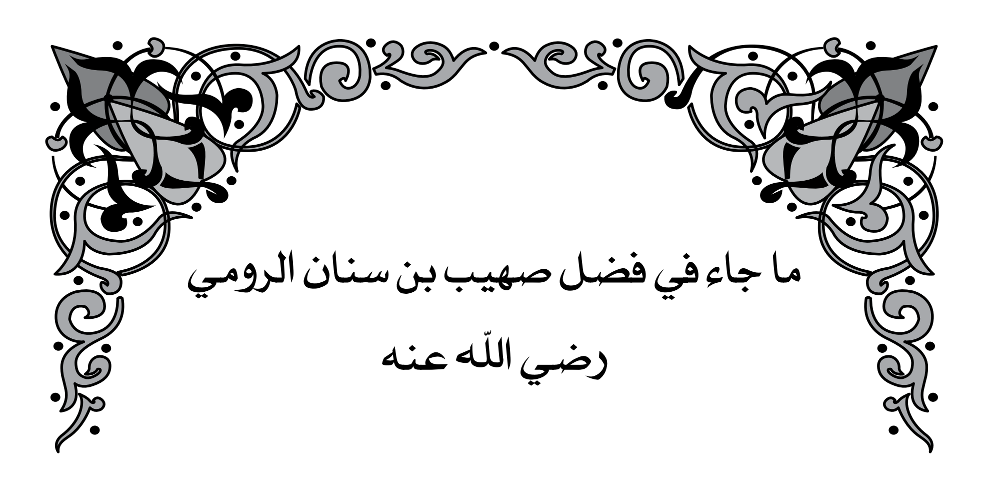
وقد جاء العتاب في أسلوب تلطف بالنبي ﷺ حيث بدأ الخطاب فيه بضمير الغيبة في قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾، ولم يبدأ خطابَ مواجهةٍ له ﷺ، فلم يقل: عبست، وتوليت، وفي هذا من التلطف بالنبي ﷺ والإكرام ما فيه.

❁ ❁ ❁

(١) السابق ١٠/ ٢٨ .

(٢) الشفاء ٢/ ١٦٦ .





ما جاء في فضل صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه

يقول الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

نزلت هذه الآية الكريمة تسجِّل نموذجاً من النماذج السامية والأفعال الراقية، وهو نموذج من يبذلون دنياهم وأنفسهم وأموالهم طلباً لصلاح دينهم لا يبغون غير ذلك، في مقابل آية سبقت في ذكر المنافقين الذين أضاعوا دينهم وبذلوه طلباً لدنياهم، تقابلها بالفعل الأسمى والنموذج الأرقى.

وفي ذلك يقول الإمام الرازي رحمه الله: « لما وصف الله في الآية المتقدمة حال مَنْ يبذل دينه لطلب الدنيا، ذكر في هذه الآية من يبذل دنياه ونفسه وماله لطلب دينه »[١] .

فشتان ما بين النموذجين .

---

(١) تفسير الرازي ٣/ ٢٢٢ .

في ظلال هذه الآية الكريمة ودلالاتها :

أ) **قوله تعالى** ﴿ يَشۡرِي ﴾: إما أن يكون بمعنى يبيع نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ ﴾، ويكون معنى ﴿ يَشۡرِي نَفۡسَهُ ﴾ أي: باع نفسه بثواب الآخرة، فبذلها في طاعته تعالى. فالباذل بائع، والله هو المشتري: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾. وإما أن يكون ﴿ يَشۡرِي ﴾ بمعنى يشتري، وهو مَن يدفع ما يخلِّص به نفسه ابتغاء مرضاة الله[1]. فالشراء كما يقول ابن قتيبة وغيره: من الأضداد، يدل على المعنى وضده[2].

ب) وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية الكريمة أقوالاً عدة: منها: أنها نزلت في صهيب الرومي، وفي أبي ذرّ[3]. ومنها: أنها نزلت في خباب، وفي بلال، وعمار بن ياسر وأبيه ياسر وأمه سمية، وفي علي بن أبي طالب وغيرهم[4]. وأصح ما روي فيها: أنها نزلت إثر فعل كريم

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ١٩٤، ١٩٥، وتفسير الرازي ٣/ ٢٢، وقال ابن عطية: « يقال: شرى بمعنى اشترى ويحتاج إلى هذا من تأول الآية في صهيب ؛ لأنه اشترى نفسه بماله ولم يبعها، اللهم إلا أن يقال إن عزم صهيب على قتالهم بيع لنفسه من الله تعالى فتستقيم اللفظة على معنى باع» اهـ. (المحرر الوجيز ٢/ ١٩٥) .

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٨١.

(٣) فقد روى الطبراني في الكبير ٨/ ٢٨، عن ابن جريج أنها نزلت في صهيب وأبي ذر. وقال الهيثمي: « رواه الطبراني ورجاله ثقات إلى ابن جريج». (مجمع الزوائد ٦/ ٣١٨) .

(٤) تنظر الأقوال في العجاب في بيان الأسباب (١/ ٥٢٤- ٥٢٩، والأخرى (ص ٣٣٣- ٣٣٧)، وزاد المسير ١/ ٢٢٣-٢٢٤، وتفسير الرازي ٣/ ٢٢٢، وبعض هذه الأقوال تعد تأويلاً للآية وليس سبب نزول كما تأولها علي وعمر وابن عباس رضي الله عنهم في مغيري المنكر، وبعضها من قبيل التفسير وبيان المراد. ينظر المحرر الوجيز ٢/ ١٩٥.

لأحد أصحاب رسـول الله ﷺ وهو صهيب بن سـنان النَّمري الرومي[١] رضي الله تعالى عنه تمدح فعله وتشيد به، وتصف بواعثه وما انطوت عليه نفس صاحبه، وتبشره بقبول عمله، وبما له من الفوز والرضوان .

الروايات الدالة على نزولها في حق صهيب رضي الله عنه :

يقول ابن كثير رحمه الله: قال ابن عباس، وأنس، وسعيد بن المسيب، وأبـو عثـمان النّهـدي، وعكرمـة، وجماعـة: نزلـت في صُهيـب بن سـنَان الرومـي، وذلك أنَّه لما أسـلم بمكـة وأراد الهجرة، منعـه الناس أن يهاجر بمالـه، وإنْ أحـب أن يتجرّد منه ويهاجـر فَعَل. فتخلـص منهم وأعطاهم مالـه، فأنـزل الله فيه هذه الآية، فتلقاه عمر بـن الخطاب وجماعة إلى طرف الحـرّة. فقالوا: رَبح البيـع. فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخـبروه أنّ الله أنـزل فيـه هذه الآية. ويـروى أن رسـول الله ﷺ قال له: « **ربِح البيعُ صهيب، ربح البيعُ صهيب** »[٢].

١ – وقـد أخـرج الحاكم وغـيره عن عكرمة قـال : « لما خرج صهيب مهاجـراً تبعـه أهل مكـة، فنَثَـلَ كنانته، فأخـرج منها أربعين سـهماً فقال:

(١) ينظـر صحيـح أسـباب النـزول لإبراهيـم العـلي (ص ٣٩)، وهي التي اقتـصر عليها السـيوطي في لبـاب النقـول (ص ٢٨)، وينظـر تعليقـات ابـن حجـر في العجـاب (١/ ٥٢٤- ٥٢٩، والأخـرى ص ٣٣٣- ٣٣٧)، وقـال الحافـظ : « وقـال أكثـر المفسرين نزلت في صهيب ». (العجاب ١/ ٥٢٧، والأخرى ص ٣٣٥).

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٤.

لا تصلـون إليَّ حتـى أضـع في كل رَجُـلٍ منكـم سـهماً ثم أصـير بعده إلى السيف، فتعلمون أني رجل، وقد خلفت بمكة قَيْنَتَين فهما لكم .

٢- قـال: وحدثنا حماد بن سـلمة عن ثابت عن أنـس نحوه، ونزلت عـلى النبـي ﷺ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ الآيـة، فلـما رآه النبي ﷺ قال: « **أبا يحيى ربح البيع** » قال: وتلا عليه الآية[1].

٣- وقـد أخـرج إسـحاق بـن راهويـه وابـن مردويه عـن أبي عثمان النهـدي: «أن صهيبًا حين أراد الهجرة إلى المدينة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلـوكاً فكثر مالـك عندنا وبلغت مـا بلغت ثم تريد أن تخرج بنفسـك ومالـك، والله لا يكـون ذلك، فقال لهم: أرأيتـم إن أعطيتكم مالي أتخلون سـبيلي؟ فقالوا: نعم. فقال: أُشـهدكم أني قد جعلت لكم مالي. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « **ربح صهيب ربح صهيب** » [2].

٤- وقد رواه ابن سـعد والحارث بن أبي أسامة عن سعيد بن المسيب قال: « أقبَلَ صهيب - رضي اللهّ عنه - مهاجراً إلى النبي ﷺ فاتبعه نفر من

---

(١) المسـتدرك ٣/ ٣٩٨، وقال الحاكم: « صحيح على شرط مسـلم ولم يخرجاه ». وسكت عنه الذهبي .

(٢) إتحـاف الخـيرة ٧/ ٢٨٠، وعلـق عليـه الحافـظ البوصيري فقـال: « رواه إسـحاق بن راهويه وابن مردويه في تفسـيره بسـند صحيح إن كان أبو عثمان سمعه من صهيب». اهـ. وسـاق ابن كثير في التفسـير ١/ ٥٦٤ إسـناد ابن مردويه، وقـال: عن أبي عثمان النهدي عن صهيب .

قريش ونزل عن راحلته وانتَثَل ما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش، لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وايم الله لا تصلون إليَّ حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وَقَيْنَتِي بمكة وخليتم سبيلي. قالوا: نعم. ففعل، فلما قدم على النبي ﷺ المدينة قال: « **ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى** ». قال: ونزلت ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ »[1].

ج) وهذه الآية وإن نزلت على سبب فإن صيغتها العامة ودلالتها تتسع لكل من يبذل نفسه لله ابتغاء مرضاته تعالى مجاهداً في سبيله أو آمراً بمعروف أو ناهياً عن منكر وغير ذلك، فالعبرة بعموم لفظها لا بخصوص سبب نزولها، ولا شك أنه يدخل فيها من نزلت بسببه دخولاً أوّلياً. وفي هذا المعنى يقول الإمام الرازي في هذه الآية: « يدخل تحت هذا كل مشقة يتحملها الإنسان في طلب الدين، فيدخل فيه المجاهد، ويدخل فيه الباذل مهجته الصابر على القتل كما فعله أبو عمار وأمه، ويدخل فيه الآبق من الكفار إلى المسلمين، ويدخل فيه المشتري نفسه من الكفار بماله كما فعل صهيب، ويدخل فيه من يُظهر الدينَ والحقّ عند السلطان الجائر »[2].

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/ ١٧١ – ١٧٢، وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ٢١٤، وإتحاف الخيرة ٥/ ٨١، وهذا لفظ مسند الحارث، وقال الحافظ البوصيري: « هذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، وله شاهد من حديث سراقة بن مالك، وسيأتي في علامات النبوة ».

(٢) تفسير الرازي ٣/ ٢٢٣ .

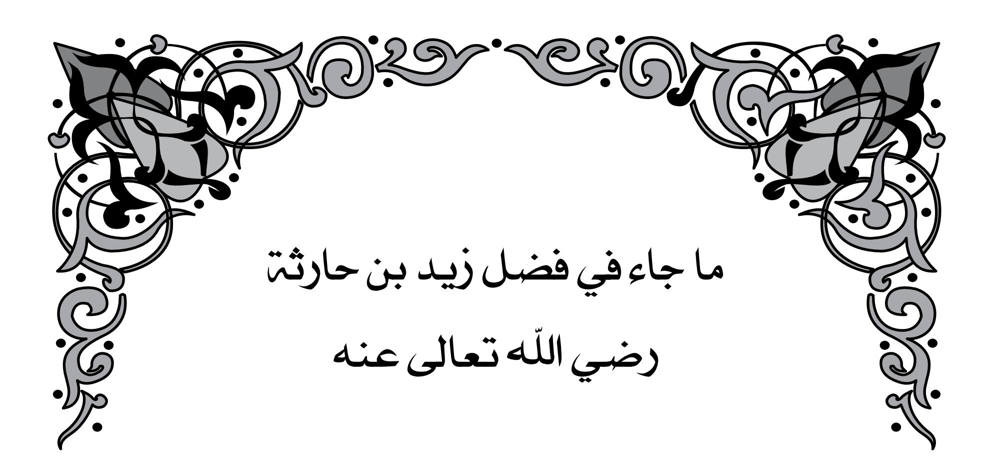
د) وفي نزول أمثال هذه الآيات بالبشـارات لأصحاب رسول الله ﷺ دلالة على عناية الله تعالى بهم، وعلى رضاه سبحانه عما هم عليه، وفيه أيضاً تثبيتُ قلوبهم وتقوية عزائمهم ليترقوا في مدارج الكمال.

هـ) وفي فضـل صهيـب رضي الله تعـالى عنـه يقول رسـول الله ﷺ: « أنا سَـابق العرب إلى الجنة، وصُهيبٌ سـابقُ الروم إلى الجنة، وبلالٌ سابق الحبشة إلى الجنة، وسلمانُ سابقُ الفُرس إلى الجنة »[1].

وهكذا يسـجل القرآن الكريم هـذه النماذج السـامية، لتظل منارات للمهتديـن إلى يوم القيامة، ويشـيد بأصحابها، ويبشرهـم بقبول أعمالهم، فرضي الله تعالى عن صهيب، وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين .



(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أنس ٨/ ٢٩، وعن أبي أمامة ٨/ ١١١، وعن أم هانـئ ٢٤/ ٤٣٥، وأخرجه البزار عن أنس (البحر الزخار ٢/ ٣٠٧). وقال الهيثمي في حديث أنس: « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زاذان وهو ثقة وفيه خلاف ». وقال في حديث أبي أمامة: « رواه الطبراني وإسـناده حسـن ». (مجمع الزوائد ٩/ ٣٠٥)



ما جاء في فضل زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه

يقـول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

هـذه الآية الكريمة إحدى الآيات النازلة في إبطـال عادة التبنِّي التي اشـتهرت عند العرب، وسـوف نبيّن بعـض ما يتعلق بذلـك بعد أن نبيّن دلالات الآية على فضل زيد رضي الله عنه.

وزيـد هذا كما حلّاه الإمام الذهبي في السـير: « هو زيد بن حارثة بن شراحيل أو شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامـر بن النعـمان، الأميرُ الشـهيدُ النبويُّ، المسـمَّى في سـورة الأحزاب، أبو أسـامة الكلبـيُّ، ثم المحمدي، سـيدُ الموالي، وأسـبقُهم إلى الإسـلام، وحِبُّ رسول الله ﷺ، وأبو حِبِّه، وما أَحبَّ ﷺ إلا طَيّباً »[1].

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٢٢٠ .

وأما الذي يتعلق بفضل زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه فأمور، منها:

١ – أن الله سبحانه وتعالى شرَّف زيداً بأن أنعم عليه نعماً منه سبحانه ومن رسوله ﷺ كانت محلاً لتنويه الكتاب بعظم شأنها، ونِعمٌ هذا شأنُها تقتضي تشريف من كان محلاً لها، وهو زيد رضي الله تعالى عنه. وقد كان زيد عبداً فأعتقه النبي ﷺ، وتربى في حجره، وتبناه النبي ﷺ، حتى أبطل الله التبنِّي، وكان في كل ذلك بمنزلة ولده.

يقول الإمام البقاعي في هذه الآية « وبيَّن شرفه -[أي زيداً]- بقوله: ﴿ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ ﴾ أي الملكُ الذي له كلُّ كمالٍ ﴿ عَلَيْهِ ﴾ أي بالإسلام وتوليِّ نبيه ﷺ إياه بعد الإيجاد والتربية، وبيَّن منزلته من النبي بقوله: ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ أي بالعتق والتّبنِّي »[1].

٢ – ومن مناقب زيد في هذه الآية أن الله سبحانه سماه في كتابه باسمه في موطن تكريم، وهو الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه صراحة في القرآن[2]، فلا يزال اسمه يتلى في كتابه سبحانه، ولا يزال منفرداً بذلك، وهذه مَنْقَبة عظيمة له .

(١) نظم الدرر ١٥/ ٣٥٧ .

(٢) يقول الإمام الذهبي: « ولم يسمِّ الله تعالى في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد بن حارثة، وعيسى ابن مريم عليه السلام، الذي ينزل حكماً مقسِطاً، ويلتحق بهذه الأمة المرحومة في صلاته وصيامه وحجه ونكاحه وأحكام الدين الحنيف جميعها، فكما أن أبا القاسم سيد الأنبياء وأفضلهم وخاتمهم، فكذلك عيسى بعد نزوله أفضل هذه الأمة مطلقاً ». (سير أعلام النبلاء ١/ ٢٢٠)

وأمّا ما يتعلق بنزول هذه الآية لإبطال التّبنِّي:

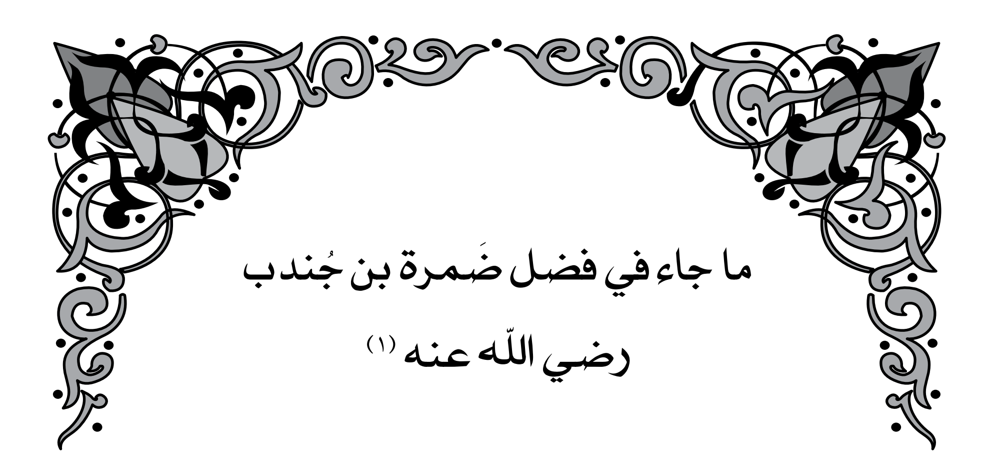
فقد نزلت لتبين حِكمةَ تزويجِ الله تعالى نبيه ﷺ ممن كانت زوجة لابن له ﷺ من التَّبنِّي، ونزلت كذلك لتكون تطبيقاً عملياً لإبطاله وإبطال آثاره المترتبة عليه مِن حُرمة نكاح زوجة المتبَنَّى، ولدفع الحرج عن المؤمنين في نكاح زوجات هؤلاء الأدعياء، حيث كان أولَ من أُجري عليه هذا الأمر هو رسول الله ﷺ، حينما زوجه الله تعالى بمن كانت زوجة ابن له بالتَّبنِّي، فزال بذلك الحرج عن المؤمنين .

يقول الحافظ ابن حجر في بيان قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: « والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التَّبنِّي بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً ووقع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم »[1].

فهذه بعض دلالات الآية على فضل زيد بن حارثة رضي الله عنه، وإيضاح لبعض ما يتعلق بإبطالها للتبنّي .

(١) فتح الباري ٨/ ٣٨٤ . وينظر كلام الإمام سراج الدين ابن الملقن، في ذلك في كتابه البدر المنير ٧/ ٤٧٣.





ما جاء في فضل ضَمرة بن جُندب رضي الله عنه (١)

يقـول الله تعـالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٠].

ما جاء في سبب نزول هذه الآية، وهو دال على فضل من نزلت فيه (٢):

روى أبـو يعلى والطبراني بإسـنادهما عن ابن عبـاس رضي الله عنهما، قـال: « خـرج ضمرة بـن جُندب مـن بيته مهاجـراً فقال لأهلـه: احملوني فأخرِجـوني من أرض المشركين إلى رسـول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصـل إلى النبـي ﷺ فنزل الوحـي: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾»(٣).

---

(١) مختلف في اسـمه ونسـبته، قال الحافظ في الفتح (٦/ ١٨): « واسـمه ضمرة على الصحيح». وقيل: جندع بن ضمرة، وقيل: جندب بن ضمرة. انظر: الإصابة (١/ ٦١٨) في جندع.

(٢) المشـهور أنهـا نزلت في ضمرة بن جندب، وهو ما صـح فيها، ويقال نزلت في أكثم بن صيفـي الحكيم المشـهور، قصـد المدينة في مائة مـن قومه يريدون الإسـلام، فمات في الطريق، ولم ير النبي ﷺ. تنظر ترجمة أكثم بن صيفي في الإصابة (١/ ٣٥١).

(٣) مسند أبي يعلى ٥/ ٨٢، برقم ٢٦٧٩، والمعجم الكبير ١١/ ٢٧٢، برقم ١١٧٠٩. وقال=

وذكر ابن كثير في تفسيره قال: « وقال ابن أبي حاتم: حدثنا سليمان بن داود مولى عبد الله بن جعفر، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبد الرحمن بن سليمان، عن الأشعث - هو ابن سَوَّار- عن عكرمة، عن ابن عباس قال: خرج ضَمْرَةُ بن جُنْدُب إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ »[(١)] .

دلالة الآية على فضل ضَمرة بن جُندب رضي الله عنه:

أول هذه الدلالات: هي نزولُ آيةٍ في حقّه رضي الله عنه تسجل حالةً من الأحوال الفاضلةِ المرضيّةِ عند الله تعالى.

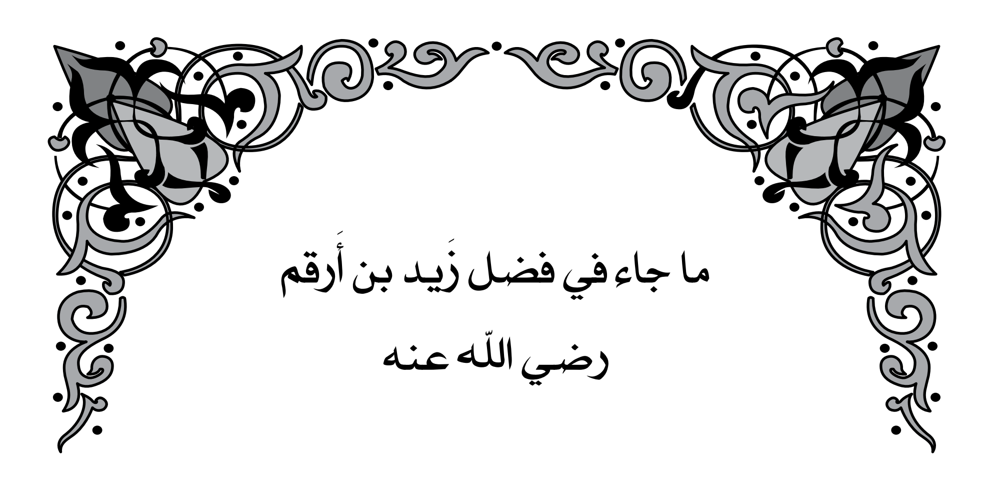
وثانيها: أن الآية شاهدة له رضي الله عنه بأنه مهاجر إلى الله ورسوله.

وثالثها: أنها مبشرة بقبول هجرته رضي الله عنه، وأنها وإن لم تتم له ظاهراً، فإن أجرها ثابت له عند الله سبحانه الذي لا يضيع أجر المحسنين.

والآية وإن نزلت بسبب ضمرة رضي الله عنه فهي عامة يدخل فيها كلُّ من كان على شاكلته. فكلُّ من خرج يلتمس الخير ابتغاء وجه الله ثم أدركه الموت فله حظ وافر من هذه الآية، والله تعالى أعلم .

= الهيثمي « رواه أبو يعلى ورجاله ثقات» . (مجمع الزوائد ٧/ ١٠). وعزاه السيوطي في لباب النقول (ص ٦٤) إلى ابن أبي حاتم وأبي يعلى وقال: « بسند جيد ».

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٩٢ .



ما جاء في فضل زَيد بن أَرقم رضي الله عنه

١ - يقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ١- ٤].

٢- ويقول الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[المنافقون: ٧- ٨].

ما ورد في سبب نزول هذه الآيات، وهو يبّين فضلَ مَنْ نزلت بسببه رضي الله عنه:

١- روى البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: « خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناسَ فيه شدّةٌ، فقال عبد الله ابن أُبيٍّ لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى عبد الله بن أُبَيٍّ فسأله فاجتهد يمينَه ما فعل. قالوا: كَذَب زيدٌ رسولَ الله ﷺ، فوقع في نفسي مما قالوا شَدَّةٌ حتى أنزل الله عز وجل تصديقي في: ﴿ **إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ** ﴾ .فدعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم . وقوله ﴿ **خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ** ﴾ . قال: كانوا رجالاً أجمل شيء »[1].

٢- وأخرج البخاري وغيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: « لما قال عبد الله بن أُبيٍّ ﴿ **لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ** ﴾، وقال أيضاً: ﴿ **لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ** ﴾ أخبرتُ به النبيَّ ﷺ فلامني الأنصار، وحلَف عبد الله بن أُبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فنمت فدعاني رسول الله ﷺ فأتيته فقال: « **إنّ الله قد صدّقك** » . ونزل: ﴿ **هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟** ﴾ الآية »[2] .

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٨٦٠، برقم ٤٦٢٠، وغيره، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٤٠، برقم ٢٧٧٢، وهذا لفظ البخاري.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٨٦٠، برقم ٤٦١٩،

٣- وفي روايـة الإمام أحمد عنه قـال: « فحلَف عبد الله بن أُبَيٍّ أنه لم يكن شيءٌ من ذلك. قال: فلامني قومي، وقالوا: ما أردتَّ إلى هذا ؟ قال: فانطلقـتُ فنِمْـتُ كئيباً أو حزيناً، قال: فأرسـل إليَّ نبيُّ الله ﷺ أو أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقال: « **إنَّ الله عز وجل قد أنزل عُذركَ وصدَّقكَ** »، قال فنزلت هذه الآية: ﴿ **هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ** ﴾ حتـى بلغ: ﴿ **لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ** ﴾ »[١].

دلالة الآيات على فضل زيد بن أرقم رضي الله عنه:

الدلالـة هنا هـي في عناية الله تعـالى بهذا الصحـابي الكريم واضحة، حيث أنزل آيات من كتابه تُصدِّق قوله، وتبرِّئُه من الكذب الذي اتهم به، وتجبر خاطره، وتُفرِّج عنه غمه، وتلـك منقبة عظيمة من مناقبه رضي الله عنـه، فضلاً عـن أن فضحية هـؤلاء المنافقين، وإذهاب مـا كان يمكن أن يحدث من خلاف أو شجار بين المسلمين جاء بسببه.

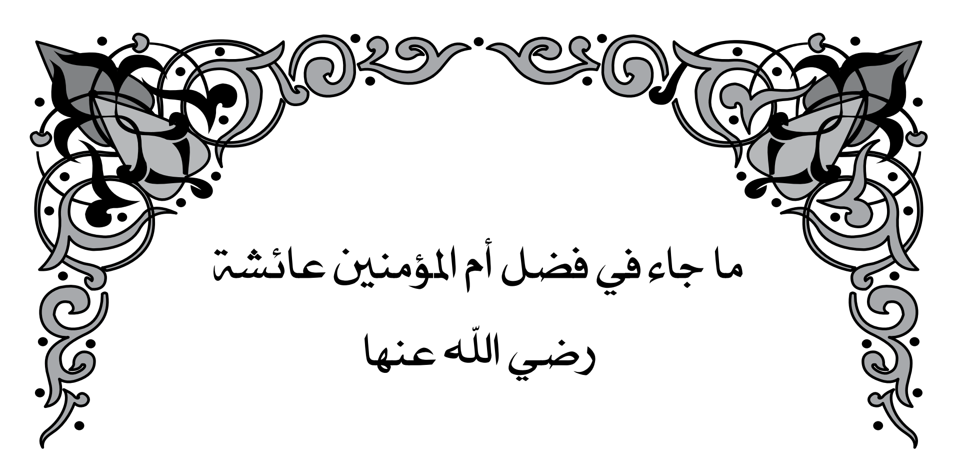
وزيـد بـن أرقم هو: « زيـد بن أرقم بـن زيد بن قيس بـن النعمان بن مالـك بن الأغر بـن ثعلبة بن كعب بـن الخزرج الأنصاري ... استُصْغِرَ يوم أحد، وأول مشاهده الخندق، وقيل المريسيع، وغزا مع النبي ﷺ سبعَ عشرةَ غزوة، ثبت ذلك في الصحيح، وله حديث كثير »[٢].

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٣٦٨ .

(٢) الإصابة ٢/ ٤٨٧- ٤٨٨ .





ما جاء في فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

السيدة عائشة رضي الله عنها هي نموذج فريد من النساء، كثرت فضائلها وتعددت مناقبها، وخصت بمناقب كثيرة عن سائر أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن أجمعين، فهي الصِّدِّيقة، التي نشأت في بيت طهر وإيمان من أولِّ يوم، وأعلمَ اللهُ نبيَّه ﷺ بتزوجه منها، ولم ينزل الوحي عليه وهو في لحاف زوجة من زوجاته غيرها،وكانت بعد السيدة خديجة أقرب النساء إلى قلبه، وتوفي النبي ﷺ في بيتها وهو مستند إليها بين سَحْرها ونَحْرها.

وهي المباركة التي عُرفت بركتُها على المسلمين، والطيبةُ كما أشار الكتاب المبين، المبلَّغة بالسلام من جبريل عليه السلام، أعلم الزوجات، وأكثرهن حفظاً لحديث رسول الله ﷺ، فقيهة الأمة، ومعلّمة رجالها ونسائها، ومرجعهم في الكثير مما اختلفوا فيه وما أشكل عليهم في أمر دينهم، المربِّيَةُ، العابدةُ، التقية، الورعة، السخية، التي تواترت الأحاديث في فضلها، واستفاضت أقوال الأمة في مدحها وتعديد مناقبها، وهي قَبْلَ ذلك وبعده الممدوحةُ المزكّاة من قِبَلِ ربِّ العالمين، التي نزل الوحي مدافعاً عنها ومعلناً ببراءتها من الإفك الذي نُسب إليها.

وسوف نذكر الآيات التي نزلت في مدحها رضي الله عنها وبراءتها مما نسب إليها من الإفك، ثم نذكر بعض ما في هذه الآيات من القواطع والفوائد واللطائف الدالة على فضلها رضي الله عنها، ثم نذكر حُكْم من سَبَّ السيدة عائشة رضي الله عنها، ثم نذكر كلمة جامعة للإمام الزمخشري في كون هذه الآيات بمثابة غارات شديدة في الدفاع عن عرض رسول الله ﷺ، وأنها غارات لم يقع مثلها في القرآن دفاعاً أو توعداً، ثم نختم الكلام عنها بمَلمحٍ دقيق ذكره الإمام الآلوسي رحمه الله .

ثُمَّ نذكر ثانياً: إشارة قرآنية ظاهرة على أنها أهلُ للنبيِّ ﷺ، **ونختم** فضائلها بذكر آية أخرى نزلت بالتخفيف على المسلمين ببركتها رضي الله عنها.

فهذه ثلاثة مباحث تتعلق بفضائل السيدة عائشة خاصة في القرآن الكريم .

أولاً: نزول القرآن بمدحها وبراءتها مما نُسِب إليها من الإفك :

نزل في شأنها رضي الله عنها في هذا الأمر بضع عشرة آية، يقول الزمخشري رحمه الله : « كل واحدة منها مستقلةٌ بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ، وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلّم في ذلك أو سمع به فلم تمجُّه أذناه »[١].

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١٧ – ٢١٨، وينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٧/ ٧٥ .

أ) يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ١١-٢٠].

هذه عشر آيات كريمات نزلت متواليات في الدفاع عن السيدة عائشة كما جاء في الصحيح(١). ونزولها في حقها ثابت بإجماع المسلمين(٢).

يقول ابن كثير رحمه الله: « هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن

---

(١) تقول السيدة عائشة في صحيح البخاري (٤/ ١٥١٧، رقم ٣٩١٠) في حديث الإفك الطويل: « وأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ... ﴾ العشر الآيات كلها ».

(٢) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ١٢/ ١٧٣ .

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله عز وجل براءتها صيانة لعرض الرسول عليه أفضل الصّلاة والسّلام »[١].

خلاصة قصة الإفك:

يقول القرطبي رحمه الله ملخصاً لها: « لما خرج رسول الله ﷺ بعائشة معه في غَزْوة بني المُصْطَلِق وهي غزوة المُرَيْسِيع، وقَفَل ودنا من المدينة آذن ليلةً بالرحيل قامت حين آذنوا بالرحيل فمشت حتى جاوزت الجيش، فلما فرغت من شأنها أقبلت إلى الرّحْل فلمست صدرها فإذا عِقدٌ من جَزْعِ ظَفَارٍ قد انقطع، فرجعت فالتمسته فحبسها ابتغاؤه، فوجدته وانصرفت فلم تجد أحداً، وكانت شابَّة قليلة اللحم، فرفع الرجال هَوْدَجها ولم يشعروا بزوالها منه؛ فلما لم تجد أحداً اضطجعت في مكانها رجاء أن تُفتقد فيُرجع إليها، فنامت في الموضع ولم يوقظها إلا قول صَفْوان بن المُعَطَّل: إنا للهِ وإنا إليه راجعون؛ وذلك أنه كان تخلف وراء الجيش لحِفْظ الساقة. وقيل: إنها استيقظت لاسترجاعه، ونزل عن ناقته وتنحَّى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ بها الجيش في نَحْر الظَّهِيرة؛ فوقع أهل الإفك في مقالتهم، وكان الذي يُجتمع إليه فيه ويَسْتَوْشِيهِ ويُشْعلُه

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ١٩ .

عبدُ الله بن أُبَيّ بن سَلُول المنافق، وهو الذي رأى صفوان آخذاً بزمام ناقة عائشة فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها، وقال: امرأة نبيِّكم باتت مع رجل. وكان مِنْ قالتِهِ حسانُ بن ثابت ومِسْطحُ بن أُثَاثة وحَمْنَة بنت جَحْش. هذا اختصار الحديث، وهو بكماله وإتقانه في البخاري ومسلم، وهو في مسلم أكمل »(١).

ب) وأنزل الله تعالى آيات أخرى تتعلق بهذه الحادثة، وتكمل الكلام عليها، وهي التي تلي السابقة مباشرة، وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [النور: ٢١- ٢٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٩٨- ١٩٩ .

بعض ما في الآيات السابقة من القواطع والفوائد واللطائف الدالة على فضل السيدة عائشة رضي الله عنها:

أ) أول هـذه القواطع أن الله تعالى أنزل في شـأن تبرئتها ومدحها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، فهو الذي برأها بنفسـه سـبحانه، وهذه كرامة كبرى، وشرف عظيم.

١ - يقـول ابن عبـاس رضي الله تعالى عنهما حينما دخل عليها يزورها وهـي في مـرض موتهـا: « أبـشري يـا أم المؤمنـين ...كنت أحـبَّ أزواج رسـول الله ﷺ إليـه، ولم يكن يحب إلا طيِّباً، وأنـزل الله عز وجل براءتك من فوق سـبع سـماوات، فليس في الأرض مسـجد إلا وهو يتـلى فيه آناء الليل وآناء النهار»[١] .

٢ - وفي تبرئة الله تعالى لها بنفسه يقول الإمام الزمخشري غفر الله له في **كلمات باقيات خالدات حقها أن تكتب بخالص الذهب، بل بما هو أكرم:** « ولقد برَّأ الله تعالى أربعةً بأربعةٍ: برّأ يوسـف بلسـان الشاهد ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ** ﴾ [يوسف: ٢٦]. وبرّأ موسى من قول اليهود فيه بالحَجَر الذي ذهب بثوبه. وبرّأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى مِن حِجرها: ﴿ **إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ** ﴾ [مريم: ٣٠]. وبرَّأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجِز المتلوّ على وجه الدهر مثلَ هذه التبرئة بهذه المبالغات. فانظر كم بينها وبين تبرئة

(١) مسـند أحمـد ١/ ٣٤٩، والحديث مروي بنحوه في صحيـح البخاري ٣/ ١٣٥٧، رقم ٣٥٦٠، و٤/ ١٧٧٩، رقم ٤٤٧٦ .

أولئك؟! وما ذاك إلّا لإظهار علوّ منزلة رسول الله ﷺ، والتنبيه على إنافَة محلّ سيد ولد آدم، وخيرة الأوّلين والآخرين، وحجة الله على العالمين. ومَنْ أراد أن يتحقق عظمة شأنه ﷺ وتقَدُّمَ قَدَمِه وإحرازَه لقصب السبق دون كل سابق، فليتلقَّ ذلك من آيات الإفك، وليتأمّل كيف غضب الله في حرمته، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه»[1] .

ب) أن هذه الفِرْية وإن كان فيها أذى كبير لرسول الله ﷺ وزوجته والمؤمن الذي اتهم فيها زوراً، فقد جعل الله فيها ثواباً عظيماً لهم، وشهادات عظيمة تظهر كرامتهم عنده، وأنزل ما نزل فيها فكان شرعاً عاماً إلى يوم القيامة:

يقول أبو السعود رحمه الله: « وقولُه تعالى: ﴿ **لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم** ﴾ استئنافٌ خُوطب به رسولُ الله ﷺ وأبوُ بكرٍ وعائشةُ وصفوانُ رضي الله عنهم تسليةً لهم من أولِ الأمرِ، والضَّميرُ للإفكِ ﴿ **بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ لاكتسابِكم به الثَّوابَ العظيمَ، وظهورِ كرامتِكم على الله عزَّ وجلَّ بإنزالِ ثماني عشرة آيةً في نزاهةِ ساحتِكم، وتعظيمِ شأنِكم، وتشديدِ الوعيدِ فيمَن تكلَّم فيكُم، والثَّناءِ على مَنْ ظنَّ بكُم خَيراً »[2].

ج) وَصَفَ القرآن الكريم الصديقة رضي الله عنها في هذه الآيات بثلاث صفات: بالإحصان، وبالغفلة، وبالإيمان، وذلك في قوله تعالى:

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٣- ٢٢٤ .

(٢) تفسير أبي السعود ٦/ ١٦٠، وينظر فتح القدير ٤/ ١٢ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾. وهذه شهادة عظيمة.

والمحصنات هن العفائف، والغافلات: « هن اللائي لا علم لهن بما رُمِين به، وهو كناية عن عدم وقوعهن فيما رُمين به »[(١)] .

١- يقول أبو السعود رحمه الله في تفسير هذه الآية: « ﴿ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ﴾ عنها -[أي الفاحشة]-على الإطلاقِ بحيثُ لم يخطرْ ببالهنَّ شيءٌ منها ولا من مُقدِّماتِها أصلاً، ففيها من الدِّلالةِ على كمالِ النَّزاهةِ ما ليس في المحصناتِ، أي: السليماتِ الصدورِ النقيَّاتِ القلوبِ عن كلِّ سوءٍ. ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾، أي: المتصفاتِ بالإيمانِ بكلِّ ما يجبُ أنْ يُؤمن به - من الواجباتِ والمحظوراتِ وغيرِها - إيماناً حقيقياً تفصيلياً كما يُنبئ عنه تأخيرُ (المؤمناتِ) عمَّا قبلَها مع أصالةِ وصفِ الإيمانِ، فإنَّه للإيذان بأنَّ المرادَ بها المعنى الوصفيُّ المُعربُ عمَّا ذُكر، لا المعنى الاسميُّ المصحِحُ لإطلاق الاسمِ في الجملةِ كما هو المتبادرُ على تقديرِ التَّقديمِ »[(٢)].

٢- وسواء كان المراد بهذه الآية السيدة عائشة خاصة -كما هو قول سعيد بن جبير-، أو هي وأمهات المؤمنين دون غيرهن -كما روي عن ابن

---

(١) التحرير والتنوير ١٨/ ١٩١ .

(٢) تفسير أبي السعود ٦/ ١٦٥ . وينظر التحرير والتنوير ١٨/ ١٩٠، ١٩٣ . وقد اختار أبو السعود أن المراد بهذه الآية عائشة الصديقة -وهو كذلك ما يفهم من كلام الطاهر ابن عاشور- وذكر أبو السعود أنه إن كان المراد أمهات المؤمنين عامة فإن الصديقة تدخل دخولاً أولياً .

عباس والضحاك وغيرهما- أو هي ومن كان على هذه الصفة من سائر المؤمنات[١]، فإن الآية نزلت في شأنها، فهي الأصل فيها، وأول من يراد بها، وشرف الوصف بهذه الصفات مراعى فيه حالها رضي الله عنها.

يقول الإمام الطبري بعد أن أورد الأقوال السابقة: « وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عامّ في كلّ من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها »[٢].

د) ذكر العلماء تحت هذه الآية وآية ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ حكمَ مَنْ سبَّ السيدة عائشة رضي الله عنها، وغيرها من أمهات المؤمنين:

١ - يقول ابن كثير رحمه الله: « وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن مَنْ سَبَّها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذُكر في هذه الآية فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن. وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كهي، والله أعلم »[٣].

---

(١) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ١٧/ ٢٢٦-٢٣٠، وتفسير الرازي ١٢/ ١٩٤، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٠٩، وابن كثير ٦/ ٣٢، وأبي السعود ٦/ ١٦٥- ١٦٦، وفتح القدير ٤/ ١٧ .

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٢٣٠ .

(٣) تفسير ابن كثر ٦/ ٣٢ . وقد استنبط بعض العلماء من هذه الآية أن من قذف إحدى زوجات النبي ﷺ فلا توبة له .

٢- ويقول الطاهر بن عاشور رحمه الله في ذلك: « فلو تكلّم أحدٌ في الإفك بعد هذه الآية معتقداً وقوعَه فمقتضى الشرط أنه يكون كافراً، وبذلك قال مالك . قال ابن العربي: قال هشام بن عمار: « سمعت مالكاً يقول: مَن سَبَّ أبا بكر وعمر أُدِّب، ومَن سَبَّ عائشة قُتل لأن الله يقول: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، فمن سَبَّ عائشة فقد خالف القرآن، ومَن خالف القرآن قُتل» . يريد بالمخالفة إنكار ما جاء به القرآن نصاً، وهو يرى أن المراد بالعود لمثله في قضية الإفك، لأن الله برَّأها بنصوص لا تقبل التأويل، وتواتر أنها نزلت في شأن عائشة. وذكر ابن العربي عن الشافعية أن ذلك ليس بكفر[1] . وأما السبُّ بغير ذلك فهو مساوٍ لسبِّ غيرها من أصحاب النبي ﷺ »[2] .

---

(١) قلتُ: هذا النقل عن الشافعية فيه غرابة إلا أن يكون قولًا شاذاً لبعضهم، أو المراد مطلق سبِّها لا نسبة الإفك الذي برأها الله تعالى منه- كما هو مذهبهم في عدم تكفير من سب مطلق الصحابة - فقد نقل ابن كثير - وهو شافعي - إجماع العلماء على أن مَنْ سَبّ عائشة ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنّه كافر .

وذكر النووي في روضة الطالبين (١٠/ ٦٤) في كتاب الردة في الأفعال والأقوال الموجبة للكفر نقلاً عن المتولي قال: « ... أو نسب عائشة رضي الله عنها إلى الفاحشة أو ادعى النبوة بعد نبينا ﷺ ... فكل هذا كفر » . ونقل الخطيب الشربيني عن السبكي قال: « من قذف عائشة رضي الله تعالى عنها فإنه كافر أي لأنه كذب على الله تعالى ». (مغني المحتاج ٤/ ٣٤٦). وقال الرملي في نهاية المحتاج (٨/ ٣٠٥): « وأمّا من نكفره ببدعته كمن نسب عائشة للزنى أو نفى صحبة أبيها أو أنكر حدوث العالم أو حشر الأجساد أو علمه تعالى بالمعدوم وبالجزئيات فلا تقبل شهادته لكفره» . فهذه نصوص الشافعية في تكفير من قذف عائشة رضي الله عنها بالزنا.

(٢) التحرير والتنوير ١٨/ ١٨٢- ١٨٣ . وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٣٦٦ .

هـ) ومن الفضائل الثابتة لها في هذه الآيات أن الله وصفها هي وزوجات النبي ﷺ بـ (الطيبات)، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

وسواء كان معنى الآية - كما قال أكثر المفسرين - أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس، والطيب لا يليق إلا بالطيب من الناس. أو كان معناها: أن الخبيث من الأفعال لا يليق إلا بالخبيث من الناس... إلخ، أو كما قال البعض: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء[1]. فإن مآل هذه الآية، وأظهرَ ما تدل عليه هذه الأقوال أن عائشة رضي الله عنها لا يليق بها هذا الوصف الذي ادَّعيتموه أيها المنافقون؛ لأنها طيبة. وأن الله تعالى برّأ «رسوله ﷺ من أن تكون أزواجه خبيثات؛ لأن عصمته وكرامته على الله يأبى الله معها أن تكون أزواجه غير طيبات، فمكانة الرسول ﷺ كافية في الدلالة على براءة زوجه وطهارة أزواجه كلهن»[2].

(١) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ١٧/ ٢٣٢- ٢٣٨، وتفسير الماوردي المسمى النكت والعيون ٤/ ٨٤- ٨٥.

(٢) التحرير والتنوير ١٨/ ١٩٤. وقد اختار ابن عاشور أنها تبرئة النبي ﷺ أن تكون له زوجات خبيثات. وتعريض بالمنافقين الذين اختلقوا هذا الإفك أنهم وزوجاتهم أولى بهذا الإفك.

فائدة: قال ابن كثير رحمه الله: «قال ابن عبّاس وغير واحد من السلف: ما زنت =

١- يقـول البغوي رحمـه الله في هذه الآية: « والمعنـى: أن الخبيث من القـول لا يليـق إلا بالخبيث مـن الناس، والطيب لا يليـق إلا بالطيب من النـاس، فعائشـة لا يليق بها الخبيثات من القـول لأنها طيبة رضي الله عنها فيضاف إليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها »[1].

٢- وقـال ابـن كثير بعـد أن ذكر هذا القـول: « فما نسـبه أهل النفاق إلى عائشـة هـم أولى بـه، وهـي أولى بالـبراءة والنزاهة منهم؛ ولهـذا قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ »[2].

٣- وقـال ابـن كثير بيانـاً لدلالة الآية عـلى القول الثالـث: « أي: ما كان الله ليجعل عائشـة زوجة لرسـول الله ﷺ إلا وهي طيبة؛ لأنه أطيب مـن كل طيّب مـن البشر، ولو كانـت خبيثة لما صلحت لـه، لا شرعاً ولا قدراً؛ ولهذا قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ أي: هم بُعَداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان »[3].

= امـرأة نبـيٍّ قَطُّ، قـال: وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أي الذين وعدتُك نجاتهم. وقـول ابـن عبـاس في هذا هـو الحق الـذي لا محيد عنه فإن الله سـبحانه أغـير من أن يمكـن امرأة نبي من الفاحشـة، ولهـذا غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشـة بنـت الصديق زوج النبي ﷺ وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشـاعوه ...». (تفسير ابن كثير ٤/ ٣٢٦).

(١) تفسير البغوي ٦/ ٢٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٤- ٣٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٥ .

٤- ويرى الآلوسي أن هذه الآية يدخل فيها أيضاً آل بيته رضي الله عنهم رجالاً ونساء، فبعد أن بيّن دلالة الآية على فضل عائشة - قال: «تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات». وبيَّنَ اتساع دلالتها - قال: «على أن الإشارة إلى أهل البيت النبوي رجالاً ونساءً، ويدخل في ذلك الصديقة رضي الله تعالى عنها دخولاً أوّلياً...»[(١)]. ثم بين بقية الأقوال. قلت: وهذا كلام متجه، يتسع له عموم لفظ الآية الكريمة، والله أعلم.

و) يدخل في هذا الوصف السابق صفوان بن المعطل رضي الله عنه، والذي اتهمه المنافقون زوراً في هذه الحادثة، لأن الله تعالى قال: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ**﴾، وصفوان من أولئك المبرئين، وقد قال فيه النبي ﷺ في حديث الإفك: «**ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً**»[(٢)]. وفي رواية قال: «**والله ما علمت عليه من سوء قط**»[(٣)].

ز- وعد الله تعالى الصِّديقة رضي الله عنها في هذه الآيات بالمغفرة والجنة:

وذلك في قوله تعالى ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾.

(١) روح المعاني ١٨/ ١٣١.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٥١٧، رقم ٣٩١٠. ومسلم ٤/ ٢١٣٤، رقم ٢٧٧٠.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٧٨٠، رقم ٤٤٧٩، ومسلم ٤/ ٢١٣٨، رقم ٢٧٧٠.

قال ابن كثير: « ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي: بسبب ما قيل فيهم من الكذب، ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: عند الله في جنات النعيم. وفيه وعدٌ بأن تكون زوجة النبيّ ﷺ في الجنة»[1].

وقال الآلوسي رحمه الله: « ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ هو الجنة -كما قاله أكثر المفسرين[2]- ويشهد له قوله تعالى في سورة الأحزاب في أمهات المؤمنين: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣١] فإن المراد به ثمت الجنة بقرينة (أَعْتَدْنَا) والقرآن يفسر بعضه بعضاً »[3].

ح) ومن دلالات الفضل وعلو المنزلة: أن الله سبحانه نَزَّه نفسه في معرض الدفاع عنها، وعن عرض رسول الله ﷺ تعجباً من ذلك الإفك، وتنزيهاً عنه:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾. وتنزيه الله تعالى يكون عند نسبة نقص إليه سبحانه كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ [البقرة: ١١٦] أو لدفع توهُّم نسبة ذلك إليه تعظيماً له سبحانه، ويكون التسبيح أيضاً « عند رؤية كل أمر عجيب من صنائعه، فكُثر حتى استعمل في كل متعجب منه »[4].

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٥ .
(٢) ينظر تفسر الطبري ١٧/ ٢٣٩، والبغوي ٦/ ٢٩، وفتح القدير ٤/ ١٨ .
(٣) روح المعاني ١٨/ ١٣١- ١٣٢ .
(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٧/ ٧٨ .

والمقصود من التسبيح هنا: « المبالغة في إنكار الشيء والتعجب من وقوعه »[(١)]، أو « تنزيه الله من أن تكون زوجة نبينا الذي هو أحب خلقه إليه فاجرة » [(٢)]. حاشاها.

قال ابن كثير رحمه الله: « ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة نبيه ورسوله وحليلة خليله »[(٣)].

ط) وقد جاء الدفاع عنها أشدَّ ما يكون الدفاع:

١- فقد سمى الله تعالى هذا الأمر الذي نُسب إلى السيدة عائشة إفكاً، والإفك أشدُّ الكذب، يقول الزمخشري وغيره: « والإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو البهتان، وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفجأك »[(٤)] .

٢- وفي تسمية الله تعالى له (إفكاً) بيانٌ بأنّ ادعاءهم جاء على عكس وجهه، فبدل أن تتهم كان ينبغي أن تمدح، إذ الإفك، كما يقول الشوكاني وغيره: « مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه، فالإفك هو الحديث المقلوب... وإنما وصفه الله بأنه إفك ؛ لأنّ المعروف من حالها رضي الله عنها خلاف ذلك. قال الواحدي: ومعنى القلب في هذا الحديث الذي

---

(١) التحرير والتنوير ١٨/ ١٨١ .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٨/ ٧٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٩ .

(٤) الكشاف ٣/ ٢١٧، ومفاتيح الغيب ١٢/ ١٧٣، وينظر فتح القدير ٤/ ١٢ .

جاء به أولئك النفر أن عائشة رضي الله عنها كانت تستحق الثناءَ بما كانت عليه من الحصانةِ وشرفِ النسب والسببِ، لا القـذف، فالذين رموها بالسوء قلبوا الأمر عن وجهه، فهو إفكٌ قبيحٌ، وكذب ظاهر»(١) .

٣- وسمّاه الله تعالى (بهتاناً عظيماً) في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾. « والبهتان الخبر الكاذب الذي يبهت السامع ؛ لأنه لا شبهة فيه »(٢).

يقول الطاهر بن عاشـور: « أي: بالِغٌ في كنه البهتان مبلغاً قوياً. وإنما كان عظيماً لأنه مشتمل على منكرات كثيرة وهي: الكذب، وكون الكذب يطعن في سلامة العرض، وكونه يسبب إحناً عظيمة بين المفترين والمفترى عليهم بدون عذر، وكون المفترى عليهم من خِيرة النـاس وانتمائهم إلى أخير الناس من أزواج وآباء وقرابات، وأعظمُ من ذلك أنه اجتراء على مقام النبيِّ ﷺ ومقام أم المؤمنين رضي الله عنها »(٣) .

٤- وتوعَّـدَ الله تعالى من تكلـم بهذا الإفك من المؤمنين، بالإثم بقدر ما خاض فيه وأشاعه، وكانوا ثلاثةً ؛ رجلين وامرأة.

٥- وتوعّـد الله تعـالى مَنْ تـولّى كِبَر هذا الأمـر، أي معظمه بالعذاب

---

(١) فتـح القديـر ٤/ ١٢، ونحوه في تفسـير البغوي ٦/ ٢٢، ومفاتيـح الغيب ١٢/ ١٧٣، والخازن ٥/ ٦١ .

(٢) التحرير والتنوير ١٨/ ١٨١ .

(٣) التحرير والتنوير ١٨/ ١٨١ .

الأليم، حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾. والصحيح أنه عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين(١).

٦- وأكد الله توبيخه لعصبة الإفك من المؤمنين -وهم الثلاثة الذين لم يظنوا خيراً- وأكد تقريعهم مبالغة في معاتبتهم وتأديبهم في قوله تعالى: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ وذلك أنه كان ينبغي حين سمعوه أن يقيسوا ذلك على أنفسهم، فإذا كان ينبغي للمؤمنين حين سمعوا مقالة أهل الإفك أن يقيسوا ذلك على أنفسهم، فإن كان يبعد فيهم، فهو في أم المؤمنين أبعد(٢).

وقد روى الطبري بسنده عن محمد بن إسحاق بن يسار، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد [الأنصاري]، قالت له امرأته أمّ أيوب: أما تسمعْ ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذبُ، أكنتِ فاعلة ذلك يا أمّ أيوب؟ قالت: لا والله، ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك. قال: فلما نزل القرآن، ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ ﴾ وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا. ثم قال - [أي ابن إسحاق]: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾... الآية: أي كما قال أبو أيوب وصاحبته(٣).

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٠٠، وفتح القدير ٤/ ١٢ .

(٢) ينظر فتح القدير ٤/ ١٢، والتحرير والتنوير ١٨/ ١٧٢، ١٧٣ .

(٣) تفسير الطبري١٧/ ٢١٢، ورواه ابن راهويه في مسنده بنحوه ٣/ ٩٧٩، رقم ١٦٩٨، عن غير ابن إسحاق، وليس فيه قوله .

٧- ووبَّخ الله تعالى من جاء بالإفك بتوبيخات أخرى، وهي أنه اختلقه من عند نفسه، لأنه لم يأت بدليل على ذلك، فلم يستند إلى مشاهدته لما أخبر عنه، ولا إلى شهادة من شاهدوه ممن تقبل شهادة مثلهم، ثم وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ هكذا بصيغة الحصر للمبالغة في التشنيع عليهم، فكأن كذبهم لقوته وشناعته لا يعد غيرهم من الكاذبين كاذباً، فكأنهم انحصرت فيهم ماهية الموصوفين بالكذب[1].

٨- ووبَّخ الله هؤلاء الذين تلقوا هذا الإفك وبادروا بالإخبار به بلا تروٍّ ولا تريث[2]، في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ وزاد في توبيخهم بقوله: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾. وهكذا توبيخ بعد توبيخ وتقريع بعد تقريع.

٩- وعاتب الله تعالى المؤمنين الذين سمعوا ذلك فلم يكذبوه، في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾. يقول الشوكاني رحمه الله: « أي: هلا إذ سمعتم حديث الإفك قلتم - تكذيباً للخائضين فيه المفترين له -: ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا الحديث ولا يصدر ذلك منّا بوجهٍ من الوجوه »[3]، وتقولوا: ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير ١٨/ ١٧٥- ١٧٦، بتصرف.
(٢) السابق ١٨/ ١٧٨.
(٣) فتح القدير ٤/ ١٤.

١٠- ووعظ الله المؤمنين الذين خاضوا في هذا الإفك أن يعودوا لمثله أبداً، وحرَّمه عليهم، في قوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، فإن الإيمان يقتضي عدم الوقوع في مثله، ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ لتعملوا بها - بأوامرها ونواهيها - وتتأدبوا بآداب الله وتنزجروا عن الوقوع في محارمه[١] .

١١- وبعد هذا الوعظ هدَّد الله سبحانه القاذفين، ومن أراد أن يتسامع الناس بعيوب المؤمنين وذنوبهم، بالعذاب الأليم، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ أي بإقامة الحدود، ﴿ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي بعذاب النار. ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

١٢- وأعاد الله امتنانه عليهم، بأنه ترك معاجلتهم بالعذاب مع استحقاقهم له للتنبيه على عِظَمِ الجَريرة[٣]، وذلك لأنه رؤوف رحيم فقال: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾. وأعاد الامتنان مرة أخرى، ولكنه امتنان بما بيَّنَ لهم، وبالتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب، وشرْعِ الحدود المكفرة لها، فقال: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤].

---

(١) السابق بتصرف يسير .

(٢) السابق بتصرف .

(٣) تفسير أبي السعود ٦/ ١٦٤ .

(٤) ينظر السابق .

وبعـــد: فكلٌّ هذا جاء في سياق تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها، والدفاع عن عرض رسول الله ﷺ: تكذيبٌ لمن جاؤوا بالإفك، وفضحٌ لهم بأنهم ما جاؤوا إلا بالإفك، وتشنيعٌ، وتوبيخٌ بعد توبخ، وتقريعٌ بعد تقريع، وتوعُّدٌ بالعذاب، ووعظٌ، وعتابٌ، وتهديدٌ، وامتنانٌ بعدم المؤاخذة مع الاستحقاق، وطلبُ توبةٍ، ونهيٌ عن اتباع خطوات الشيطان، وتوعدٌ للرامين بالفاحشة كذباً باللعن في الدنيا والآخرة، والعذاب العظيم، وهذه ألوانٌ عظيمة من الدفاع والتأديب لا تجدها على هذا النحو في آيات أخرى.

كلمة جامعة للإمام الزمخشري:

يقول الإمام الزمخشري في نصٍّ جامع لكل هذه الألوان: « ولو فلَّيْتَ القرآنَ كله وفتَّشت عما أوعد به مِن العُصاةِ لم تر اللهَ تعالى قد غلَّظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظامِ ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة. كلُّ واحد منها كافٍ في بابه، ولو لم ينزل إلاّ هذه الثلاث لكفى بها[1]، حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً، وتوعَّدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله، حتى يعلموا عند ذلك ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾، فأوجز في ذلك

---

(١) أي الآيات رقم ٢٣- ٢٥ من سورة النور .

وأشبع، وفصّل وأجمل، وأكّدَ وكرّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عَبَدَةِ الأوثان إلاّ ما هو دونه في الفظاعة، وما ذاك إلا لأمر، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان بالبصرة يوم عرفة، وكان يُسأل عن تفسير القرآن، حتى سئل عن هذه الآيات فقال: « مَنْ أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته، إلاّ من خاض في أمر عائشة »، وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك »[١].

وأخيراً: فهذه الآيات كما أن فيها من الغيرة على عرض رسول الله ﷺ ومن علو مقامه ما فيها، وعلو مقام عائشة عند الله تعالى، ففيها كذلك جبرٌ لخاطر الصديق رضي الله عنه:

يقول الآلوسي رحمه الله: « إن الذي أراه أن إنزال هذه الآيات في أمرها لمزيد الاعتناء بشأن الرسول عليه الصلاة والسلام، ولجبر قلب صاحبه الصديق رضي الله تعالى عنه وكذا قلب زوجته أم رومان، فقد اعتراهما من ذلك الإفك ما الله تعالى أعلم به. ولمزيد انقطاع عائشة رضي الله تعالى عنها إليه عز وجل مع فضلها وطهارتها في نفسها» [٢].

فهذا بعض ما ذكره العلماء في هذه الآيات من دلالات تبين علو مقامه ﷺ وشرف عرضه، وشرف الصديقة رضي الله عنها، وعلو مقام أهل

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٣ .

(٢) روح المعاني ١٨/ ١٣٢ .

بيته ﷺ، رزقنا الله تعالى محبتهم، والأدب معهم، وشفاعتهم، وحشرنا في ركابهم ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨- ٨٩].

۞۞۞

ثانياً: الإشارة إلى أنها أهل للنبي ﷺ:

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١].

هذه الآية واردة في خروج النبي ﷺ إلى غزوة أحد، وهي أول الآيات الواردة في شأن هذه الغزوة، وقد ذكر جمهور العلماء -كما قال أبو حيان وغيره - أن المراد بـ (أهلك) في هذه الآية بيت السيدة عائشة رضي الله عنها، وأنه من العام المراد به الخاص[(١)]. وهذا مروي عن مجاهد والكلبي والواقدي[(٢)]، وذكره جمع من المفسرين كالقرطبي وغيره[(٣)]. يقول ابن الجوزي رحمه الله: « وذلك أنه خرج يوم أحد من بيت عائشة إلى أُحدٍ، فجعل يَصُفُّ أصحابَه للقتال »[(٤)].

(١) البحر المحيط ٣/ ٥٥، والوسيط للواحدي، وقال: « قال المفسرون: ...»
(٢) ينظر تفسير البغوي ٢/ ٩٦ .
(٣) ينظر تفسير القرطبي ٤/ ١٨٤، وتفسير البيضاوي والنسفي وغيرهما .
(٤) زاد المسير ١/ ٤٤٩ .

دلالة الآية على فضل السيدة عائشة رضي الله عنها:

في هذه الآية منقبتان عظيمتان للسيدة عائشة رضي الله عنها، ففيها:

١- إشارة قوية إلى أن السيدة عائشة من أهله ﷺ، وما يستتبع ذلك من جميل الصفات لمن هو أهله ﷺ، وكمال أهليتها للاتصاف بهذا الوصف.

٢- وفيها التنويه بشأنها خاصة، وهو مستفاد من خصوص الإشارة إليها في مقام كان يمكن أن يُذكِّر الله تعالى نبيَّه ﷺ فيه بغير ذلك، فهذه فضيلة أخرى متفرعة عن السابقة.

يقول الخازن في تفسيره: « قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أي: واذكر إذ غدوت من أهلك، يعني منزل عائشة، ففيه مَنْقَبَةٌ عظيمةٌ لعائشة رضي الله عنها لقوله ﴿ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ فنَصَّ الله تعالى على أنها من أهله »[1].

ومما يستتبع الوصف بكون السيدة عائشة من أهله من جميل الصفات – وهو منسحب على جميع زوجاته ﷺ أيضاً – ما ذكره الرازي رحمه الله إذ يقول: « يروى أنه عليه السلام غدا من منزل عائشة رضي الله عنها فمشى على رجليه إلى أُحد، وهذا قول مجاهد والواقدي، فدلَّ هذا النصُّ على أن عائشة رضي الله عنها كانت أهلاً للنبي ﷺ، وقال تعالى: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ فدل هذا النّصُّ على أنها مطهرة مبرأةٌ عن

(١) تفسير الخازن ١/ ٤١٢.

كل قبيح، ألا ترى أن ولد نوح لما كان كافراً قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود: ٤٦]، وكذلك امرأة لوط» [١].

فهذه بعض مناقبها التي أشار إليها الكتاب العزيز في هذه الآية الكريمة.

❁❁❁

ثالثاً: بركتها رضي الله عنها وتعدد فضائلها:

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

شرع الله تعالى للمؤمنين في هذه الآية التيمم بدلاً من الوضوء والغسل حين لا يجدون الماء أو لا يقدرون على استعماله تخفيفاً عليهم وتيسيراً لأمر دينهم، وكان ذلك بسبب حادثة ارتبطت بالسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، فهذا التخفيف من الله تعالى من بركاتها كما جاء في الصحيح .

---

(١) تفسير الرازي ٤/ ٢٢٦ .

وقـد قال النبي ﷺ في بركتها وتعـدد فضائلها: « **كَمُلَ**[(١)] **من الرجال كثيرٌ، ولم يكمل من النساء إلا آسيةُ امرأةُ فرعون، ومريمُ بنت عمران، وإنَّ فضلَ عائشة على النساء**[(٢)] **كفضل الثريد على سائر الطعام** »[(٣)].

يقـول المنـاوي رحمـه الله: « (كفضل الثريد) - بفتـح المثلثة - أن يثرد الخبز بمرق اللحم، وقد يكون معه لحم (على سائر الطعام) من جنسه بلا ثريد، لما في الثريد من نفعه، وسهولة مساغه، وتيسر تناوله، وبلوغ الكفاية منه بسرعة، واللذة والقوة، وقلة المؤونة في المضغ، فشُـبِّهَتْ به لما أُعطيتْ من حُسن الخُلُق، وعُذُوبةِ المنطق، وجودة الذِّهن، ورزانة الرأي، ورصانة العقل، والتَّحَبُّبِ إلى البَعْل، وغير ذلك »[(٤)].

---

(١) «والمراد بالكمال هنا التناهي في الفضائل والبر والتقوى وحسن الخصال». فيض القدير ٥/ ٦٦ .

(٢) يقـول الحافـظ ابـن حجر: « قوله: وفضل عائشـة .. إلخ لا يسـتلزم ثبـوت الأفضلية المطلقة، وقد أشار ابن حبان إلى أن أفضليتها التي يدل عليها هذا الحديث وغيره مقيدة بنسـاء النبي ﷺ، حتى لا يدخل فيها مثلُ فاطمةَ عليها السـلام جمعاً بين هذا الحديث وبين حديث: « **أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة** » الحديث، وقد أخرجه الحاكم بهذا اللفظ من حديث ابن عباس، وسيأتي في مناقب خديجة من حديث علي مرفوعاً: « **خير نسـائها خديجة** ». (فتح الباري ٧/ ١٠٧) . والمراد بنسـائها أي نسـاء الدنيا في زمانها، والله أعلم .

وهو الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **خير نسـائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد** ». صحيح البخاري ٣/ ١٢٦٥، رقم ٣٢٤٩، وصحيح مسلم ٤/ ١٨٨٦، رقم ٢٤٣٠.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣/ ١٢٥٢، رقم ٣٢٣٠، ومسلم ٤/ ١٨٨٧، رقم ٢٤٣١ .

(٤) فيض القدير ٢/ ٥٨٥ .

ما جاء في سبب نزول هذه الآية مما يبين بركة السيدة عائشة رضي الله عنها:

١ - أخرج البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: « خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عِقْدٌ لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناسُ معه وليسوا على ماء، فأتى الناسُ إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله ﷺ والناسِ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضعٌ رأسَهُ على فخذي قد نام، فقال: حبسْتِ رسولَ الله ﷺ والناسَ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرُّكِ إلا مكانُ رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل اللهُ آيةَ التَّيمُّمِ[1] فتيمموا، فقال أُسَيْدُ بنُ الحُضَير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قال: فبعَثْنا البعيرَ الذي كنتُ عليه فأصبْنا العِقْدَ تحته »[2].

(١) يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: « المراد بها آية المائدة بغير تردد لرواية عمرو بن الحارث إذ صرح فيها بقوله فنزلت: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ الآية » . (فتح الباري ١/ ٤٣٤).

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٢٧، رقم ٣٢٧، وغيره، ومسلم ١/ ٢٧٩، برقم ٣٦٧. وهذا لفظ البخاري .

٢- وروى أحمد وغيره عن ابن عباس أنه قال للسيدة عائشة، وقد دخل يزورها في مرض موتها يبشرها: « أبشري يا أم المؤمنين فوالله ما بينك وبين أن يذهب عنك كلُّ أذى ونَصَبٍ، أو قال: وَصَبٍ وتلقي الأحبة محمداً وحزبه، أو قال: أصحابه إلا أن تفارق روحُكِ جسدَك، فقالت: وأيضاً. فقال ابن عباس: كنتِ أحبَّ أزواج رسول الله ﷺ إليه ... وسقطت قلادتُكِ بالأبواء فاحتبس النبي ﷺ في المنزِل والناسُ معه في ابتغائها أو قال: في طلبها، حتى أصبح القوم على غير ماء فأنزل الله عز وجل: ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ ... الآية، فكان في ذلك رخصة للناس عامة في سببك، فوالله إنك لمباركة. فقالت: دعني يا ابن عباس من هذا، فوالله لوددت أني كنت نسياً منسياً »[1].

٣- وروى البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: « أنها استعارت من أسماء قِلادةً فهلكت[2] فبعث رسول الله ﷺ رجلاً فوجدها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فصلوا، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله آية التيمم، فقال أُسَيْدُ بن حُضير لعائشة: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله ذلكَ لكِ وللمسلمين فيه خيراً » [3].

(١) مسند أحمد ١/ ٣٤٩ .

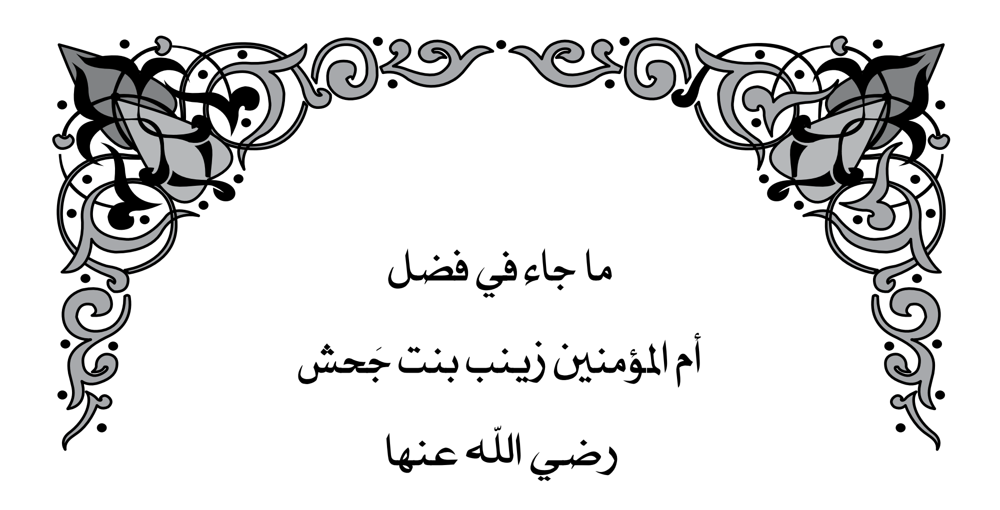
(٢) أي ضاعت .

(٣) صحيح البخاري ١/ ١٢٨، رقم ٣٢٩.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في قول أسيد بن حضير (ما هي بأولِّ بَرَكتِكم يا آل أبي بكر) : قوله: (ما هي بأولِّ بركتِكم) أي: بل هي مسبوقة بغيرها من البركات، والمراد بآل أبي بكر: نفسه وأهله وأتباعه، وفيه دليل على فضل عائشة وأبيها وتكرار البركة منهما، وفي رواية عمرو بن الحارث: لقد بارك الله للناس فيكم. وفي تفسير إسحاق البستي من طريق ابن أبي مُلَيكة عنها أن النبي ﷺ قال لها: « **ما كان أعظم بركة قلادتك** ». وفي رواية هشام بن عروة الآتية في الباب الذي يليه: « **فوالله ما نَزَل بكِ من أمر تَكْرهينه إلا جعل الله للمسلمين فيه خيراً** ». وفي النكاح من هذا الوجه: « **إلا جعل الله لكِ منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركةً** »[1].



(١) فتح الباري ١/ ٤٣٤ .



ما جاء في فضل أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها

١ - يقول الله عز وجل:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٢ - ويقول تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾

[الأحزاب: ٣٦].

أولاً: الكلام على الآية الأولى:

في هذه الآية الأولى مَنْقَبَةٌ عظيمة، وفضيلةٌ كبيرةٌ لأم المؤمنين السيدة زينب بنت جَحش بن رِئاب الأَسَدية رضي الله تعالى عنها، وهي ابنةُ عمة رسول الله ﷺ[(١)].

وهذه المَنْقبة هي أن الله تعالى اختارها لرسوله ﷺ وزوجها إياه بنص القرآن، وهي منقبة تفردت بها السيدة زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها، والله تعالى لا يختار لنبيه إلا طيباً بل أطيب الطيب، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النور: ٢٦].

يقول الإمام الذهبي: « زوّجها الله تعالى بنبيه بنَصِّ كتابه، بلا وليٍّ ولا شاهدٍ، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول: زوّجَكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق عرشه»[(٢)].

وقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: « كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوَّجَكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات »[(٣)].

---

(١) تنظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء ٢/ ٢١١، وما بعدها.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢١١.

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٢٦٩٩، رقم ٦٩٨٤.

ثانياً: الكلام على الآية الثانية:

يقـول تعـالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

هـذه الآيـة - كما روي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد- نزلت في قصة خِطبة النبي ﷺ السيدةَ زينب بنت حجش رضي الله تعالى عنها لمولاه زيد ابن حارثة رضي الله تعالى عنه[1].

وفي هذه الآية منقبة عظيمة للسيدة زينب: وهي أن الله تعالى شهد لها بتحققها بالإيمان.

ما جاء في سبب نزول هذه الآية:

جاء في سبب نزول هذه الآية ما يدل على أن المراد بالمؤمنة هنا السيدة زينـب بنـت جحـش رضي الله تعالى عنهـا، وإن كان اللفظ عاماً يشـملها ويشمل كلَّ مؤمنة:

١ - أخـرج الطـبري بسـنده عن ابـن لهيعة، عـن ابن أَبي عمـرة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « خطب رسول الله ﷺ زينب

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٨٦ .

بنت جحش لزيد بن حارثة، فاستنكفَتْ منه وقالت: أنا خير منه حسباً – وكانت امرأة فيها حِدَّة – فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ... ﴾ الآية كلها ».

٢- وروى الطبري والطبراني بسندهما عن قتادة في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ قال: « نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش، وكانت بنت عمة رسول الله ﷺ، فخطبها رسول الله ﷺ فرضيت ورأت أنه يخطبها على نفسه، فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾. قال: فتابعته بعد ذلك ورضيت»(١).

وفي رواية أخرى عن ابن عباس: « قالت: قد رضيتَه لي يا رسول الله مَنكحًا؟ قال: « **نعم** »، قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي »(٢).

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ١١٢، والمعجم الكبير ٢٤/ ٤٥، ٤٦، رقم ١٢٣، ١٢٤، وقال الهيثمي: « رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح ». (مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٨) فهذا مرسل صحيح شاهد لحديث ابن عباس السابق.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ١١٢، وذكره ابن كثير في تفسيره ٦/ ٤٢١، وهي من رواية العوفي.

بعض فضائل السيدة زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها:

كانت السيدة زينب رضي الله تعالى عنها، مِن سادات النساء، ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً، وكانت مفزعاً لليتامى والأرامل، عابدةً، صناعَ اليد تعمل بيدها وتتصدق به في سبيل الله. وكانت ممن أسلموا أول الإسلام، ومن المهاجرات في سبيل الله[1].

ومن مناقبها ما رواه مسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: « ولم أرَ امرأةً خيراً في الدِّين من زينب رضي الله عنها، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشدّ ابتذالاً لنفسها من العمل الذي تصَدق به وتتقرب به إلى الله عز وجل ما عدا سَوْرة من حِدَّةٍ كانت فيها توشك منها الفيئة » [2].

وروى ابن سعد بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: « يرحم الله زينب بنت جحش، لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله زوّجها نبيه ﷺ في الدنيا، ونطق به القرآن، وإن رسول الله قال لنا ونحن حوله: « **أسرعكن بي لحوقاً أطولكن باعاً** » . فبشّرها رسول الله ﷺ بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة »[3].

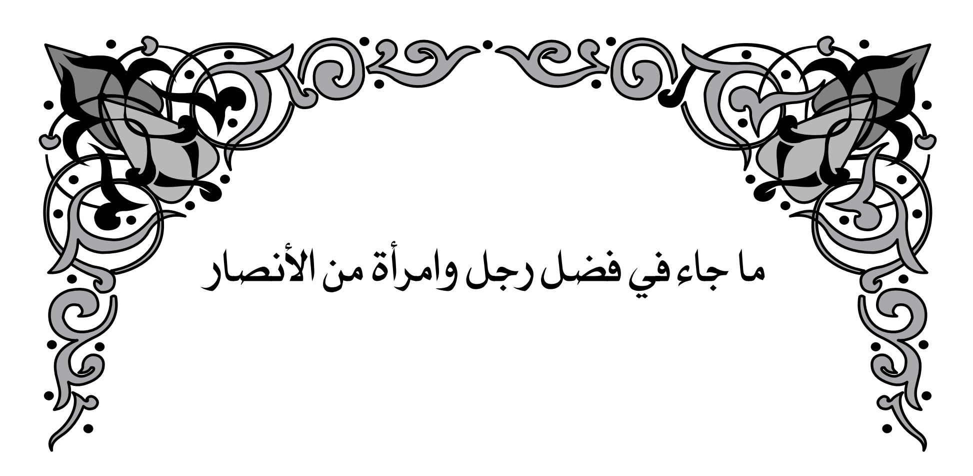
۞ ۞ ۞

(١) تنظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء ٢/ ٢١١، وما بعدها.

(٢) صحيح مسلم ٥/ ١٨٩٢، رقم ٢٤٤٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ٨/ ٨٥ .





ما جاء في فضل رجل وامرأة من الأنصار

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

هـذه الآيـة الكريمة، نزلت في مدح الأنصار، فهـي في فضائلهم، مِن جود وكرم وسخاء نفس، ومحبة لإخوانهم من المهاجرين، وسلامة صدور لهم، وبسـكناهم أكرم الـدار التي هيأها الله للنـصرة وجعلها دار الهجرة، ولزومهـم الإيمان عن جدارة -بعد أن لزمـوا داره- لزوم النازل في الدار الذي لا غنى له عنه ولا يفارقه.

وقـد نزلت هـذه الآية إثر فعـل كريم، هو مثـلٌ رائعٌ مـن أمثلة إيثار الأنصـار، قام بـه رجل وامرأة منهم، وقد جاء في سـبب نـزول هذا الآية أن هذا الفعل كان محلاً لتعجب رب العالمين الله سبحانه، دلالة على تبوُّئه عنـده تعـالى درجةً عُليـا في الرضا والقبـول، فهذه الآية كـما أنها تدل على

فضائل الأنصار عامة -كما دلَّ عليه عموم لفظها- هي أيضاً في مدح هذا الفعل الكريم وأهله الذين نزلت الآية بسببهم .

وسوف نذكر ما جاء فيما يخص هذا الرجل وزوجته، وأما بيان فضل الأنصار عامة وماهم من فضائل تتعلق بهذه الآية، فسوف نجتزئ في حقهم هنا ببيان معناها العام.

معنى الآية الكريمة:

يقول ابن كثير رحمه الله: « ثم قال تعالى مادحاً للأنصار، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حَسَدهم، وإيثارهم مع الحاجة، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم...

وقوله: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: مِنْ كَرَمهم وشرف أنفسهم يُحبّون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم ...

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ أي: ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف، والتقديم في الذكر والرتبة ...

وقوله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ يعني: حاجة، أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك ...

وقوله: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: مَن سَلِم مِن الشُّح فقد أفلَحَ وأنجَحَ ...»[1].

ما روي في سبب نزول هذه الآية الكريمة، وهو دالٌّ على فضل من نزلت بسببهم:

١ - روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: « أن رجلا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: « **من يَضُمُّ أو يُضِيفُ هذا** ». فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيِّئِي طعامك وأَصْبحي سراجك ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء. فهيأتْ طعامَها وأصبحتْ سراجَها ونوَّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تُصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاوِيين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: « **ضَحك اللهُ الليلة أو عَجِبَ مِنْ فِعالكما** »[2]. فأنزل الله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ »[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٦٨- ٧١ .

(٢) قال الحافظ ابن حجر: « ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية، والمراد بهما الرضا بصنيعهما ». (فتح الباري ٧/ ١٢٠) .

(٣) صحيح البخاري ٣/ ١٣٨٢، برقم ٣٥٨٧ .

٢- ورواه مسلم عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود[١] فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ، فقال: « **مَنْ يضيف هذا الليلة رحمه الله** » فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء ؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه. قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: « **قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة** »[٢].

القول في تعيين من نزلت الآية بسببهما (هذا الرجل وهذه المرأة):

وأمّا هذا الرجل الذي ضيّف ضيفَ رسولِ الله ﷺ، فقد ذكر ابن بُشكوال فيه ثلاثة أقوال: أولاها: أنه أبو طلحة زيد بن سهل، وثانيها: أنه ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وثالثها: أنه عبد الله بن رواحة[٣].

وصوّب الحافظ ابن حجر أنه أبو طلحة رجلٌ من الأنصار، وجَزَم بذلك، وقال: « وبذلك جزم الخطيب البغدادي لكنه قال: أظنه غير

(١) أي أصابني الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع .
(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٦٢٤، رقم ٢٠٥٤ .
(٣) ينظر كتاب الغوامض والمبهمات لابن بُشكوال ٢/ ٤٧٠: ٤٧٣.

أبي طلحة زيد بن سـهل المشـهور» [١]. وهذا الجزم تبعاً لما ورد في صحيح مسلم،عن أبي هريرة: « فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فانطلق به إلى رحله»[٢] .

ولم يستبعد ابن حجر أن يكون هو أبو طلحة زيد بن سهل الخزرجي النجاري الأنصاري رضي الله عنه زوج أم سـليم بنت ملحان أم أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه[٣]. بل صنيعه يفهم أنه مال إلى ذلك .

يقـول الحافظ ابن حجـر في توجيه رأي الخطيب البغـدادي: « فكأنه اسـتبعد أن يكـون أبو هريرة لا يعرف أبا طلحة زوج أم سـليم حتى يعبر عنـه بهذه العبارة، وقد جزم غيره بأنـه هو، ولا مانع أن تكون هذه القصة في أوائل ما قدم أبو هريرة المدينة قبل أن يعرف غالب أهلها » [٤].

فإن كان كذلك فالزوجة التي ضيفت الضيف هي أم سليم رضي الله عنها. والله تعالى أعلم .

❖ ❖ ❖

(١) فتح الباري ٧/ ١٢٠ .
(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٦٢٥، برقم ٢٠٥٤.
(٣) ينظر فتح الباري ٧/ ١٢٠
(٤) الإصابـة (٧/ ١٩٤) ترجمـة أبي طلحـة الأنصـاري آخـر، وتنظر ترجمة زيد بن سـهل ١/ ٥٠٢ .





الخاتمـة

وبهذا نأتي إلى ختام هذه الجولة الواسعة المباركة في كتاب الله عز وجل عبر آياته الكريمة التي تكاثرت في مدح أصحاب رسول الله ﷺ والثناء عليهم رضي الله عنهم، وتكاثرت في بيان ما لهم عند الله من حسن الجزاء، وخاصة المهاجرين والأنصار، الذين كانوا عماد هذه الدعوة.

ولقد وجدنا الآيات العديدة تنزل إشادةً بالكثير من مواقفهم، وأخرى تنزل في مدح خواصهم، وفي مدح أفراد وجماعات منهم بأعيانهم، أو تنزل تخفيفاً وتسلية لهم في أحداث مرّت بهم، أو تنزل دفاعاً عنهم، أو موافقة لرأيهم أو اجتهاد بعضهم تسديداً لذلك، أو استجابة لما يحبونه، ولما يرجونه من الله تأليفاً لقلوبهم، أو تلطفاً بهم أو تبشيراً لهم، مما يعرِّف بمزيد عناية الله تعالى بهم، ويؤذن ويصرّح بعلوِّ مقامهم رضي الله تعالى عنهم عند ربهم، ويبوِّئهم مقامات وخصائص خصوا بها عن سائر الأمة.

ولا تزال هذه المدائح تتلى في كتاب الله تعالى، ويترنم بها المؤمنون، وتتلى في مساجدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فلقد كانوا -كما قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه- : « أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[١].

وقال أيضاً رضي الله عنه: « إنّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمّد صلى الله عليه وعلى آله وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثمّ نظر في قلوب العباد بعد قلب محمّد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه، يقاتلون على دينه»[٢].

وحققوا رضي الله عنهم ما قاله الصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد جيوش الفرس في معركة القادسية سنة (١٥ هـ) عندما قال له: ما جاء بكم؟، فقال: « اللهُ ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج مَنْ شاء مِن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومِن ضيق الدنيا إلى سَعَتها، ومِن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمَن قَبِلَ منّا ذلك قَبِلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أَبَى قاتلناه أبداً، حتى نفضي إلى موعود الله.

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٤٧ .

(٢) رواه أحمد في المسند ١/ ٣٧٩، والطبراني في الكبير (٩/ ١١٢، ١١٣)، والبزار (كشف الأستار ١/ ٨١) وقال: « فجعلهم أنصار دينه». والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٤ - ٢١٥) وقال: « فجعلهم أنصار دينه، ووزراء نبيه ﷺ»، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٧ - ١٧٨)، وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون».

قـال: وما موعود الله؟ قال: الجنةُ لمن مات على قتال مَن أَبى، والظَّفَرُ لمن بقي » (١) .

فهذا الجيل كان صناعةً ربانيةً، أخرجها الله تعالى للناس، وصدق الله تعـالى إذ يقـول: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

فأسـأل الله تعـالى قبول هـــذا العمـل، وأن ينفعني به والمسـلمين، وأن يعينني على اسـتكماله في مراحل قادمة، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، وصلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات.



(١) تاريخ الطبري ٣/ ٥٢٠، والبداية والنهاية ٧/ ٣٩ .





المصادر والمراجع

- الأحاديث المختارة، للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق عبد الملك بن دهيش، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩١ م.

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لشهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف أبي تميم ياسر ابن إسماعيل بن إبراهيم، طبعة دار الوطن، ط١، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م.

- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، تحقيق د. سيد الجميلي، نشر دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تخريج وتعليق محمد عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ومكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م.

- أحكام القرآن للإمام الشافعي، جَمْع الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تعليق الشيخ عبد الغني عبد الخالق، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

- أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتعليق أبي حفص سامي بن العربي الأثري، طبعة مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

- أسباب النزول للواحدي، طبعة مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، عباس أحمد الباز مكة المكرمة .

- الاستيعاب في بيان الأسباب، لسليم بن عيد الهلالي، ومحمد بن موسى آل نصر، طبعة دار ابن حزم، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٥ هـ .

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر ابن عبد البر الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .

- الأساس في التفسير، لسعيد حوّى، طبعة دار السلام، القاهرة، ط٤، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١م .

- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .

- أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، طبعة استانبول- مطبعة الدولة، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م. تصوير مطبعة المدينة، بيروت.

- أصول السنة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، طبعة دار المنار، الخرج، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١١هـ .

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، طبعة عالم الكتب، بيروت بدون تاريخ .

- إظهار الحق، لرحمة الله بن خليل الرحمن الكيرواني الهندي، دراسة وتحقيق د. محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، طبعة دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م .

- اعتقاد أئمة أهل الحديث، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، طبعة دار الفتح، الشارقة، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥ م.

- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق د. يحيى إسماعيل، طبعة دار الوفاء، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٨٨ م .

- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، لأبي بكر بن الطيب الباقلاني البصري، تحقيق عماد أحمد حيدر، طبعة عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لابن كثير، للشيخ أحمد محمد شاكر، تعليق ناصر الدين الألباني، طبعة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٦٦م.

- البحر الزخار المعروف بمسند البزار، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، طبعة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ، ١٩٩٠ م .

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن عجيبة، طبع على نفقة الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩ م .

- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، نشر مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير،لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق مصطفى أبو الغيط وآخرين، طبعة دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

- البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق د. عبد العظيم الديب، طبعة دار الوفاء، المنصورة، ط٣، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م.

- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، وآخرين، طبعة دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤ م .

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدني، نشر دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ .

- تاج العروس، لمحمد بن المرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عدة محققين، طبعة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ط١.

- تاريخ الإسلام للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، طبعة دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- تاريخ الطبري، المسمى تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، لبنان، دون بيانات أخرى.

- التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، نشر دار الفكر، عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، بدون تاريخ.

- تاريخ مدينة دمشق، للإمام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، طبعة دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور، طبعة الدار التونسية للنشر، بدون تاريخ.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، طبعة دار الفكر، مراجعة وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف.

- تحقيق منيف الرتبة لمن ثبتت له شريف الصحبة، لخليل بن كيكلدي بن عبد الله صلاح الدين العلائي، تحقيق د. محمد سليمان الأشقر، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق د. أحمد عمر هاشم، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م .

- تفسير البيضاوي، المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ .

- تفسير ابن أبي حاتم، المسمى تفسير القرآن العظيم، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م .

- تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- تفسير الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، لأبي محمد فخر الدين الرازي، تقديم الشيخ خليل محيي الدين الميس، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م .

- تفسير الزمخشري، المسمى الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، ضبط وتصحيح مصطفى حسين أحمد، طبعة دار الكتاب العربي، بدون تاريخ .

- تفسير أبي السعود، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م .

- تفسير الشوكاني، المسمى فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية وعلم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني ، طبعة إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

- تفسير الطبري، المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن،لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م .

- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الميورقي الحَمِيدي، تحقيق د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، طبعة مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

- تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا وآخرين، طبعة دار مطبعة الشعب، القاهرة، بدون تاريخ . (وقد اعتمدته في الفصل الثاني فقط)

- تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م . (اعتمدته في جميع الفصول عدا الفصل الثاني)

- تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن، طبعة دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م .

- تفسير الماوردي، المسمى النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب

الماوردي البصري الشافعي، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية، بدون تاريخ .

- تفسير النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق صبري عبد الخالق الشافعي، وسيد بن عباس الجليلي، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م .

- تفسير النسفي، المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، طبعة دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م .

- تفسير الهرري، المسمى حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة د. هاشم محمد على حسين مهدي، طبعة دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م .

- التفسير الوسيط، لمحمد محمد سيد طنطاوي، طبعة مطبعة السعادة، القاهرة،ط٢، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٦، ١٩٨٧م .

- التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح ، للحافظ أبي الفضل زين الدين العراقي ، تحقيق د. أسامة بن عبد الله خياط ، طبعة دار البشائر ، بيروت، ط١ ، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م .

- تهذيب الأسماء واللغات للنووي، أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، طبعة المطبعة المنيرية، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ .

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

- ثلاث رسائل في موافقات عمر بن الخطاب، دراسة وتحقيق عبد الجواد حمام، طبعة دار النور، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م . الأولى : نزهة ذوي الألباب فيما وافق به ربَّه عمرُ بن الخطاب، لشمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الوفائي المقدسي الدمشقي . والثانية : نظم الدرر في موافقات عمر رضي الله عنه، لبدر الدين أبي البركات محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الشافعي. والثالثة: نفائس الدرر في موافقات سيدنا عمر رضي الله عنه، لتقي الدين أبي بكر زيد بن أبي بكر الجراعي الدمشقي الصالحي.

- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النَّمري القرطبي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، طبعة دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، طبعة دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب الحنبلي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، طبعة دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .

- الجرح والتعديل، للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، مصورة دار الكتب العلمية بيروت، عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند .

- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، إعداد أحمد ياسوف، طبعة دار المكتبي، دمشق، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام الحافظ أبي نعيم الأصفهاني، مصورة دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ .

- الدر المنثور في التفسير، لجلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م .

- دروس العلامة الشيخ مصطفى البيحياوي لطلابه في تفسير سور الفتح بإمارة الشارقة، عام ٢٠٠٧ م (مجالس دراسية) .

- دلائل النبوة للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، للآلوسي، طبعة المطبعة المنيرية، القاهرة، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥ م.

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ .

- روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي ، طبعة المكتب الإسلامي، بإشراف زهير الشاويش، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

- الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري، طبعة دار الكتب العلمية، ط٢ .

- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج ابن الجوزي، ت ٥٩٧ هـ، طبعة المكتب الإسلامي بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق فهيم محمد شلتوت وغيره، وزارة الأوقاف المصرية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، طبعة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار التراث العربي، بدون تاريخ.

- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مصورة دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط١، ١٣٤٤ هـ .

- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، بإشراف شعيب الأرناؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

- سـنن النسائي، للإمام أبي عبد الرحمن النسائي ،بعناية الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب، ط٣ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

- السـنة لأبي بكـر أحمد بن محمـد بن هارون الخلال، تحقيق ودراسـة عطية بن عتيق الزهراني، طبعة دار الراية، الرياض، ط٢، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

- السـنة، لمحمـد بـن نصر بـن الحجاج المـروزي، تحقيق سـالم أحمد السـلفي، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ .

- سـير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ، ط١٠، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

- سيرة النبي ﷺ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق ودراسة مجدي فتحي السيد، طبعـة دار الصحابـة للتراث، طنطـا، جمهورية مـصر العربيـة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧١ م.

- شرح السـنة للبغوي، تحقيق: زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- شرح صحيح مسـلم، للنووي المسـمى المنهاج شرح صحيح مسـلم بن الحجاج، تحقيـق خليـل مأمـون شـيحا، طبعـة دار المعرفـة، بـيروت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير، لمحمد بن عبد العزيز الفتوحي ابن النجار الحنبلي، تحقيق د. وهبة الزحيلي، ود.نزيه حماد، نشر مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

- شرح المحلى على جمع الجوامع، لابن السبكي، مع حاشية البناني، طبعة مصر، ١٣٣١هـ .

- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤ م .

- شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي، للشريف علي بن محمد الجرجاني، منشورات الشريف الرضي، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م.

- الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي البغدادي، تحقيق الوليد بن محمد سيف النصر، طبعة مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

- الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي البغدادي، تحقيق د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، طبعة دار الوطن - الرياض، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م. وهذه أعينها بالطبعة .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، لأحمد بن محمد بن محمد الشُّمني.

- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفار عطا، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠ م .

- صحيح أسباب النزول، لإبراهيم محمد العلي، طبعة دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م .

- صحيح البخاري، بعناية مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير، دمشق، ط٥، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

- صحيح ابن حبان (الإحسان)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

- صحيح ابن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م .

- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، نشر دار الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، لأحمد بن حجر الهيتمي المكي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ـ طبعة مكتبة القاهرة، ط٢، ١٣٨٥ هـ- ١٩٦٥م.

- الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

- العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الحكيم الأنيس، طبعة دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م .

- العجـاب في بيان الأسـباب، لابن حجر العسـقلاني، تحقيق أبي عبـد الرحمن فواز أحمد زمرلي، طبعة دار ابن حزم ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠٢ م .

- عقيـدة أهـل السـنة والجماعـة في الصحابة الكـرام، لناصر بن علي عائض حسـن الشيخ، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق وصي الله ابـن محمد عباس، طبعة المكتب الإسـلامي بيروت ، الريـاض، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م .

- علـم الرجال نشـأته وتطوره من القـرن الأول إلى نهاية القرن التاسـع، لأبي ياسر محمـد بـن مطر بن عثـمان آل مطر الزهـراني ، طبعـة دار الهجرة للنـشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

- عمـدة القاري شرح صحيـح البخاري، للعينـي، طبعة المطبعة المنيريـة، القاهرة، ١٣٤٨ هـ، نشر دار الفكر، بيروت .

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، تحقيـق إبراهيم عطوة عوض، طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

- فتـح البـاري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسـقلاني، ترقيم محمد فـؤاد عبـد الباقـي ، وعنايـة محـب الدين الخطيـب، نـشر دار الفكر، عـن الطبعة السلفية.

- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق

ودراسة د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير، ود. محمد بن عبد الله بن فهيد آل فهيد، طبعة مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦ هـ .

- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبي منصور، طبعة دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط٢، ١٩٧٧ م .

- الفِصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، طبعة دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ .

- فضائل الصحابة، للنسائي أحمد بن شعيب، تحقيق فاروق حمادة، طبعة دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

- في ظلال القرآن، لسيد قطب، طبعة دار الشروق، ط ٢٥، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، نشر دار الفكر، بيروت، مصورة طبعة المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ .

- القاموس المحيط للفيروزآبادي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م .

- قواطع الأدلة في الأصول، لأبي المظفر السمعاني، تحقيق محمد حسن محمد الشافعي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م .

- الكامل في التاريخ لابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير، تحقيق مكتب التراث، طبعة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

- الكامـل في ضعفـاء الرجـال، لعبـد الله بـن عـدي بن عبـد الله بن محمـد أبي أحمد الجرجاني، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨ م .

- الكبائر، للإمام محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محيي الدين نجيب، وقاسم النوري، طبعة الدار المتحدة، دمشق، ط١، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠ م .

- كتـاب الغوامـض والمبهـمات، لأبي القاسـم خلف بن عبـد الله بن عبـد الملك بن مسـعود بن بُشـكوال، تحقيق محمود مغراوي، طبعة دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

- كتاب المغازي لابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، تحقيق ودراسـة د. عبـد العزيز بن إبراهيم العمـري، طبعة دار إشـبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م .

- كشـف الأسـتار عن زوائد البزار على الكتب السـتة، لنور الديـن علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤ م .

- الكفايـة في علـم الرواية ، للخطيب البغدادي ت ٤٦٣ ، تحقيق أحمد عمر هاشـم، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م .

- لباب النقول في أسباب النزول، لجلال الدين السيوطي، تقديم وتعليق محمد علي قطب، طبعة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤ م .

- لسان العرب لابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥ م .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق الرحالي الفاروقي، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، وآخرين، الدوحة، الطبعة التي طبعت على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، ط١، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٧ م .

- المحصول في علم أصول الفقه لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دراسة وتحقيق د. طه جابر فياض العلواني، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م .

- مختصر المنتهى لابن الحاجب، المسمى مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، دراسة وتحقيق نذير حمادو، طبعة دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦ م .

- المحلى، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، طبعة دار الفكر، بدون تاريخ .

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للعلامة علي بن سلطان القاري، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ .

- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٣٤ هـ، نشر دار المعرفة، بيروت .

- المستصفى في علم أصول الفقه، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، نشر دار إحياء التراث، بيروت، عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٢٤هـ.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصور مؤسسة قرطبة، القاهرة، عن الطبعة الميمنية، بدون تاريخ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق عدة محققين، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣ : ١٤٢١ هـ- ١٩٩٣ : ٢٠٠١ م .
- مسند إسحاق بن راهويه، للإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، تحقيق د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، طبعة مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- مسند أبي داود الطيالسي، نشر دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ .
- مسند أبي يعلى الموصلي ، تحقيق حسين سليم أسد ، طبعة دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- المصنف لابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق محمد عوامة، طبعة شركة دار القبلة، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، طبعة دار الحديث، القاهرة، ط ٢، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م.
- معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي، طبعة دار صادر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

– المعجم الكبير للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، طبعة دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، بدون تاريخ .

– المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وغيرهما، إصدار مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، نشر دار الدعوة، استانبول، تركيا. بدون تاريخ .

– المعرفة والتاريخ، للإمام يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، طبعة مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠ هـ .

– معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، طبعة دار الوطن، الرياض، تحقيق عادل يوسف العزازي، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

– معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه ، للحاكم أبي عبد الله النيسابوري ت ٤٠٥ هـ، طبعه دار ابن حزم بيروت ، ط١ سنة ٢٠٠٣ م ، تحقيق وشرح أحمد ابن فارس السلوم.

– المغازي لمحمد بن عمر بن واقد الواقدي، تحقيق د. مارسدن جونس، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٤٠٩ هـ– ١٩٨٩ م .

– مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، للخطيب الشربيني ، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

– مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، طبعة دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢ هـ– ١٩٩٢ م .

- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق محيي الدين ديب مستو وآخرين، طبعة دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، ط١، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م .

- مناقب الشافعي، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.

- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، بعناية الشيخ إبراهيم رمضان دار الفتوى لبنان، طبعة دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م .

- مقدمة ابن الصلاح، طبعة دار المعارف، القاهرة، تحقيق الدكتورة عائشة بنت الشاطئ، طبعة دار المعارف، القاهرة، طبعة جديدة محررة، بدون تاريخ .

- من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، للدكتور محمد محمد أبو موسى، طبعة مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م .

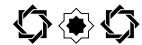
- نزهة النظر شرح نخبة الفكر، في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م .

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ط١، ١٣٨٩ هـ- ١٩٦٩ م .

- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات الجزري، تحقيق محمود محمد الطناحي، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ .

- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- النهـي عن سـب الأصحاب وما فيـه من الإثـم والعقاب، للحافظ ضيـاء الدين أبي عبـد الله محمـد بـن عبد الواحـد بن أحمـد المقـدسي، (ت ٦٤٣)، تحقيق محيي الدين نجيب، طبعة مكتبة العروبة، الكويت، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسـيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومـه، لأبي محمـد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثـم الأندلـسي القرطبي المالكي، تحقيـق مجموعة من الباحثين، كرسـائل جامعية، طبعة كلية الشريعة والدراسـات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م .
- الوسـيط في علوم ومصطلح الحديث، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة .



الفهارس العامة للكتاب

ويشتمل على:

- فهرس تفصيلي بالموضوعات والإشارات إلى أهم الفوائد والدلالات .

- فهرس الآيات القرآنية الواردة في الكتاب في فضائل الصحابة وما يجري مجراها .

- فهرس بأعلام الصحابة المذكورين في الكتاب الذين ورد أنه نزلت فيهم آيات ثناء أو ما يجري مجرى الفضيلة .

- فهرس الأئمة أصحاب عيون الأقوال في الصحابة الكرام الواردة في الكتاب ومواضعها .

- الفهرس الإجمالي للمحتوى .



فهرس تفصيلي بالموضوعات والإشارات إلى أهم الفوائد والدلالات



فهرس الآيات القرآنية الواردة في الكتاب في فضائل الصحابة وما يجري مجراها (١)

سورة البقرة

(١) الآيات التي تجري مجرى الفضائل هي آيات العناية، ونحوها كالتي نزلت بسبب سؤال أحد منهم أو قبول عذره والعفو عنه أو إجابة لطلبه أو دعائه أو موافقة لرغبته أو قوله مما يدل أو يشعر بالفضيلة لا مطلق ما نزل بسبب. والقاعدة أن أذكر الآيات في جميع مواطنها في الكتاب كله، إلا في المبحث المخصص لشرحها وتفصيلها فأذكرها في الموطن الأول فيه فقط، وذلك لتعدد تكرارها فيه وتقسيمها إلى جمل ومقاطع عدة، عدا ما يتعلق بآيات الإفك .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾ الآية [٢١٨] (ص ٥٦)

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ ﴾ الآية [٢١٩] (ص ٨٠)

﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ﴾ الآية [٢٧٣] (ص ٥٩)

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ الآية [٢٨٥] (ص ٤٦، ١٣١)

سورة آل عمران

﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ ﴾ الآية [١٣] (ص ١٦٥، ١٧١)

﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ ﴾ الآية [٦١] (ص ٦٦، ٢٨٩)

﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ الآية [١١٠] (ص ٣٨، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٥)

﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴾ الآيات [١١٣-١١٥] (ص ٧٣، ٣٢٧)

﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الآية [١٢١] (ص ٥٠، ٣١٧، ٤٠٨)

﴿ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ الآية [١٢٢] (ص ٦٥، ٣١٧)

﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ الآية [١٢٣] (ص ٤٨،١٦٤)

سورة النساء

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ الآية [٤٣] (ص ٨٠)

﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ﴾ الآية [٧٥] (ص ٦٠)

﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ الآيات [٩٥-٩٦] (ص ١٧٧، ٣٦٨)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ الآيات [٩٧-٩٩] (ص ٦٠)

﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ ﴾ الآية [١٠٠] (ص ٧٨ ، ٣٨١)

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ الآية [١١٥] (ص ٤٦)

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ الآية [١٦٢] (ص ٧٤)

سورة المائدة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾ الآية [٦] (ص ٦٩ ، ٤١٠)

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ الآية [٥٥: ٥٦] (ص ٤٧، ١٥١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ الآية [٥٤] (ص ٧٥، ٣٤٠)

سورة الأنعام

سورة الأنفال

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ الآية [٤١] (ص ١٦٥)

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ الآية [٤٤] (ص ١٧١)

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية [٦٢] (ص ٦٤، ٩٨)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية [٦٤] (ص ٤٨، ٩٨)

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ الآية [٦٥] (ص ١٤٥)

﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية [٦٨] (ص ٤٩)

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ﴾ الآية [٧٤] (ص ٦٤)

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ الآية [٧٥] (ص ٦٣)

سورة التوبة

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ الآيات [١٩-٢٢] (ص ٦٣)

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ الآية [٤٠] (ص ٧٥، ٣٣٧)

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ الآية [٤٣] (ص ٢٧٣)

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الآية [٧١] (ص ١٥٨)

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ الآية [٧٩] (ص ٨١، ٨٢)

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ الآيات [٨٨-٨٩] (ص ٤٢، ١٤٤، ٢٥٩)

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ الآيتان [٩١-٩٢] (ص ٦٠، ١٤٧، ٢٨٤)

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ الآية [١٠٠] (ص ٦٤، ١١٦، ٢٥٩)

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ الآية [١٠٨] (ص ٣٢٣)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ الآيات [١١١-١١٢] (ص ٤٤، ٣٧٢)

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الآية [١١٨] (ص ٤٢، ١٤٩)

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ الآية [١١٧] (ص ٤٢، ٥٥، ٦٥، ٢٥٩)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ الآية [١١٩] (ص ٤٢، ١٥٨، ٢٦٠)

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ الآيات [١٢٠ : ١٢١] (ص ٢٧٤ ، ٢٧٥)

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ الآيات [١٢٠ : ١٢١] (ص ٢٧٠)

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الآية [١٢١] (ص ٢٧٨، ٢٨٢)

سورة الحجر

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [٨٨] (ص ٥٧)

سورة النحل

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ الآية [٤١] (ص ٦١)

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الآية [٧٦] (ص ٨١ ، ٣٥٣)

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ الآية [١٠٦] (ص ٧٧ ، ٣٥٩)

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الآية [١١٠] (ص ٦٣)

سورة الكهف

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ الآية [٢٨] (ص ٥٩، ٣١١)

سورة الأنبياء

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ الآيـات [١٠١: ١٠٢] (ص ١٤٢، ١٤٦)

سورة الحج

﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ الآيات [١٩: ٢٢] (ص ٦٦، ١٧٢، ٢٩٥)

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ الآيـات [٣٩: ٤٠] (ص ٦١، ٦٢)

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الآية [٤١] (ص ٦٢)

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ الآيات [٥٨: ٥٩] (ص ٦٢)

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ الآية [٧٨] (ص ٤٥)

سورة النور

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ الآيات [١١: ٢٠] (ص ٣٨٩، ٣٩٣)

﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ الآيـة [١٢] (ص ٤٠٣، ٤٠٤).

﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ الآية [١٥] (ص ٤٠٤)

﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ الآية [١٦] (ص ٨٣، ٤٠٠، ٤٠٢)

﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [١٧] (ص ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٥)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ الآية [١٩] (ص ٤٠٥).

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ الآية [٢٠] (ص ٤٠٥)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ الآيات [٢١: ٢٦] (ص ٣٩١، ٤٠٥)

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ الآية [٢٢] (ص ٧٥، ٣٣٧، ٣٤٥، ٣٩١)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الآية [٢٣] (ص ٣٩٤، ٤٠٥)

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الآية [٢٦] (ص ٦٨، ٣٠٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٩)

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [٥٥] (ص ٤١)

سورة الشعراء

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [٢١٧: ٢١٩] (ص ٣٩)

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ الآية [٢٢٤] (ص ٤٠)

سورة النمل

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ الآية [٥٩] (ص ٣٩)

سورة القصص

سورة لقمان

سورة الأحزاب

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ الآية [٣٧] (ص ٧١ ، ٣٧٧، ٤١٥)

﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ الآية [٤٧] (ص ٤٥، ٧٧)

﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ الآية [٥٣] (ص ٨٠)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ الآية [٥٧] (ص ٤٧)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ الآية [٥٣] (ص ٧١)

سورة الزمر

﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ الآية [٩] (ص ٨١ ، ٣٥٢، ٣٥٦)

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ [١٧] (ص ٧٨)

﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ الآية [٣٣] (ص ٧٦ ، ٣٣٨، ٣٤٠)

سورة الشورى

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ الآية [٢٣] (ص ٦٧)

سورة الأحقاف

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ الآية [١٠] (ص ٧٧)

سورة الفتح

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ الآيات [١ : ٣] (ص ٢٤٨، ٢٤٩)

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ الآية [٤] (ص ٥٤، ٢٥٠)

سورة الحجرات

سورة الحديد

﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [١٠] (ص ١١، ٢٨، ٤٣، ١٤١، ٣٤١)

سورة المجادلة

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآيات [١: ٤] (ص ٨٥)

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ الآيات- [٢١: ٢٢] (ص ٤١، ١٥٢، ١٧٣، ١٧٤)

سورة الحشر

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الآية [٧] (ص ٦٧)

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية [٨-٩] (ص ٦٥ ، ٤٢١)

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ الآية [١٠] (ص ٤٧، ١٥٨)

سورة المنافقون

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الآيات [١-٤] (ص ٣٨١)

سورة التحريم

سورة عبس

سورة المطففين

سورة الليل





فهرس بأعلام الصحابة المذكورين في الكتاب الذين ورد أنه نزلت فيهم آيات ثناء أو ما يجري مجرى الفضيلة [(١)]

(١) سبق بيان المراد بعنوان الفهرس في فهرس الآيات السابق، فلينظر. ونزيد: سواء نزلت الآيات فيهم أو بسببهم خاصة أو نزلت فيهم أو بسببهم ضمن جماعة ولكن سموا فيها. ولم أصنع فهارس لجماعات الصحابة، لأنه يكفى لمعرفة ذلك النظر في الفهرسين الإجمالي والتفصيلي للموضوعات، وقد ذكرت الجماعات في الفصل الأول وخصصت لبعضهم الفصل الثالث والرابع من الكتاب.

فهرس الأئمة أصحاب عيون الأقوال في الصحابة الكرام الواردة في الكتاب ومواضعها

الفهرس الإجمالي للمحتوى



www.iacad.gov.ae

04 6087777 الرؤية الريادة في العمل الإسلامي والخيري

Fatwa 8003336 فتوى